الدورة التأهيلية للحياة الزوجية

الدكتور محمد خير الشعال



دار الفكر
آفاق معرفة متجددة
www.fikr.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الدورة التأهيلية للحياة الزوجية

الدورة التأهيلية للحياة الزوجية / محمد خير الشعال.- دمشق: دار الفكر ٢٠١٠ .-٢٨٠ص ؛ ٢٥سم.
ISBN: 978-9933-10-187-9
١-٢١٨,١٥ ش ع ا د ٢-٢١٦,٥١ ش ع ا د
٣- العنوان ٤- الشعال
مكتبة الأسد

الدكتور محمد خير الشعال

الدورة التأهيلية للحياة الزوجية





دار الفكر - دمشق - برامكة
٣٠٠١ ٩٧ ٩٤٧ ٠٠٩٦٣
٣٠٠١ ١١ ٠٠٩٦٣
http://www.fikr.com/
e-mail:fikr@fikr.net

الدورة التأهيلية للحياة الزوجية

د. محمد خير الشعال

الرقم الاصطلاحي: ٢٢٥٩,٠٢١
الرقم الدولي: ISBN:978-9933-10-187-9
التصنيف الموضوعي: ٢١٨ (الموضوعات الإسلامية المتنوعة)
٢٨٠ ص، ١٥ × ٢٢ سم
الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م

www.dr-shaal.com

المحتوى

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علَّمتنا، وزدنا عِلماً وعَملاً متقبَّلاً، أرنا الحق حقاً وارزقنا اتِّباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك، وبعد:

فالإسلام -كما قال العلماء-: عقيدة، وشريعة، وأخلاق.

١- أما العقيدة: فتقوم على أصول نسمِّيها: أصول الإيمان وأركانه، مما يجب أن يَعتقِد به المؤمن ويُصدِّق به، وهي ثلاثة أقسام:

إلهيات: وهي ما يتعلَّق بذات الله عز وجل، وأسمائه، وصفاته...

ونُبوَّات: وهي ما يتعلَّق بالأنبياء من صفات، ومؤهِّلات، ووحي...

وغيبيات: كالإيمان بالملائكة، والقضاء والقدر، واليوم الآخر...

٢- وأما الشريعة: فهي خمسة أقسام: عبادات، ومعاملات، وأحوال شخصية (أسرة)، وقضاء، وسياسة شرعية.

وتُبيِّن الشريعة طريقة عمل المكلَّف في كلٍّ من الشعائر التعبُّدية، والنظام الاجتماعي، والنظام الأُسَري، والنظام الاقتصادي، وفي كل ما من شأنه تنظيم حياة الناس وارتباطاتهم وعلاقاتهم.

ومن جملة البحوث الشرعية الكبيرة بحثٌ اسمه: "أحكام الأسرة"، يبدأ من مراحل ما قبل الزواج، مروراً بالزواج، وانتهاءً بانحلال عقد الزواج بالطلاق، أو بوفاة أحد الزوجين، أو غير ذلك.

٣- وأما الأخلاق، فقسمان:

أ-ممدوحة: أُمِرنا بالتحلِّي بها، كالصدق، والأمانة، والوفاء بالوعد..

ب-ومذمومة: أُمرنا بالتَّخلِّي عنها، كالحسد، والحقد، والبخل..

فالإسلام عقيدة وشريعة وأخلاق، ولا يكتمل إسلام المسلم حتى يصحِّح عقيدته، ويلتزم شريعة ربه، ويقوِّم أخلاقه.

ولأن الأحكام الناظمة للأسرة قسمٌ من أقسام الشريعة الخمسة، ولأن المجتمعات عامة، والمجتمعات الإسلامية خاصة أحوج ما تكون إلى إنشاء أسر جديدة، والحفاظ على الأسر القائمة، ولأننا نسمع ونرى تعثر عدد من الناس في إدارة أسرهم؛ شَرَعْنا في هذه الدورة (دورة تأهيلية للحياة الزوجية)، وهذه محاضراتها؛ لعلها تكون لبنة في بناء دعم الأسَر، لتنطلق يوماً أقلام أكثر، ومنابر

أكبر، متحدثة في دورات تأهيلية أخَر، وفي صفوف مدرسية، ولربما كانت كليات جامعية، تؤصل نظرياً وعملياً للحفاظ على الأسرة.

ولقد كانت هذه المحاضرات دروساً ألقيَت في مساجد دمشق خلال النصف الأول من عام (٢٠٠٧م)، ثم ألقي بعض منها في المراكز الثقافية، ثم ظهرت لها تسجيلات صوتية ومرئية، ثم بثتها بعض الإذاعات والأقنية الفضائية.

وقد رغب الكثير ممن اطلع على مادتها أن تُنشَر كتاباً يقرأ، وصحفاً تُحفَظ، فأجبت رغبتهم بهذا الذي بين يديكم.

فإن كان صوابٌ في هذه المحاضرات فمن توفيق الله، وإن كان خطأٌ فمن عادة البشر، ورحم الله من رأى خيراً فنشره، أو وقع على زلل فنصح.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢/٢٨٦].

محمَّد خير الشَّعَّال

دمشق في ١/٥/٢٠١٠

المحاضرة الأولى

دعوة الإسلام إلى الزواج

دعا الإسلام إلى الزواج من خلال أمور أربعة:

الأمر الأول

تناول القرآنُ الكريم أحكامَ الزواج والأسرة وما يتعلق بها من خلال ستٍّ وأربعين ومئة آية، تحدَّثت عن الأسرة، والزواج، والأب، والأم، والأولاد، والنفقات، والإرضاع، وما إلى ذلك.. وفي هذا دلالة على أهمية هذا الأمر.

وتحدَّثَ النبي ﷺ عن ذلك من خلال أحاديث لا أكاد أحصيها كثرةً ووفْرَة.

ثمَّ إنَّ خُمُس المادة الفقهية تتحدث عن أحكام الأسرة: (الخِطبة، والزواج، وحقوق الزوجين، وحقوق الأولاد، وأحكام انحلال الزواج، وأحكام الأموال والنفقات..).

ففي هذا العرض الكثيف للزواج والأُسرة وما يتعلق بهما في القرآن والسُّنة والفقه دليلٌ على أهمية الزواج، ودعوةٌ إليه.

الأمر الثاني

رتَّبَ الإسلام أجوراً كبيرة للمتزوجين:

فكثير من الأجور في شَرعِنا لا ينالها إلا المتزوجون، ويُحرَم منها الشاب والفتاة العَزَبَان، لذلك إذا وجد شبابُنا صعوبة في الإقدام على الزواج، فأمامَهم أجور كبيرة عالية سينالونها إن شاء الله.

من هذه الأجور:

١- ثواب الإنفاق على الزوجة والأولاد

وهذا لا يناله إلا المتزوج. قال رسول الله ﷺ: «**دِينار أنفقتَه في سبيل الله، ودِينار أنفقتَهُ في رقبة، ودينار تصدَّقْتَ به على مسكين، ودِينار أنفقتَهُ على أهلك، أعظَمُها أجراً الذي تنفقه على أهلك**»[1].

فما تُنفِقه على زوجتك وأولادك واجب أعظم أجراً مما تُنفِقه في الجهاد في سبيل الله حينما يكون الجهاد بالمال في حقك مندوباً، قال رسول الله ﷺ: «**إذا أنفق المسلم نفقةً على أهله وهو يحتَسِبُها كانت له صدقة**»[2]. فإن راقبتَ هذه المعاني في قلبك حال نفقتك على أولادك وزوجتك، نِلتَ هذا الأجر بإذن الله، ولن تفكّر أبداً في قطع رابطة الزواج التي سمَّاها الله تعالى: ﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٤/ ١٥٤] غير ملتفت إلى ما تفعله زوجتُك من أفعال لا ترضيك.

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) أخرجه الترمذي.

وكذلك تؤجر الزوجة؛ لأنها ترجو من الله، بمحافظتها على أسرتها، أجراً كبيراً.

٢- أجرُ تطبيق سنة النبي ﷺ

عن أنس بن مالك ﷺ قال: (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبِروا كأنهم تَقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟! قد غَفَرَ الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدَّهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوَّج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ، فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أمَا - والله- إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأُفطِر، وأصلّي وأرقُد، وأتزوَّج النساء، فمن رَغِبَ عن سُنَّتي فليس مِنِّي**»)[١].

فمن عَزَفَ عن الزواج فقد خالف السنَّة، أمَّا الذي يسعى إليه، ويَجْهَد لذلك جهده، فإنه يتَّبع سنة سيدنا محمد ﷺ، ويسير على نهجه في الحياة.

٣- أجر الإعانة على طاعة الله

ربما أعان غيرُ المتزوج صاحبَه أو أخاه أو جاره على طاعة الله، لكنه لا يجد الزوجة ليعينَها على ذلك، فإذا تزوَّج نال هذه الرتبة، وإلا فاتَتْه، وكذلك الزوجة. عن أبي هريرة ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: «**رَحِمَ الله رجلاً قام من الليل فصلَّى، وأيقَظ امرأته، فإن أبَتْ**

(١) متفق عليه.

نَضَحَ في وجهها الماء، ورَحِمَ الله امرأة قامت من الليل فصَلَّت وأيقَظَتْ زوجها، فإن أبى نَضَحَت في وجهه الماء»[١]. فهذه دعوةٌ بالرحمة من النبي ﷺ لمن يُعين زوجه على طاعة الله، ولعلَّ أحدَنا يرجو من أخيه أو ممَّن يتوسَّم فيه الصلاح دعوةً بظهر الغيب، فكيف به والنبي ﷺ يدعو له؟!!

٤- أجرُ تربية الأولاد

وهذا الأجر لا يناله امرؤ حتى يتزوج وينجِب الأولاد.

رُوِيَ أن أحد العلماء كان مجتهداً في الحفاظ على السنة، غير أنه كان يقول: فاتتني سنَّة من سُنن النبي ﷺ، كان رسول الله ﷺ يلاعِبُ الحسن والحسين، ويركِبُهما ظهرَه، ولم أُرزَق الأولاد، ففاتتني تلك السُّنَّة.

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن عال ثلاث بنات فأدَّبهنَّ وزوَّجهنَّ وأحسَنَ إليهنَّ فله الجنة**»[٢]. وفي رواية: «**من يَلِي من هذه البنات شيئاً فأحسَنَ إليهنّ، كُنَّ له سِتراً من النَّار**»[٣]. فهل يسعى المسلم إلى اتّباع شرع الله إلا طَمَعاً في دخول الجنة والبعد عن النار؟!

إنه إذا تزوج ورعى بناته، مع التزام بالشرع، كنَّ له ستراً من النار.

---

(١) أخرجه أبو داوود والنسائي.

(٢) أخرجه أبو داوود والترمذي.

(٣) أخرجه البخاري.

٥- أجرُ الصبر على موتِ أحد الأولاد في حياة الوالدين أو أحدهما

قالت النساء للنبي ﷺ: (غَلَبَنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، قال: فوعَدَهُنَّ يوماً، فوَعَظَهُنَّ وأَمَرَهُنَّ، وقال: «**ما من امرأة تقدِّم ثلاثةً من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار، قالت امرأة: واثنتين؟ قال: واثنتين**»)(١). وهذا أجرٌ لا ينالُه إلا المتزوجون.

٦- أجر المرأة خاصّة في طاعة زوجها

مهما أطاعت المرأة زوجَها في غير معصية أَرْضَت ربها.

قال رسول الله ﷺ: «**أيُّما امرأةٍ ماتت وزوجها عنها راضٍ دخَلَت الجنة**»(٢). وقال عليه الصلاة والسلام: «**إذا صلَّت المرأة خَمْسَها، وصامَت شهرَها، وحَفِظَت فَرْجَها، وأطاعَت زوجَها، دخَلَت جنَّة ربها**»(٣).

الأمر الثالث

عاقَبَ الإسلام مَن سَلَك طريقاً غير طريق الزواج الشرعي في إرواء الدافع الجنسي، وذلك بإقامة الحدِّ عليه.

فعقاب الكاذب تشجيعٌ للناس على الصدق، وعقاب الكسول تشجيعٌ لهم على الاجتهاد، وعندما يَفرِض الإسلام حَدَّاً على الزِّنا،

(١) متفق عليه.
(٢) أخرجه الترمذي.
(٣) أخرجه الطبراني وأحمد.

وعلى مَن قضى شهوته الجنسية مِن ميله نحو النساء في مسربٍ غيرِ مسربِ الزواج، فإنه يشجِّع الناس على الزواج ويدعو إليه.

الأمر الرابع

يسَّرَ الإسلام أمور الزواج من خلال تخفيف المهور، ودعوة الناس إلى مساعدة مَن أراد الإحصان من الشباب المسلم.

سؤال: إلامَ تؤول الحال إذا عَزَفَ الشباب عن الزواج؟

جواب: بيَّنَت دراسةٌ أجراها أحد مراكز البحوث في (باريس) عزوفَ الناس عن الزواج الشرعي في الدول الأوربية قاطبةً، الأمر الذي أدَّى إلى تفشِّي الرذيلة، وزيادة حالات الانتحار، وزيادة الأمراض النفسية والشذوذ، وقلَّة المواليد، حتى صُنِّفَت الدول الأوربية في جداول الدُّول الهرِمَة.

لكلِّ ذلك قامت صيحات صارخة في عدد من الدول الأوربية اليوم تدعو إلى الزواج؛ إذ بينت الإحصاءات أن بعض الدول الأوربية ستنقرض بعد ثلاثين عاماً، فلا تكون فيها الشعوب التي عليها اليوم، لأنك ستجد أرضاً، ومعامل، وسيارات، وطائرات، وأموالاً...، ولكن لن تجد بشراً، بسبب انعدام الأسرة، وعزوف الناس عن الزواج.

لذلك أنشأت تلك الدول كليَّات للأسرة تعزيزاً لدورها، ووزارات للعائلات كوزارة العائلات في (ألمانيا) مثلاً.

تقول مدرِّسة تاريخ الأسرة في إحدى الجامعات الأمريكية: (يجب علينا أن نُشجِّع الشباب ونضغط عليهم ليتزوَّجوا، ويشكِّلوا أسَراً)، نعم: ضَغطٌ، وزواجٌ إجباريّ!!

لكل هذا دعا الإسلام إلى الزواج، ورتَّب عليه أجوراً عالية، وجَعَلَ لمن يساعد الشباب على الزواج مثل هذه الأجور، والله أعلم.

المحاضرة الثانية

حُكم الزّواج في الإسلام

يختلف حكم الزواج من شخص لآخر، وتَرِدُ عليه أحكام أربعة:

الوجوب - الاستحباب (السُّنة)- الكراهة - الحرام.

١- الوجوب

يكون الزواج واجباً على كلٍّ من قَدرَ عليه، وتاقَت نفسه إليه، وخشِيَ على نفسه الوقوع في الزنا إن لم يتزوج. والمقصود بالقُدرة: القدرة الجسَديّة والماليّة والنفسيّة. قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوّج..**»[١]. وهذا الخطاب عامٌّ لكل مستطيع، يشمل الشاب والفتاة.

و(الواجب) أو (الفرض) عند الفقهاء هو: ما يترتَّب على فِعْلِه ثوابٌ، وعلى تَرْكِه عِقاب. فإذا قلنا: صومُ رمضان فرضٌ أو واجب، فمعناه: إثابةُ الصائم، وعقوبة المفطِر من دون عُذر. وإذا قلنا: صلاة العشاء فرضٌ أو واجبٌ، فمعناه: إثابة مؤدّي الصلاة، وعقوبةُ تارِكِها. وعندما نقول: يجب الزواج على مَن تاقَت نفسُه

---

(١) متفق عليه.

إليه، وخاف على نفسه الفاحشة، وكان قادراً على الزواج؛ فإن الزواج في حقِّه واجبٌ، يثاب عليه، ويأثم إذا تركه.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [النور: ٢٤/٣٢]. والأيِّم: كلّ مَن لا زوج لها، وكلّ مَن لا زوجةَ له. وقول الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟﴾ فعل أمر يقتضي الوجوب، والمخاطَب فيه أولياءُ الأمور، آباء كانوا أو أمهات أو أغنياء أو وجهاء أو أُمَراء.. فواجب على هؤلاء جميعاً أن يزوِّجوا من لا زوج له من الشباب والفتيات، كلٌّ حَسَبَ استطاعته وإمكانه.

وإذا خاف الشاب على نفسه العَنَت، ولا قدرة لديه على الزواج، ولم يُعِنه على ذلك أحدٌ فعليه بالعفة، قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ﴾ [النور: ٢٤/٣٣].

ثم عليه بالصوم؛ قال عبد الله بن مسعود ﷺ: (كنَّا حَولَ رسول الله ﷺ لا نجد شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: **«يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوَّج، فإنه أغضُّ للبصر وأحصنُ للفَرْج، ومن لم يستطع فعليه بالصَّوم، فإنه له وجاء»**)[1].

ويقول الله سبحانه وتعالى يخاطب الآباء: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ

(١) متفق عليه.

مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النور: ٢٤/٣٣]. أقول: كلُّ أبٍ يَردُّ الخطَّاب الأكْفَاء أو يعسِّر أمْرَ زواجهم من ابنته فهو يدعوها إلى البِغَاء دعوة غير مباشرة من حيث لا يدري، وكلُّ أمٍّ تمنَعُ ابنتها الزواج إذا جاءها الكُفؤُ فهي تدعوها إلى الحرام، والعياذ بالله. وقد ورد في الأثر: «يا عليّ، ثلاثٌ لا تؤخِّرها: الصلاة إذا آنت، والجنازة إذا حَضرت، والأيِّم إذا وجدت لها كفؤاً»[1].

٢- الاستحباب (السنّة)

يكون الزواج سُنَّة ومستحَبّاً لمن قَدر عليه وتاقَت نفسُه إليه، لكنَّه لا يخاف على نفسه الوقوع في الزِّنا.

و(السُّنة) أو (الاستحباب) عند الفقهاء هي ما يترتَّب على فعله ثواب، ولا يترتَّب على تَرْكِه عقاب. فإذا قلنا: صومُ يومِ عرفة سُنَّة، فمعناه إثابة الصائم، والعفو عن المفطر. وعندما نقول: الزواج سُنَّة لمن تاقَت نفسه إليه، ولم يَخَف على نفسه الفاحشة، وكان قادراً على الزواج؛ عندما نقول: الزواج في حقه سُنّة، فمعناه إثابة المتزوج، دون تارك الزواج. ولا ريب أن الزواج أفضل مِن عَدَمِه إذا تيسَّرت أسبابه؛ لأنَّ الزواج سنَّة الله تعالى في أرضه، وسُنَّة أنبيائه، وسُنَّة سيدنا محمَّد ﷺ.

وقد تقدَّم في المحاضرة الأولى من هذه الدورة حديث أنس بن مالك ﷺ قال: (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ

---

(١) الترمذي.

يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبِروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟! قد غَفَر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، قال أحدهم: أمَّا أنا فإني أصلِّي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدَّهر ولا أُفطِر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوَّج أبداً.

فجاء رسول الله ﷺ، فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أمَا -والله- إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأُفطِر، وأصلّي وأرقد، وأتزوَّج النساء، فمَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليس مِنِّي**»[1].

فأنتم -يا معشرَ الشباب- أتباعُ سيدنا محمد ﷺ ومحبُّوه، لذا تزوَّجوا ولا ترغبوا عن سنته.

٣- الكراهة

يُكرَه الزواج في أحوال، منها:

١- يُكرَه الزواج لكلٍّ من خاف أن يُخِلّ بحقوق الزوجية المالية أو الجسدية أو النفسية.

٢- وكذلك يكره أن يتقدَّم الرجل لخطبة فتاة مخطوبة.

قال رسول الله ﷺ: «**لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه**»[2].

فلو فعل رجلٌ ذلك كان زواجُه مكروهاً، يروى عن المغيرة بن شعبة ﷺ -وكان مِن دهاة العرب- أنه قال: «ما غلبني أحدٌ برأيه

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) متفق عليه.

إلا فتىً من قريش، استَشَرْتُه في خطبة فتاة حسناء، فقال لي: لا تصلُحُ لك، إني رأيتُ رجلاً يقبِّلها»، وبعد حين دُعي المغيرة إلى وليمة عرس هذا الفتى على تلك الفتاة، فقال له: كيف تقول لي ما قلت وأنت اليوم تتزوَّجُها؟ قال: نعم، لقد رأيتُ أباها يقبِّلها.

٣- زواج الغَرور: والمراد به الزواج الشرعي الذي يتمُّ بعد تغرير واحد من الزوجين بالآخر، كأن يقول الشاب لأهل الفتاة إنه يملك الدار الفلانية، ويتبيَّن لهم بعد العقد أنه مستأجِرٌ لها، أو تقول فتاة إنها خِرِّيجةٌ جامعيَّة، ثم يتبين للزوج بعد العقد عدم صحة ذلك.

٤- الحرام

يكون الزواج حراماً لمن أيقن أنه سيظلِم زوجه.

و(الحرام) عند الفقهاء هو: ما يترتَّب على فِعلِه عِقاب، وعلى تَركِه ثواب.

فمَن أيقن أنه سيظلم زوجه إن تزوج كأن يؤذيها في النفقة، أو كان لا يستطيع الاقتراب من النساء بسبب مَرض جسميّ أو نفسي، أو كانت هي كذلك لا تستطيع الاقتراب من زوجها، من أيقن بذلك حرُمَ عليه الزواج.

وإذا كان الرجل شديد البخل، يمنع عن الزوجة مالها أو ماله منعاً يؤذيها، ويَعرِف من نفسه ذلك، فهذا يَحْرُم عليه الزواج أيضاً.

ثم اعلم أنَّ من كان عنده مَرض يمنعه من قضاء حاجة زوجته، أو مَن كان عندها مرض يمنعها من قضاء حاجة زوجها، وحصل

الزَّواج دون إخبار الطرف الآخر، فيجوز للمتضرِّر فسخُ العقد.
مثال: شاب مريض بمرض يمنعه من الإقبال على الزوجة، وتزوّج من دون أن يخبر أهل الفتاة، وتبيّن للفتاة (الزوجة) الأمر، لها أن تَرفَع الأمر إلى القاضي، فيفرق بينهما، وذلك من دون موافقة الزوج، وكذا الحال لو عقد الزوج، وتبيَّن له أنَّ عند هذه الفتاة مرضاً خطيراً أُخفِيَ عنه.

فائدة: ينبغي على العاقد المصاب بمرض شديد أن يخبر المعقود عليها به، والعكس بالعكس. أما إذا كان المرض سهلاً لا يؤثر في الزواج كالتهاب قصبات مزمِن، ونحوه فلا بأس أن لا يخبر أهل الزوجة بمرضه، والأَولى الإخبار. مثال المرض الشديد: الصَّرَع، فيجب على الخاطب المصاب بهذا المرض ونحوه إخبار الطرف الآخر به، فإن وافق وتمَّ العقد فليس له فسخُه لهذه العلة فيما بعد. أما إن أخفى أحد الخاطبَين هذه العلة عن الطرف الآخر، ثم تمَّ العقد فللمَغبون رَفْعُ أمره إلى القاضي، ليصير إلى فسخ العقد، وتغريم الضَّار بالأذية.

وبعد، فهذه هي الأحكام التكليفية الأربعة التي تَرِدُ على الزواج في الشريعة الإسلامية، ولك إن أردت الاستزادة مراجعة هذا المبحث في الكتب المعتمدة في الفقه الإسلامي على المذاهب الأربعة، والله أعلم.

المحاضرة الثالثة

دوافع الزواج

لا يُقدِم أحدٌ على أمرٍ ما إلا بدافع يدفَعه إلى القيام به، ساعياً بسلوكه لتحقيق الدافع، فإن لم يحقق سلوكُه دافعَه بحث عن سلوك آخر.

وبناء على هذا فإنْ لم يُشبع الزوج أو الزوجة الدافع الذي دفَعَهما إلى الزواج فسيواجهان عدداً من المشكلات المباشرة وغير المباشرة، الأمر الذي سيؤدي إلى ضعف الأسرة وتفكُّكها عاجلاً أو آجلاً.

فالمطلوب من كل زوج وزوجة أن يعرفا الدوافع التي دفَعَت كلاً منهما نحو الزواج لإشباعها وإروائها. ومطلوب من كلٍّ منهما مساعدة الآخر في إرواء دوافعه بالطرق المشروعة.

لماذا يتزوج الشاب...؟ ما الذي يدفعه إلى هذا الأمر...؟ ولماذا تتزوج الفتاة...؟ ما الذي يدفعها إلى هذا الأمر...؟ هذا ما ستتناوله هذه المحاضرة .

وتكمُن أهمية هذه المحاضرة في أمرين:

الأمر الأول

على كلّ شابٍّ مُقدِم على الزواج أن يَعرف دوافع زوجته التي

دفَعَتها إلى الزواج، حتى يُشبِعها لها؛ لأنَّ الزوجة إذا لم تَنَل مقصودَها من الزواج فستصطَنع المشكلات بشكلٍ إراديٍّ أو غير إراديٍّ، ويؤول أمرُ الأسرة إلى الطلاق أو عدم الوفاق.

وكذلك ينبغي على الفتاة القادمة نحو الزواج أن تعرِف لماذا يريد زوجها الزواج؟ ولماذا أراد أن يقترن بها؟ لماذا أقبل نحوها بالذات؟ ما الذي دفَعَه؟ لأنَّ مِن واجباتها أنْ تُشبع له دوافعه، وإلا فسيصطنع المشكلات بشكلٍ إراديٍّ أو غير إراديّ، ليؤدّي ذلك إلى خللٍ كبير في الأسرة.

الأمر الثاني

يذهب بعض الشباب والفتيات نحو الزواج لدوافع غير صحيحة، يتوقَّعون توقُّعات أكبر من الحقيقة، فأقول لهم: لتكن توقُّعاتكم معتدلة، صحيحة، مقبولة؛ لأنها إن كانت على غير ذلك فسيفاجئكم الواقع بعد الزواج.

أرأيتم لو أنَّ رجلاً شارك آخر في تجارة، وتوقَّع أن يكون الربح من هذه الصفقة عشرات الملايين، فإن لم يكن الأمر كذلك، وربح بضعة آلاف، فسيُصدم بهذا الربح، ولعله سيتشاجرُ مع شريكه، مع أنهما ربحا، لكنَّ التوقُّعات كانت أكبر من الواقع. كذلك الفتاة أو الشاب الذي يُقدِم على الزواج وفي ذهنه توقعات غير واقعية، فإنه سيُصدم بالواقع بعد الزواج، ولعلَّ الأمر يؤول إلى ما لا يُرضي.

ومن خلال هذين الأمرين تبرز أهمية هذه المحاضرة، فلا بد من

أن يعرف كلٌّ من الزوجين دوافع الآخر، وأن تكون نظرته إلى الزواج متَّسمةً بالواقعية.

دوافع الزواج

للزواج ستة دوافع:

١- الدافع الديني

وهو أنبل الدوافع التي تدفَع الرجل أو المرأة نحو الزواج، وليجتهد كلٌّ مُقبلٍ على الزواج في اكتساب هذا الدافع بالالتحاق بمجالس العلم والذِّكر.

إنّ عدداً من الشباب يقدم على الزواج مدفوعاً بهذا الدافع، يدفعه قول الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ﴾ [النور: ٢٤/ ٣٢]. ويدفعه قول رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوَّج، فإنه أغضُّ للبصَر وأحصَن للفَرْج..**»[1]. يحرّكه الدّين نحو الزواج، تدفعُه سُنَّة الأنبياء، وسنة الله في أرضه، فهو يمتَثِل بالزواج أمْرَ الله وأمْرَ رسوله ﷺ. فإذا اندفع الشاب أو الفتاة إلى الزواج من هذا الباب، وكان الآخر لا يكترِث لذلك فستقع الأسرة في ما لا يرضي؛ لأنّ أحدهما ينظر إلى أوامر الله في تصرُّفاته مع الأسرة، لكن الآخر لا ينظر إلى ذلك.

والحقُّ أنَّ الحياة مبنيّة على الاختلاف، وهو سُنّة الله تعالى في

---

(١) متفق عليه.

هذا الكون، ويستحيل أن يتطابق زوجان بنسبة مئة بالمئة في الأفكار، والميول، والعواطف، والآراء، ومخطَّطات المستقبل... فإن كان شرْعُ الله عز وجل حاكماً بين الزوجين في توافقهما واختلافهما سَلِمت مسيرة البيت، أما إذا حكَمَت الأهواء والشهوات، فسيُكسر هذا القيد الذي يمسِك بالأسرة.

فالدافع الديني أنبلُ الدوافع التي تدفَع الشاب أو الفتاة نحو الزواج، وبه يسلَم الرَّكب وتحلو الحياة. بالدافع الديني تتجمَّل الزوجة لزوجها، ترجو بذلك ثواب ربها ورضا زوجها، ويُنفِق الزوج على أهل بيته، يقصِد بذلك التقرُّب إلى الله تعالى وإدخال السرور على أهله.. وهكذا يحمل الدافع الديني كِلا الزوجين على بِرّ صاحبه، وسَوق الخير إليه، ويضفي على البيت روح السكينة والاستقرار.

فإن كان أحد الزوجين مُفتقِداً لهذا الدافع لَزِم الآخر أن يذكِّره به ويدفعَه نحوه، فإن لم يجد الزوجُ الدافعَ الدِّينيّ عند زوجته فليَزرَعه فيها، وليعزِّزه عندها، وكذلك الزوجة إن لم تجد هذا الدافع عند زوجها، فلتُذكِّره بالله، وبأنّه مأجور على رعاية أهله وبيته، وبأنَّ الله عز وجل يُبارِك له في رزقه لأنّه يسعى عليهم.. ولتشكره على امتثاله أمر الله تعالى في نفقتهِ عليهم. إذا ذكَّر كلٌّ منهما الآخر بالله مراراً، وتَعزَّز بذلك الدافعُ الدينيُّ لديهما، فقد ضَمِنَا حياةً أكثر توافقاً وانسجاماً.

وهذا الدافع هو ما يُسمى في ديننا: (النيّة)، والنية هي التي

تجعلُ من كلِّ أعمالك عباداتٍ إن شئتَ، وإن كانت أعمالاً اعتيادية كطعام وشراب ونوم وما إلى ذلك. قال العلماء: الفارق بين العبادة والعادة هو النيّةُ. فإن ذهب الرجل مع زوجته وأولاده في نزهة -مثلاً- بنيَّة إدخال السرور عليهم أُجِر على ذلك. ثم إنك تجده يستقبل أخطاء أسرته وطلباتها بصدر رحب، أما إذا نُزع الدافع الديني من الأسرة، فيكثُر شجارها وتعود من نزهتها بهَمٍّ وغَمٍّ عوضاً عن السرور. وكذلك الزوجة: يكون زوجها كثير الغضب مثلاً، فإن راقبَت الدافع الديني في حال غَضَبِ زوجها، وتذكَّرَت أنَّها تتحمَّل ذلك منه تقرُّباً إلى الله تعالى، وتَصبِر عليه لمنزلة عند الله عز وجل ترجوها ولا تنالُها إلا بالصبر، فإنَّها تستقبل هذا الخُلُق السيِّئ بإيجابية واتّزان، أما إذا رُفع الدافع الديني، وكلّمها زوجها كلمة غير مناسبة، قال لها شيطانُها: رديها عليه صاعين، وإن رفع صوته مرة فارفعي صوتك ضعفين، وهكذا... حتى يُوقِع بينهما العداوة والبغضاء.

قال زيد بن سُعنَة وكان يهودياً اشترى من رسول الله ﷺ تمراً إلى أجَل وأعطاه ثمنَه: (فلما كان قبل محلِّ الأَجَل بيومين أو ثلاثة أتيتُه ﷺ، فأخذتُ بمجامع قميصه وردائه، ونظرتُ إليه بوجهٍ غليظ، فقلتُ له: ألا تقضيني يا محمد حقي، فوالله ما عَلِمْتُكُم بني عبد المطَّلب بمُطْل [يعني: مماطلين]، ولقد كان لي بمخالطتكم علم، ونظرتُ إلى عمر رضي الله عنه، فإذا عيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير، ثم رماني ببَصَره، فقال: يا عدو الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمَعُ وتصنَع به ما أرى، فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذرُ

فوته لضربتُ بسيفي رأسك. ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسُّم، ثم قال ﷺ: «**يا عمر، أنا وهو كنّا أحوج إلى غير هذا: أن تأمرَني بحُسن الأداء، وتأمرَه بحُسن التّباعة، اذهب به يا عمر فأعطِه حقَّه، وزده عشرين صاعاً من تمر**»، فقال زيد: قلتُ: ما هذه الزيادة يا عمر؟ قال: أمَرَني رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان ما نَقَمْتُك، قلتُ: أتعرفني يا عمر؟ قال: لا، مَن أنت؟ قلتُ: زيد بن سُعنة، قال: الحَبر؟! قلت: الحَبر، قال: فما دعاك أنْ فعلتَ برسول الله ﷺ ما فعلتَ، وقلتَ له ما قلتَ؟ قلتُ له: يا عمر، لم يكن من علامات النبوَّة شيء إلا وقد عرفتُه في وجه رسول الله ﷺ حين نظرتُ إليه، إلا اثنين لم أخبرهما منه: هل يَسبِق حِلمُه جَهلُه؟ ولا تزيدُه شدَّة الجهل عليه إلا حِلماً، فقد اختبرتهما، فأُشهِدك يا عمر أني قد رضيتُ بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، وأُشهِدك أنَّ شطر مالي -فإني أكثرهم مالاً- صدقة على أمَّة محمد ﷺ، فقال عمر رضي الله عنه: أو على بعضهم، فإنك لا تسعهم! قلتُ: أو على بعضهم، فرجع زيد إلى رسول الله ﷺ، فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمَّداً عبده ورسوله)[١].

إذن فعند وجود الوازع الدِّيني، والدافع الدِّيني، والرَّادع الدِّيني، يتحوَّل الموقف السلبي إلى إيمان، أمَّا إذا لم يكن هناك وازع ولا دافع ولا رادع ديني، فمن الممكن أن يتحوَّل الموقف الإيجابي إلى موقف سلبي!!

---

(١) الحاكم في: المستدرك وصححه، والطبراني في: الكبير.

لذلك كان على كل شاب قادم نحو الزواج أن يجعل نيّته في زواجه التقرُّب إلى الله تعالى، ولا بأس إن كان مع ذلك الدافع غيره من الدوافع التي سنأتي على ذِكرِها.

أما الشاب المتزوِّج -إن لم يكن استحضر هذه النية- فليصحِّح نيته، وليُذكِّر زوجته الآن بتصحيح نيّتها، حتى يَسلمَ المركب، وتستمر الأسرة.

٢- الدافع الاجتماعي

ما زال المجتمع الصَّحيح السَّليم ينظر إلى الشاب العزب على أنه برُتبةٍ دون رتبة المتزوج، فيستغربُ حالَ رجل جاوز الثلاثين ولم يتزوج، ويسأله: لماذا؟! ويستغرب حال فتاة جاوزت الخامسة والعشرين ولم تتزوج، ويَسأَل: لماذا؟!

لذلك فإن هذا الدافع الاجتماعي يجعل عدداً كبيراً، أو عدداً لا يستهان به، من الناس يُقبِلون على الزواج. وهذا دافعٌ صحيح، وهو دليلٌ على سلامة المجتمع.

وجديرٌ بالذِّكر أنَّ الدافع الاجتماعي يحمل الزوج على عدم قَطْع أواصِر الصلة بالمجتمع عن زوجته بغير عذر مبرّر، فبعض الأزواج يمنعون زوجاتهم من التواصل مع المجتمع، مهما كانت الصلة: لا يأذنون بصلة أهل، ولا جارات، ولا بنات عم أو عمة، أو خال أو خالة.. يريدون أن يقطعوا كل تواصل، حتى عن طريق الهاتف!

ولعل الزوجة هي من تطلب هذا من زوجها، فتريد قطع علاقاته مع أسرته، وأقاربه، وجيرانه.. أو تسعى لإفساد هذه العلاقات.

إن الإنسان اجتماعي بفطرته، فلا يليق بالرجل أن يقطع عن زوجته أواصر الصلة المشروعة بالمجتمع، ولا يليق بالزوجة أن تسعى لقطع هذا التواصل المشروع عن زوجها.

فإذا ابتُلِيَت امرأة بزوج قاطع للصِّلات المشروعة فهي بين أمرين:

١-إما أن تَتحمَّل وتصبر، وزوجُها محاسَبٌ بذلك عند الله لظلمه إيّاها، والظلم ظلماتٌ يوم القيامة.

٢- وإما أن تطلب الطلاقَ إن ضاقَ صبرُها.

وهذا محمول على عدم وجود سبب مُقنِع شرعي أو عقلي لمنعِ هذه العلاقات، أما إن وُجد السبب كسوء خلق جارة مثلاً، فليتدارس الرجل مع زوجته منع هذه الجارة من دخول البيت، وعدم ذهاب الزوجة إليها، وكذلك الحال إذا كانت إحدى القريبات مؤذية، فهذا سبب يبيح للزوج قَطْعَ هذه الصلة.

أما قطعُها من دون سبب معقول أو مشروع كأن يقول الزوج: أنا أغار على زوجتي جداً، لذلك أُقفِل الأبواب عليها حتى لا تخرُج!! فهذا مَرَض. أو أن يمنَع علاقة زوجته بأمِّها، فلا يجوز هذا شرعاً؛ لأنه مَنعٌ من البِرّ، وسيؤدّي فيما بعد إلى سوءٍ في علاقة الزوجين، ويورث الضَّغائن بينهما. أو يقع العكس: كأن يطلب الزوج من

زوجته الذهاب إلى أُخته لمناسبة ما كولادة، فتأبى وتتذرّع بأنها لا تُحب مثل هذه المظاهر الاجتماعية، ولعلَّها فعلاً لا تُحبّ ذلك، لكنّ قَطْعَ هذه العلاقات الاجتماعية سيورث ضغينة في قلب الزوج؛ لأن هذا من الأسباب التي دفَعَته نحو الزواج، فهو يُحب أن يكوِّن أسرةً، ويحبُّ أن يعتزَّ بأُسرته زوجتِه وأولاده، أن يكونوا معه في مناسبات العائلة، وبامتناع الزوجة تكون قد أفسَدَت على زوجها أحد دوافعه إلى الزواج، ومن ثَمَّ تبدأ المشكلات في حياتهما الزوجيَّة.

الدافع الاجتماعي دافعٌ يُعزِّز علاقة الرجل بزوجته إذا كانت العلاقة الاجتماعية صحيحة وشرعيَّة، أما إن كانت العلاقات الاجتماعية غير شرعية وغير صحيحة كأن تستقبل الزوجة مثلاً أخا زوجها، وهي وحدها في البيت فهذا أمر محرم وغريب! قال رسول الله ﷺ: «**الحمو الموت**»[١]، فدخوله عليها في غياب زوجها محرَّم.

أقول: كيف يدخل أخو الزوج على زوجة أخيه، وهي وحدها في البيت؟! ويسوّغ بأنه معتاد أن يأتيهم بحاجات البيت كل يوم، فيُدخِلها إلى المطبخ، وربما سَأَلَته زوجة أخيه بعض الحاجات؛ لأن أخاه مشغولٌ بعمل أو سفر. أو كيف يتَّصل الرجل من مكتبه ببائع الغاز، ليقول: خذ لي أسطوانة الغاز إلى البيت، فتفتح له الزوجة، وهي وحدها في البيت، ويدخل إلى المطبخ، ثم تكون

(١) متفق عليه. الحمو: أخو الزوج وأقاربه.

الكارثة، كيف يفعَل الرجل هذا؟ وكيف ترضى الزوجة أن تُدخِل عليها رجلاً غريباً في غياب زوجها؟!

هناك عدد مُرعب من الحوادث في هذا الشأن، والسبب أن هذه العلاقات الاجتماعية محرَّمة غير مشروعة.

يدخلُ ابن العم إلى زوجة ابن عمه في غيبة زوجها وأهلها، ولئن سأَلته كيف تفعل ذلك والنبي ﷺ يقول: «**إياكم والدخولَ على النساء**»[1]، ويقول: «**ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان**»[2]؟ أجاب: نحن في العائلة كالإخوة! هذا غيرُ صحيح؛ إذ ليسوا كالإخوة، بل يباح لكل منهما الزواج من الآخر، ويبقى الشرع فوق كل فلسفة وضعيَّة.

٣- دافع الأبوة والأمومة

هذا الدافع من أقوى الدوافع عند الإنسان، وهو عند المرأة أقوى، ولعلَّ بعض الفتيات يتزوَّجن بقصد الإنجاب وحسب، بهدف أن تحمل ولداً يقول لها: يا أمي. فإذا منع الزوج زوجته من هذا الحق، وأراد تأخير الإنجاب سنوات لظروف معيَّنة، أثَّر ذلك سلباً في هذا الدافع، الأمر الذي يؤثر في حياتهما الزوجية. كذلك يُحبّ الرجل أن يكون أباً، ويدفعُه ذلك إلى الزواج، فيُفاجأ بزوجة لا تحبُّ الحمل؛ حتى لا يتغيّر شكلها، ولا تفقِد رشاقتها، أو لئلا تُضيِّع كثيراً من وقتها في البيت مع أولادها...!!

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه الترمذي.

هذه الصور ستؤدي بالبيت عاجلاً أو آجلاً إلى مشكلة كبيرة.

ومن هنا حَرَّم الشرع تحديد النَّسل:

- ما معنى تحديد النسل؟

هو صدور قانون في دولة ما، يمنع إنجاب أكثر من ولد، أو ولدين أو أكثر.

في إحدى الدول الشرقية منَعوا أن تُنجب الأسرة أكثر من ولدين، فكان بعض من يحب المولود الذكر إن جاءته أنثى قتلها ورمى بها، وكذلك يفعل.. إلى أن تلد زوجته ذكراً!! إن تحديد النسل محرم.

أما تنظيم النَّسل فجائزٌ شرعاً:

- ما معنى تنظيم النسل؟

هو أن تنصح الجهات الرسمية -لسبب ما- بعدم الإكثار من الأولاد، أو أن يتَّفق الزوجان على هذا الأمر.

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المُصْطَلِق، فأصبنا سَبْياً من سَبْيِ العرب، فاشتهينا النساء، واشتدَّت علينا العُزْبَة، وأحببنا العزل -يعني: استخدام الطُّرق الطبيعية لمنع الحمل-، فأردنا أن نعزل، وقلنا: نعزلُ ورسول الله ﷺ بين أظهُرِنا قبل أن نسألَه؟ فسألناه، فقال: **«ما عليكم أن لا تفعلوا، ما مِنْ نَسَمَة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي**

كائنة»[١]، يعني: إذا قدَّر الله أن يكون الولد فسيكون، والشاهد أنّه أَذِنَ لهم في هذا الأمر. وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: «**كُنَّا نعزلُ على عهد النبي ﷺ والقرآن ينزل**»[٢]، يعني نَعْزِلُ عن نسائنا. والعزل تنظيمٌ للنسل.

ويجدر بالذِّكر حرمة طُرُق منع الحمل التي تسبب العقم كاستئصال الرَّحِم، أو استئصال المبيضَين، أو البوقين، ما لم يكن السبب طبّياً مُلجئاً.

٤- الدافع الجنسي

هو الميل الجسدي للرجل نحو المرأة وميلها نحوه، وحاجة كلٍّ منهما إلى الآخر، وهو أمرٌ فَطَرَه الله تعالى في الرجال والنساء، ومَن لم يَجِد ذلك في نفسه فعليه بمراجعة الأطباء.

وقد أجرى الإسلام هذا الأمر في أقنية شرعيَّة، وسلكه مسالك نظيفة، وهي مسالك الزواج؛ ليجد كلٌّ من الزوجين كفايته فيه، فإن تخلَّف أحد الزوجين عن أداء حقِّ الآخر في هذا الأمر فقد خالف أمر الله تعالى. قال رسول الله ﷺ: «**إذا باتت المرأة هاجرةً فراشَ زوجها لعَنَتْها الملائكة حتى تُصبح**»[٣].

ولأن الزوجة إن لم تُحصِن زوجها يُخشَى أن يتَّجه إلى ما لا يحل

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

له، وتبُوء بإثمه لجهلها وخطئها، فليس لها أن تنشغل عنه أيّاً كان الشاغل، حتى وإن كان عبادةً.

مِن النساء مَنْ تذهب لزيارة أهلها، وتغيب عن بيتها أسبوعاً أو أكثر، ثم تتَّصل بزوجها وتسأله: هل ينقُصُك شيء؟ أأُرسل لك طعاماً؟ هل الثياب مغسولة؟!

أعرف طبيباً ذا مكانة اجتماعية، وزوجته مهندسة لها مكانتها أيضاً، طلّقها لانصرافها عن شؤون زوجها وبيتها، قال لي: إنّه إذا جاء إلى بيته لم يشاهد زوجة، بل شاهَدَ مهندسة، وهو يريد زوجة داخل البيت تَتَحبَّب له، وتَتَودَّد إليه.

عن أسماء بنت يزيد الأنصارية ﵂، أنها أتت النبي ﷺ وهو بين أصحابه، فقالت: (بأبي أنت وأمي، أنا وافدة النساء إليك، واعلم -نفسي لك الفداء- أنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سَمِعَتْ بمَخرجي هذا أو لم تسمع إلا وهي على مثل رأيي. إن الله بعَثَك إلى الرجال والنساء كافة، فآمنا بك وبإلهك، وإنَّا -معشر النساء- محصوراتٌ مقصوراتٌ، قواعدُ بيوتكم، ومفضى شهواتكم، وحاملاتُ أولادكم، وإنكم -معاشر الرجال- فُضِّلتُم علينا بالجُمَع والجماعات، وعيادة المريض، وشهود الجنائز، والحجّ بعد الحجّ، وأفضلُ من ذلك الجهادُ في سبيل الله عز وجل، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجّاً أو معتمراً أو مرابطاً حفِظنَا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربَّينا لكم أولادكم، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟ فالتَفَتَ النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كلِّه، ثم قال:

«هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن في مسألتها عن أمر دينها من هذه؟» فقالوا: يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا!! فالتَفَتَ النبي ﷺ إليها، فقال: **«انصرفي -أيتها المرأة- وأَعْلِمِي مَن خَلْفَك من النساء أنَّ حُسْنَ تبعُّل إحداكنَّ لزوجها، وطَلَبَها مرضاته، واتِّباعَها موافَقَتَه تعدل ذلك كلَّه»** قال: فأدبرت المرأة وهي تهلِّل وتكبِّر استبشاراً)[1].

فتجمُّل المرأة لزوجها واجبٌ تنال به أجراً عظيماً، على حين أنَّ إهمالها زوجَها وانصرافَها عنه يوقِعها في الإثم.

ومثلُ هجر المرأةِ زوجَها هجرُ الرجلِ زوجتَه، كلاهما إثم محرَّم. قال الله تعالى: ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ [النساء: ٤/ ٣٤] قال ابن كثير في تفسيره[2]: «عن ابن عباس ﵄: الهجران هو ألّا يجامعها، ويضاجعُها على فراشها ويوليها ظهره». وكذا قال غير واحد. فلا يترك الرجل الفراش، بل يهجرها فيه، وهذه عقوبة شديدة لا تُستخدَم إلا عند حاجتها، وسنأتي على ذكرها؛ ذلك لأنَّ الدافع الجنسي أحد دوافع الزواج.

عن عون بن أبي جُحَيْفَة عن أبيه قال: (آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء ﵄، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أمَّ الدرداء مُتَبَذِّلَةً، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاماً فقال:

---

(١) البزار في: مسنده، والبيهقي في: الشعب.

(٢) ٢/ ٢٩٤.

كُلْ، قال: إني صائم، قال سلمان: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأَكَلَ. فلمّا كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال سلمان: نَمْ، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نَمْ، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصلّيا، فقال له سلمان: إن لربِّك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه. فأتى أبو الدرداء النبيَّ ﷺ فذَكَرَ ذلك له، فقال النبي ﷺ: «صدق سلمان»[(١)].

نعم، لأهلك عليك حق؛ لأن حاجة المرأة إلى الرجل حاجةٌ فطريَّة، وحاجة الرجل إلى المرأة كذلك فطرية. يقول الإمام الغزالي: «إن الزواج يساعد [الرجل والمرأة] على التحصُّن عن الشيطان، وكَسْرِ التوقان [يعني: ميل النفس الشديد] ودفع غوائل الشهوة، وغَضِّ البصر، وحِفظ الفَرْج»[(٢)].

ومع كل هذه الأهمية التي أولاها الشرع هذا الميلَ الفطري، إلا أنه من الخطأ أن يُجعل هذا الدافعُ الدافعَ الوحيد إلى الزواج، فقد لوحِظ عدم استمرار الزيجات القائمة على هذا الأمر منفرداً في الغالب، والذي نراه على الشاشات الفضائية السافرة، أو المجلات الماجنة من تضخيم لشأن هذا الميل دعا الشباب والفتيات بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى اعتقاد نظرية فرويد: أنَّ الإنسان يعيش لقضاء شهوته الجنسية فقط، الأمر الذي أدّى إلى دمار كثير من البيوت والأسَر.

---

(١) أخرجه البخاري والترمذي.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين، ٢/ ٢٧.

إذا بنى الرجل اختيار زوجته على هذا الأساس وحسب فقد أخطأ؛ لأن الدافع الجنسي ليس هو الحياة كلها، إنما هو جزء منها، والحياة الزوجية أجزاء كثيرة؛ منها الأخلاقية، ومنها السلوكية، ومنها العملية، والرجل يحتاج إلى زوجة تلبي فيه الدافع الديني، والدافع الاجتماعي، وتحسن الكلام، وتحسن التعامل مع أحداث الحياة وطوارئها، فإن كانت الزوجة تُلبّي الدافع الجنسي وحده ولا تُلبّي باقي الدوافع، فالغالب أن هذه الأسرة ستضعُف عن متابعة سيرها في الحياة.

٥- الدافع النفسي

وهو مجموعة من المكنونات النفسية التي تدعو الشاب والفتاة إلى الزواج، منها:

*** الحاجة إلى الحب**

فَطَر الله تعالى الإنسان على الحاجة إلى الحب والتقدير، لذلك سنَّ لنا رسول الله ﷺ أن ندعم هذه المادة فيما بيننا، فقال: «**إذا أحبَّ أحدُكم أخاه فليُعْلِمْهُ**»[1]. فإن افتقد الإنسان هذا الشعور في جماعة حوله تجده يسارع بالانصراف عنها، ليتجه إلى جماعة أخرى يجد فيها حاجته.

وإنَّ الزوجين هما أولى الناس بالحب، فعلى الزوج أن يَحُفَّ زوجته بالحب والعطف والرَّحمة، وعلى الزوجة أن تحفَّ زوجها

(١) أخرجه الترمذي.

كذلك بالحب والمودة والحنان. عن عمرو بن العاص ﵁ قال: (قيل: يا رسولَ الله، مَن أحبُّ الناس إليك؟ قال: «**عائشة**»...)[1].
نعم، كان النبي ﷺ يُظهر حُبَّه لزوجته؛ لأن الزوجة بحاجةٍ إلى زوج يُظهِر لها حبَّه، ويخبرها به، يتكلّم معها، فيُشعِرها بوجودها ومكانتها في بيتها وفي قلب زوجها.

يخطئ بعض الرجال في تعامله مع زوجته، حين يُسمعها كلمات تُشعِرها بثقلها عليه في بيته، ثم يعتذر بأنه كان يمازحها، إن هذه الكلمات مع تكرارها تجعل في قلب المرأة شيئاً يؤرِّقها، وربما انتهى الأمر بما لا يُحمَد. ولعل امرأة تخطئ في حق زوجها في حال خصام، وتُسمِعه كلمات تُشعِره بتضجُّرها منه وسَخَطِها على الحياة معه، إنَّ ذلك يزرع بذور التنافر بينهما.

إذا لم يَشعُر الرجل بأنَّ زوجته تحبُّه، وتقدّره، وتحترمه، ولم تُشعِره زوجتُه بأهميته، وبأنّه سيّدُ البيت، وبأنّه صاحبُ مكانةٍ عندها، وأنّها تنتظره من حين لآخر حتى يأتي.. وإن لم تَشعُر الزوجةُ بحبِّ زوجها لها، وتقديره جهدَها، واحترامه ذاتَها، فقد أخلَّ كلٌّ منهما بهذا الدافع النفسي، ومع مرور الأيام ستؤول الأسرة إلى النزاعات.

*** الحاجة إلى التقدير**

يحتاج الرجل إلى مَن يُقدِّره، ويحترمه، ويستشيره، وكذلك

---

(١) أخرجه الترمذي.

المرأة تحتاج إلى زوج يقدِّرها، ويحترمها، ويسأل عنها بحبٍّ وحنان.

فما المانع مثلاً إذا نوى الرجل أن يشتري أثاثاً جديداً لبيته أن يسأل زوجته عن رأيها، ينظر ماذا تحب، وما اللون الذي ستختار؟ ستشعر هذه المرأة بأنَّ زوجها يُقدِّرها، ويأخذ رأيها، سواء اشترى ما اختارت أو لم يشترِ. يريد أن يُغيِّر مكان عمله مثلاً، ما المانع أن يسألها عن رأيها؟ لعلَّها تفتقد الخبرة في هذا الأمر، لكنها تشعر عند سؤاله إيَّاها بوجودها وإنسانيتها .

أحياناً تُعيد الزوجة ترتيب أثاث البيت، ويأتي الزوج بعد عمله فلا يتفوَّه ببنت شَفَة، يدخل إلى البيت، يسأل عن الطعام، تسكت الزوجة وتقول في نفسها: لعله لم ينتبه لأنه متعَب، الآن ينتبه، ثم يبدأ يُحدِّثها بعد العشاء عن نهاره، وعمله، وما إلى ذلك، ولا يتكلَّم بشأن البيت كلمة! ثم تقول له: ألم تنتبه أني غيّرت غرفة الضيوف إلى غرفة الجلوس مثلاً؟! يقول الزوج: خيراً إن شاء الله!! أعيدي كل شيء إلى مكانه.. غداً..!!!

اجتهدَتْ من الصباح إلى المساء حتى تَسُرَّ زوجها، تَعِبَت لأجل ذلك، لكن الزوج يدخل فلا يأبه بما فَعَلَت، ستشعُر الزوجة بعدم الاحترام والتقدير، ومع الأيام ستهتزُّ الأسرة بالخلافات؛ لأنّ المرأة تزوَّجت باحثة عن ملء الدافع النفسي، تحتاج إلى من يقدِّرها، إلى من يحترمها، إلى من يراعي قراراتها ويراعي شأنها، إلا أن الزوج لم يكترث بذلك!!

أو تكون المسألة على العكس: المرأة تخطّط وتنفِّذ، وتغدو وتروح من غير إذن زوجها، من غير أن تكترث به، يأتي الرجل بعد عَمَله إلى بيته فلا يجد زوجته! يسألها مساءً، تجيب: ذهبتُ لبعض شأني، أو: لديَّ أمرٌ تابعتُه!! سيشعُر الزوج عندها بعدم الاحترام والتقدير، ولعلّه اليوم يسكُت عن ذلك، لكن تراكمات هذه المواقف ستُوقِع البيت في مشكلة كبيرة.

فالزوج الذي يرى زوجته عند الصباح ترعى شأنه وتودّعه إلى الباب، لا يستوي أبداً مع زوجٍ تبقى زوجته نائمة عن واجباتها تجاهه لتستيقظ وقد ذهب إلى عمله.

*** الهرب من الوحدة**

الإنسان اجتماعيٌّ بفطرته، يأنس بالناس ويأنسون به، فلا يستطيع العيش منفرداً، والهرب من الوحدة أحد الدوافع إلى الزواج.

فتاة وحيدة في أسرتها، يخرج أبوها إلى العمل، وتذهب أمها إلى بيوت أقاربها، لتبقى وحيدة في البيت. ستتضايق من الوحدة وتَتَضَجَّر منها، فتَتَطلَّع نحو الزواج لتشعُر بالأُنس مع زوج يجتمع بها، ويجالسها، ويُكلِّمها، ويذهب ويأتي معها.

لكن المشكلة كلَّ المشكلة أن تُبتَلى بزوج يخرجُ من الساعة السادسة صباحاً إلى عمله ليعود في العاشرة ليلاً!

لا بد أنها بعد حين ستطلب الطلاق؛ لأنّها إنما تزوجت هرباً من الوحدة، فجاءها زوج سيُذيقها الوحدة سنوات أخرى، إنها لن تقبَل بذلك أبداً.

٦- الزواج لدوافع خاصة

يتزوَّج بعض الناس متأثِّرين بدوافع خاطئة من دون التفكير في غيرها، وهذا وهمٌ وخَلَل فكريّ كبير، وأتمنى على من وقع في ذلك أن يصحِّح نيَّته، ويطلب من الله تعالى التوفيق إلى الصواب.

فمن الأسباب الخاصة

الحصول على المال: كأن تتزوج الفتاة شاباً بهدف أن يَكْثُر المال بين يديها، أو يزوّجها أبوها من فلانٍ لأنّ ماله كثير، وستَنعُم معه في ماله، دون النظر إلى أخلاقة ودينه وعلمه وسلوكه. قال أحد العلماء: سألني رجل قال: تقدّم شاب إلى خطبة ابنته، لديه معمل، ومنزل في حيٍّ راقٍ من أحياء المدينة، وسيّارة فارهة، لكنه لم يكن ذا دين، ما رأيك؟ أزوِّجه؟ فقلت له: سأنصحك بما قال النبي ﷺ: «**إذا جاءكم مَن تَرضَون دينه وخُلُقَه فأنكِحُوه**»(١)، إذا اجتمع الدِّين والخُلق مع هذه الأمور فبها ونِعمت، وإلا فالدين والخُلُق مقدَّمان.

لم يستجب الأب للنصح، وزوَّج ابنته للشاب، وبعد سبعة عشر يوماً طلَّقها!! والعكس حاصل أيضاً؛ فكم من رجل تزوّج امرأة غنيّة للحصول على مالها. يقول النبي ﷺ: «**تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحَسَبها، ولجمالها، ولدينها**» فإذا اجتمعت الأربعة فبها ونِعمَت، ولكن إذا أردنا أن نُفاضل «**فاظفر بذات الدين تربت**

---

(١) أخرجه الترمذي.

يداك»[١]. اختر الملتزِمة بدينها تربَح. جاء في الحديث: «**من تزوَّج امرأة لعزها لم يزِده الله إلا ذلّاً، ومن تزوَّجها لمالها لم يزده الله تعالى إلا فقراً، ومن تزوَّجها لحُسنِها لم يزده الله تعالى إلا دناءة، ومن تزوَّج امرأة ليغضَّ بصره ويحصنَ فرجه ويصل رحمه فإن ذلك منَّة، وبورك له فيها، وبارك الله لها فيه**»[٢]. إذا كان الدافع إلى الزواج هو الحصول على المال وحَسْب، أو على الجاه وحَسْب دون النظر إلى أمرِ الدِّين، فإن عواقب الأمر لن تكون مرضيَّة في الغالب.

أُقيمَ في أحد الفنادق خلال ستَّة أشهر ستَّة عَشَر حفل زواج، كلَّف الواحد منها الملايين، اتّصلت إدارة الفندق بعد هذه الأشهر الستة بأصحاب هذه الحفلات ليباركوا لهم، فوَجدوا أنّ ثلاث عشرة عائلة من هذه العائلات الستَّ عَشرة قد طُلِّقت، وبقيت ثلاث عائلات!!

زوّج أحدهم أختَهُ لرجلٍ ادَّعى أنّه يملك مجموعة فنادق في إحدى دول الخليج، والفتاة مدرِّسة في الجامعة، ولها مكانتها الاجتماعية، طَمِع الأهل بالمال مع عِلمِهم بأن الرجل غير مَرضي الخلق والدين، تزوّج الرجل الفتاة، وذهب بها إلى تلك البلاد، وإذا به يعمل في فندق من الفنادق! وقد أراد أن يؤذيها بأشياء لا ترضي الله ولا ترضي الشرف. أخبرَت الفتاة أهلَها بالأمر، وبعد صعوبة وجهد كبيرين استطاعوا أن يطلّقوها منه.

---

(١) متفق عليه.

(٢) الطبراني وابن النجار.

فإن كنتَ مُقدِماً على الزواج، أو كنتِ مقدمةً على الزواج لكسب المال وحسب؛ فهذا خطأ كبير.

طلب الشهرة: وتُطلَب الشهرة بالاقتران برجل مشهور، أو بالاقتران بامرأة مشهورة، وإذا قصد الشاب والفتاة الزواج لأجلِ هذا الأمر وحده؛ فهذا خطأ كبير أيضاً.

الزواج للنكاية: كم من رجل تزوَّج على زوجته إضراراً ونكاية وكيداً بها، وقد تعلَم الزوجة الثانية هذا الأمر، إلا أنها لا تكترث به، وتطمع بفرصة الزواج المتاحة لها.

إذا علمَت الفتاة أنَّ دافع الشاب هو النكاية بزوجته الأولى لا غير، فلتعلم أنه على الأرجَح سيُطلِّقُها عندما تنتهي هذه النِّكاية وتعود الأمور إلى مجراها، ولعل ذلك يكون بعد أشهرٍ تَقِلُّ أو تَكثُر.

أعرِفُ شاباً أَرْهَقَتْهُ زوجته، فأراد أن يؤدّبها، فيما يرى، فتزوّج عليها نكاية وإضراراً، فكأنّها عادت إلى رُشدِها، فلما عادت طلَّق الثانية .

لا تَرضي -أيّتها المرأة- أن يكون زواجُكِ نِكايةً في غيركِ، ولعلَّك إن استمرَّ زواجك أن يتزوَّج زوجكِ غيرَكِ نكاية فيكِ.

هذه الأسباب الخاصة هي دوافع عند بعض الناس إلى الزواج، فإذا كانت هذه الأسباب وحدها هي الدافع، فالغالب عدم استمرار هذا الزواج.

وبعد: فهذه هي دوافع الزواج الستة، والغالب أنَّ كُلَّ شابٍّ أو فتاة يتزوجان تتعدَّد دوافعهما، فيمتزج دافعان أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة بعضها مع بعض، لكن يرجَّح واحدٌ على آخر، وكُلُّ هذه الدوافع مشروعة محمودة، إلا دوافع الأسباب الخاصة فإنها غير مرضية ولا مشكورة، والله أعلم.

المحاضرة الرابعة

التأهيل النفسي للمقبلين على الزواج

جَرَت عادة الناس أن الذي يذهب إلى رحلة سياحية يتهيأ نفسياً ومعنوياً لها، وأن الذي سيخوض حرباً يتهيَّأ لها كذلك نفسياً ومعنوياً، وهكذا سائر شؤون الحياة المهمَّة.

وعلى هذا فإن طالب الزواج لا بدَّ أن يستعدَّ لهذه الرحلة الطويلة أيضاً، وأن يتهيأ لما سيقابله ويواجهه بعد الزواج.

يكون التأهيل النفسي للزواج من خلال ثلاث نقاط، هي:

الزواج مسؤولية.

الزواج تضحية.

الزواج قبول للاختلاف.

أولاً- الزواج مسؤولية

على كلِّ مَن أقبل على الزواج أن يعلم أن أعباءً جديدةً ستُلقى على عاتقه، وأنه سيصبح مسؤولاً عن أسرة: زوجة، وأولاد، ومنزل..وغير ذلك.

فالحالة العاطفية وحدها لا تكفي في هذا الأمر، بل لا بدّ أن

يكون الزوج قادراً على تحمُّل المسؤولية المُلقَاة على عاتقه، كما قال رسول الله ﷺ: «ألا كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته..»[1]

ومثله الفتاة، يجب أن تتهيأ لتحمل المسؤولية أيضاً، فالحب وحده لا يكفي؛ لأن الحب جزءٌ من أجزاء كثيرة يبنى عليها الزواج، فإذا وُجِد الحب فلنبحث عن الأجزاء الأخرى.

وما يقال: (الحب إذا وجِد يَسَّر ما بعده!!) هذا القول ليس دقيقاً؛ إذ الحب شيءٌ من أشياء كثيرة يتطلَّبها الزواج، وعلى رأسها تحمُّل المسؤولية.

فكيف ستتصرَّف الزوجة إذا وقع زوجها في إعسار وفقر؟

وكيف سيتصرَّف الزوج إذا مرِضَت زوجته مرضاً شديداً؟

إن كانا متدرِّبين على تحمُّل المسؤولية فسيرعى كلٌّ منهما طرف الآخر، وهذه الرعاية تولّد الحب الذي يُعتَمَد عليه في الحياة، لا الحب المبذول على قارعة الطرقات، المعروض بكلمات العشق والغرام.

وتتحدَّد مسؤولية الرجل بأمرين اثنين، ومسؤولية المرأة باثنين مثلِهما، أشار إليها قول الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [النساء: ٤/ ٣٤].

---

(١) متفق عليه.

فمسؤولية الرجل القوامة أي الإدارة والرعاية. والنفقة.

ومسؤولية المرأة طاعة الزوج. وحِفظُ البيت والأولاد في حضور الزوج وغيبته.

ثانياً- الزواج تضحية

لا يقوم زواج من دون تضحية، ولا يستمر من غيرها.

ليَسأل الشباب آباءهم، ولتسأل الفتيات أمهاتهنّ، كلُّهم بلا استثناء سيجدون أنه ما قامت أسرة واستمرَّت إلا بالتضحية، مراراً ما تعْتَرِضهم صعوبات الحياة ويصبرون، مراراً ما يضحُّون بأثمن ما لديهم لاستمرار الأسرة، لن يجدوا أسرةً استمرَّت في مسيرتها إلا بتضحية من الزوجين؛ لأن الزواج يقوم على التضحية، ولا زواج من دونها.

مات زوج أمّ هانئ الصحابية الجليلة، بنت عمِّ رسول الله ﷺ، وأخت سيِّدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وترك لها أيتاماً، فخَطَبَها رسول الله ﷺ لنفسه، فاعتذَرَت إليه، وذَكَرَت أن لها صِبْيَةً صغاراً؛ يعني: تلتفت إلى تربيتهم، وتخشى إن تزوَّجت وأدَّت حق زوجها أن تَنقُص حق أولادها، وإن أدَّت حقَّ أولادها أن تَنقُص حق زوجها. فعَذَرَها رسول الله ﷺ، وقال: «**خير نساء ركبن الإبل نساء قريش؛ أحناه على ولدٍ في صِغَره، وأرعاه على زوجٍ في ذات يده**»(١).

---

(١) متفق عليه.

لقد ضحَّت أم هانئ بأشرف رتبةٍ ولقبٍ تناله امرأة في العالم، فلو أنها تزوَّجت رسول الله ﷺ لصارت أم المؤمنين في الدنيا والآخرة، ولحازت رتبة السيدة الأولى في مصطلح اليوم.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: (تزوجتُ، فقال لي رسول الله ﷺ: «**تزوجتَ يا جابر؟**» فقلت: نعم، قال: «**بكراً أم ثيباً؟**» فقلت: لا، بل ثيباً، فقال: «**هلَّا جارية تلاعبها وتلاعبك؟**» فقلت: يا رسول الله، إن عبد الله -يعني أباه- مات، وترك سبع بنات، أو تسعاً، فجئتُ بمن تقوم عليهن، فدعا لي) [1]. لقد ضحى جابر رضي الله عنه بلذَّة يبحث عنها كل شاب في زواجه، ذلك بأن تكون زوجته بكراً، ضحى لأجل أن تَسْلَم أسرة أبيه وأمِّه.

ولا ريب أن مَن قدَّم الجماعة على الفرد، وآثر أسرته على نفسه طالباً بذلك ثواب الله تعالى وأجرَه نالَ رضاه سبحانه. عن عوف بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أنا وامرأة سَفْعَاء الخدين كهاتين يوم القيامة -وأومأ بالوسطى والسبابة-: امرأة أَيِمَت من زوجها، ذاتُ منصبٍ وجمال، وحَبَسَت نفسها على يتاماها حتى بانوا أو ماتوا**» [2]. فلا بد لطالب الزواج أن يؤهِّل نفسه للتضحية، وأن يعلَم أن سيره نحو الزواج سيرٌ نحو التضحية، وهو مأجور على ذلك مُثاب عليه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ٩/ ١٢٠].

---

(١) متفق عليه.

(٢) السَّفعاء: هي السوداء، والحديث عند أبي داوود والطبراني.

ثالثاً- الزواج قبولٌ للاختلاف

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ [هود: ١١/١١٨-١١٩].

الاختلاف سُنَّةٌ من سنن الله تعالى في الأرض، ولا تقوم الحياة من دون اختلاف، ومن غير الممكن اتحاد الناس في أحوالهم كلِّها، وقد قال أهل المنطق: (إذا انتفى كلُّ فارقٍ انتفَت الاثنينِيَّة)، لهذا لا بد أن يتهيّأ الزوجان نفسياً ليتقبَّل كلٌّ منهما الآخر على حاله، ثم هما يسعيان إلى التقارب مع مرور الأيام.

أقول: لا يوجد على الإطلاق زوجان متَّفقان في كلِّ شيء (مئة بالمئة)، فإذا كان بين الزوجين اتفاق بنسبة ٦٠٪ فهذا أمر جيد! بل جيد جداً! وإذا كانت النسبة ٥٠٪ فهذا جيد، ومن النادر أن تبلغ النسبة ٧٠٪. لكنْ مع مرور أيام حياتهما الزوجية يزداد التقارب والتفاهم بين الزوجين، الأمر الذي يزيد نقاط الوفاق، ويقلِّل نقاط الاختلاف بينهما.

من أجل هذا أرى أن على كلٍّ من الزوجين أن يتهيأ نفسياً لقبول الاختلاف، لتَسلَم لهما حياتهما الزوجية.

وبعد، فهذه هي النقاط الثلاث في التأهيل النفسي للمقبلين على الزواج:

الزواج مسؤولية. الزواج تضحية. الزواج قبول للاختلاف.

وإنه من الظلم الاجتماعي ألَّا يتأهَّل الشباب والفتيات للزواج تأهيلاً نفسياً صحيحاً، وأشدّ منه أن يتأهّلوا تأهيلاً سلبياً، حين تَملأُ أذهانهم وتَشحَن عواطفَهم ومشاعرَهم كلماتُ الحب والعشق والغرام، يتلقَّونها من الأفلام والمسلسلات والأغاني، فيذهبون نحو الزواج دون استعداد للتضحيةِ ولا لقبولِ الاختلاف، ولا لتحمُّلِ المسؤولية، بل بحثاً عن هذا الذي مُلِئَت به عقولُهم وقلوبهم، فربما وجدوه، وربما افتقدوه، عندها ستُصاب حياتهم الزوجية بمقتَل ولا ريب، والله أعلم.

المحاضرة الخامسة

خمس نقاط حول الزواج

النقطة الأولى: الزواج عبادة

المُقبِل على الزواج -رجلاً كان أو امرأة- مقبلٌ على عبادة؛ لأن أفعال المسلم كلَّها -إذا نوى بها التقوّي على طاعة الله وامتثل فيها أمره عز وجل- كانت له عبادة، فطعامه وشرابه ونومه وزواجه... كلُّه عبادة إن اقترن بنيَّة صالحة وامتثل فيها أمر الله؛ إذ العادات تنقلب بالنية الصالحة إلى عبادات، وتنقلب بالنية السيئة إلى خطيئات.

وبناء على هذا يكون الشاب العازف عن الزواج عازفاً عن عبادة.

دَرَس العلماء في كتب الفقه مسألة تقول: أيهما أفضل: الزواج، أم التفرُّغ للعبادة؟

قال جمهور العلماء: الزواج أفضل من التفرُّغ للعبادة؛ لأن نَفع العبادة قاصر، في حين يتعدى نفع الزواج؛ فالمتزوج يَنفَع نفسَه، وزوجَه، ومجتمَعَه. يقول النبي ﷺ: «**وفي بُضع أحدكم صدقة**»، قالوا: يا رسول الله، أيقضي أحدنا شهوته ويكون له أجر؟ قال:

«أرأيتم لو وضعها في حرام، أليس عليه وزر؟» قالوا: بلى، قال: **«كذلك لو وضعها في حلال كان له أجر»**[١].

فكلٌّ ما يتحمَّله الشاب من متاعب في سبيل الزواج له به أجرٌ، وقد قيل: الأجرُ على قدر المشَقَّة.

النقطة الثانية: المتزوّج مُعَان

قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة حقٌّ على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتَب يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف»**[٢].

المتزوج مُعان من الله سبحانه وتعالى، يعينه مادياً ومعنوياً ونفسياً وإيمانياً وأخلاقياً...

يعين الرجل الذي يكدّ في عمله كل يوم من الصباح إلى المساء لأجل قوت أهله. يعين المرأة تحمِل جنينها تسعة أشهر، وتلاقي في ولادته ما تلاقي من الآلام، ثم تجدها تُسَرّ بذلك. وقد جَرَت سنَّة الله تعالى أنه: **(إذا كَلَّفك أعانك)**.

ذكِر في نوادر الأدب أنَّ أماً رُزِقت بوليد، وتعلَّقت به تعلُّقاً كبيراً، فكانت إذا أزالت عنه ما يخرج منه أنشَدَت تقول:

يا حبذا ريح الولد   مثل الخزامى للبلد

(١) أخرجه مسلم.

(٢) أخرجه الترمذي والنسائي.

أهــكــذا كــل ولــد   أم لم يَلِد مثلي أحَد؟

وعلى الطرف المقابل: مَن ترك الزواج فاتته معونة الله إيَّاه. خاطَبَتْ أستاذة جامعية غير متزوِّجة في كلية الطِّب بجامعة أوربية طالباتها: (أيتها الطالبات، أنصحُكُنّ بالزواج الآن، فإني خَسرتُ أغلى شيء في حياتي، خَسرتُ الأمومة والزواج).

النقطة الثالثة: على قدر بُعدِك عن الحرام قبل الزواج تَسْعَد مع زوجتك بعد الزواج

وهذا ميزان دقيق، أدقُّ من ميزان صائغ الذهب، بل أدقُّ من الشَّعرة.

قام ستة من طلبة كليَّة الطب في جامعة دمشق بدراسة ميدانية - مشروع تخرج- عام (١٩٩٧م)، وكان موضوعها: (العلاقة الجنسية الشرعية وغير الشرعية في مدينة دمشق وريفها)، وُزِّعَت خلال هذه الدراسة استمارات على شريحة اجتماعية عشوائية، وكانت الاستمارات نوعين: (استمارة متزوِّج، استمارة عَزب).

حَوَت كلُّ استمارة مئة سؤال، وكان من ضمن أسئلة المتزوجين: هل كانت لك علاقة غير شرعية قبل الزواج؟ هل أنت سعيد في علاقتك الخاصة مع زوجتك؟

جاءت النتيجة: كلّ الذين كانت لهم علاقات غير شرعية قبل الزواج لم يكونوا سعداء بعده.

هذه النتيجة تدلّ على أن الميزان دقيق، والناقد بصير!!

إن من أخطر ما يقع بين بعض الشباب اليوم أنهم يفلسفون المعصية لأنفسهم، يقولون: شيءٌ من الخَمرة تُنعش الفكرة، والعياذ بالله، ويقول آخرون: إن علاقته غير المشروعة مع الفتيات تدريبٌ على العلاقة المشروعة. أقول: إذا أمرَكَ الله بأمر فامتثل لأمر الله، وإذا نهاك عن شي فانتهِ عنه، فإنه لا يأمرك إلا بالخير، ولا ينهاك إلا عن الشر.

النقطة الرابعة: لا صحّة لكلّ الدعايات الهابطة التي تدعو إلى التدرُّب على العلاقة الجنسية قبل الزواج لأن علاقة الرجل بالمرأة علاقة فطرية

أعجَبُ من بعض الشباب يتحدثون فيما بينهم، يقول أحدهم للآخر: لابدَّ أن تقيم علاقة مع فتاة، حتى تعرف كيف تُكلّم زوجتك بعد الزواج، وكيف تجالسها، وكيف تكون معها في الخصوصيات!! وأعجب من فتاة تقول لصاحبتها: لو أقمتِ علاقة مع شاب، فتعرفي ماذا سيحدُث بعد الزواج!!

ولعل شاباً يعطي صاحبه قرصاً مضغوطاً أو شريط تسجيل مصوَّراً أو ما شابه ذلك، يقول له: شاهِدْه من أجل الزواج، لتعرف كيف تتزوَّج، وماذا يحدث في الزواج!! ولعل الفتاة تفعل ذلك. والأعجب من هذا أن تأتي أمٌّ لابنتها بمثل هذا الشريط، أو يأتي أبٌ لابنه به!

إن هذه المقولات خاطئةٌ بلا ريب، بل تقِفُ على حافة الهاوية لتُردي بمُصَدِّقها في أودية السّوء والمعصية.

أقول: العلاقة الخاصة بين الزوجين علاقةٌ فطرية، فلو افترضنا وُجود رجل وامرأة من دون ثالث في هذا الكون، وأمَرَهما الله تعالى بالزواج لَعَلِمَا كيف يتمُّ الزواج، وهكذا تمّ الأمر بين آدم وحواء عليهما السلام. وفي هذا المعنى نقول: مَن الذي علَّم الوليد أن يلتَقِم ثديَ أمِّه بادئ الأمر؟ من الذي علَّمه أنَّ رِزقَه في هذا المكان؟ في كليَّات طب الأسنان تُدرَس عمليَّة الرضاع لدى الوليد على أنها عمليَّةٌ فيزيولوجيةٌ معقَّدة، وليست مجرَّد عمليَّة مصٍّ بسيطة! تُرى مَن الذي علّم الرضيع هذه العملية؟ إنه الله، الذي أراد استمرار الناس في الحياة، فعلّمهم وفطَرَهم على ما يُصلِح حالهم، ويكفَل دوامَ بقائهم.

مَن الذي درَّب الولد أن يرفع يده إن وضعها على شيء حار حتى لا تحترق؟ من الذي علَّمه أن يبكي إذا جاع؟ إنها الفطرة التي استودعها الله تعالى في كل إنسان.

ومن هذه الفطرة كانت العلاقة الخاصة بين الزوجين، علاقة فطرية لا تحتاج إلى فلسفة وتعقيد، وكلُّ الدِّعايات الهابطة والساقطة تسعى إلى طيِّ هذه الفطرة، ونشر الرذيلة والإساءة إلى الجيل.

بل إنَّ لهذه الدعايات مفعولاً مغايراً لما يدّعي مروِّجوها، فقد ثَبَتَ علمياً أن من يشاهد الأفلام الجنسية الهابطة، رجلاً كان أو امرأة، لا يرتاح أبداً في علاقته الخاصة مع زوجه؛ لأنها تحتوي على أخطاء جنسية فادحة، لها نتائج وخيمة على الزوجين، ولأنَّ

الرجال يختلفون بعضهم عن بعض، وكذلك النساء يختلفن، والمعيار نسبيٌّ، فما يعجب هذا يشمئزّ منه ذاك، وما تحبُّه هذه تنفرُ منه تلك، وهكذا الأمر، لكلٍّ خصوصيته، ويلهمُه الله تعالى إشباع حاجته مع زوجه فطرةً مع انضباط بالشرع.

ثم إننا عبيدٌ، إذا قالَ لنا ربنا: غُضوا أبصاركم، غضضنا أبصارنا، نُنفِّذ أمرَ ربِّنا، عَلِمنا المقصد أم لم نَعلَم، فهمنا الحكمة أم لم نفهم، ولا نفلسِف المعصية التي تُفسِد الأسرة وتُدمّر روابطها.

النقطة الخامسة: أصعب عام في الزواج هو العام الأول

هذه حقيقة علمية؛ ذلك لأن الزَّوجين شخصان مختلفان، جاءا من بيئتين دينيَّتين وثقافيَّتين واجتماعيَّتين وماديَّتين... مختلفتين.

وبدءاً باليوم الأول للزواج سيشترك الاثنان في دقائق أمور الحياة وجليلها، والمتوقَّع علمياً أن يختلفا اختلافات كثيرة، ولا شكَّ أنَّ تحويل الخلاف إلى تكامُل لا إلى تقاتُل أمرٌ ليس بالهيِّن، لذلك قلنا: أصعب عام في الزواج هو العام الأول، ومن ثَمّ يكون العام الثاني أسهل، بسبب تفهُّمِهمَا لطريقة تعاملٍ أفضل أحدهما مع الآخر، ثم العام الثالث أحسن، وهكذا.. كلَّما مر عليهما الوقت ازداد الوفاق، وقلَّ الخلاف، أو قُل: استطاعا احتواءه والتعامل معه. فلا يتشاءم الزوجان مما يَعْتَرضهما من اختلافات في سنتهما الأولى، بل ليواجها ذلك بأمل وعزيمة، وتصميم على تجاوز العقبات واستمرار الحياة.

كتَبَت الجرائد في إحدى الدول العربية: (أصبح الطلاق في السنة الأولى ظاهرةً في البلد)، وأظنُّ أنَّ سائر البلاد مثلها، وما ذلك إلا بسبب ما يظنه القادمون على الزواج أنه حبٌّ، ووئامٌ، وشهرُ عسل، وسلام، من دون صعوبات ومنغِّصات، فإذا تزوَّجوا وجدوا الأمر على غير ما استعدوا له.

ولو أننا هيأنا القادمين على الزواج تهيئة صحيحة وذكَرْنا لهم الحبَّ والوئام الواقع في الزواج، والصعوبات والخصام فيه، ودرَّبناهم على قبول الإيجابيات، وطُرُق معالجة السلبيات لكان الأمر على غير ذلك.

وأعود لأقول: أصعب عام في الزواج هو العام الأول، ثم العام الثاني أحسن، والثالث أحسن، ثم يصل الزوجان بعد مدة إلى مرحلة تتقارب آمالهما وآلامهما تقارباً كبيراً، بل إنَّ دراسات حديثة تذكُر أن الزوجين اللذين يعيشان أحدهما مع الآخر سنوات طويلة تتقارب أشكالهما، ويتشابهان حتى في معالم وجهَيهِما.

وبناءً على ذلك؛ فإن التفكير بالتراجع، أعني: الطلاق، في العام الأول للزواج وقياس الحياة المستقبلية عليه، والتسرُّع بإصدار الأحكام فيه أمرٌ خاطئ؛ لأن ما بعد العام الأول غالباً ما يكون أفضل منه، ولا ننسَ أنَّ الأجر على قدْر المشقَّة.

وبعد، فهذه خمس نقاط حول الزواج عرضتها في هذه المحاضرة:

الزواج عبادة. المتزوج معان. على قدْر بُعدك عن الحرام قبل

الزواج تَسعَد مع زوجك بعد الزواج. لا صحَّة لكلّ الدعايات الهابطة التي تدعو إلى التدرُّب على العلاقة الجنسية قبل الزواج؛ لأن علاقة الرجل بالمرأة علاقة فطرية. أصعب عام في الزواج هو العام الأول.

والله أعلم.



المحاضرة السادسة

اختيار الزوجة

لعل أهمَّ قرار يتَّخذه الإنسان في حياته قرار اختيار الزّوجة، اختيار شريكة الحياة، وأُمِّ الأولاد؛ لأن مستقبل حياته مرتبط بهذا القرار؛ إذ يعيش المرء بعده حياة سعيدة أو غير سعيدة، وعليه أن يُراجع به نفسه كثيراً، ويستشير له طويلاً، ويستخير ربه جل وعلا.

تُسهّل بعض الأفلام والمسلسلات التي لا تنضبط بضوابط الشريعة للشباب أمر الاختيار من خلال قرارات مستعجَلة مغطّاة بكلمات رنانة، وشعارات مزيَّفة (كالصداقة، والإعجاب، والحب، والعشق، والغرام، وما إلى ذلك...)، إنها تغرر بالشباب والبنات، وتخدعهم من حيث يدرون أو لا يدرون.

فالإعجاب وحده لا يكفي، وكلام الحب لا يُعتمَد عليه منفرداً في هذا القرار المهمِّ جداً؛ لأن الحياة لا تسير بالعواطف وحَسْب. يقول الله عزّ وجل: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢/ ٢٠١].

قال سيدنا علي رضي الله عنه في تأويل هذه الآية: ﴿فِى ٱلدُّنْيَا

حَسَنَةً﴾: الزوجة الصالحة. ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾: الحور العين. ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾: المرأة السوء[1].

فالاختيار الصحيح للزوجة يعطيك الدنيا الحسنة، في حين يعطيك الاختيار الخاطئ عذاباً وتعباً.

ثم إن الزوجة الصالحة والذريَّة المؤمنة تَلْحَق الزَّوجَ والأبَ في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزخرف: ٤٣/ ٧٠].

وقال ربنا: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ [الطور: ٥٢/ ٢١].

لذلك يحتاج اختيار الزوجة إلى تروٍّ، وتعقُّل، واستشارة، واستخارة، ولا يُقبَل فيه استئثار النَّزوة أو العاطفة، أو الميل القلبيّ دون إشراك عوامل عشرة سنأتي على ذكرها.

قال رسول الله ﷺ: «**تخيَّروا لنُطَفِكُم، فانكِحوا الأكفاء وأنكِحوا إليهم**»[2]. كان عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه يقول لأولاده: «يا بَنيّ، الناكحُ مُغْتَرِس، فلينظر امرؤٌ حيث يضع غَرْسَه، والعِرق السّوء قلما يُنجِب إلا مثلَه»[3].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي، ٢/ ٤٣٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه والحاكم.

(٣) ذكره الجاحظ في: البيان والتبيين.

وقبل أن أذكر النقاط العشر التي ينبغي أن يبحث الشاب عنها فيمن يتزوج أحبُّ أن أقول للمتزوجين: لا تُحَدِّث نفسَك -أيها المتزوج- وأنتَ تقرأ هذه العوامل العشرة فتقول: هل حقَّقَتْ زوجتي هذا أم لم تحقِّقه؟ بل أنصحك بثلاث نصائح: **أولاً**: ارْضَ بما قَسَمَ الله لك؛ لأنك لو اطّلعت على الغيب لاخْتَرتَ الواقع. **ثانياً**: ادعُ لزوجتك، وعلِّمها بلطفٍ ورحمة، فلعلك ستقرأ مثلاً أن إحدى الأمور التي على الشاب أن يبحث عنها في زوجته (النظافة)، فإن لم تكن زوجتك على درجة عالية من النظافة فادعُ لها أن يوجّه الله قلبها لهذا الأمر، وانصَحْها بلطفٍ ورحمة .**ثالثاً**: خذ بيدها واذهبا معاً إلى مجلس علم فإن مجالس العلم رحمة لأهلها، وهي جِنانُ الأرضِ قبل جِنان السماء.

عشر نقاط على الشاب أن يبحث عنها فيمن يريدها زوجة

أولاً- الإسلام

يحرُم على المسلم أن يتزوج مشركة، وإن كانت جميلة، ومنظرها حسناً، وكلامها معسولاً، وضحكتها لافتة... قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٢١].

فلعلّ شاباً يُعجَب بفتاة مُلحِدة، لا تؤمن بالله أبداً، ولعله يسافر إلى بلد غربي فيُعجَب بامرأة هندوسية، فلا يجوز له أن يتزوجها ولو أعجبته.

قصة مَرْثَد الغَنَوِيّ ﷺ مع عَنَاق: وَلَعَ مَرْثَد الغنوي -الصحابي

الجليل- قبل إسلامه بفتاة اسمها عَنَاق، ولم تكن عَنَاق هذه على صلاح أو خير، بل كانت مشركة زانية، والعياذ بالله.

أحَبَّ مَرْثَد ﷺ عَنَاقاً وأراد أن يتزوَّجها، إلا أن الحبَّ وحده لا يكفي للزواج، بل لا بد من ضَبْطِه بضوابط الشريعة، ثم أسلَم مَرْثَد دون عَنَاق، وهاجر من مكة إلى المدينة.

روى الترمذي وغيره من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: (كان رجلٌ يقالُ له مَرْثَد بنُ أَبي مَرْثَد، وكان رجلاً يَحمل الأَسَراءَ من مكة، حتى يأتِيَ بهم المدينة، قال: وكانت امرأَةٌ بَغِيٌّ بمكة، يقال لها عَنَاق، وكانت صَديقَةً له، وإنه كان وَعَدَ رجلاً من أُسَارَى مكةَ يحمِله، قال: فجئتُ حتى انتهيتُ إلى ظِلِّ حائطٍ من حَوائط مكة، في ليلةٍ مُقْمِرَةٍ، قال: فجاءت عَنَاق، فأبْصَرَتْ سوادَ ظِلِّي بجنْبِ الحائطِ، فلما انْتَهتْ إليَّ عَرَفَتْني.

قالت: مَرْثَد؟

قلتُ: مَرْثَد.

قالت: مَرْحباً وأهلاً، هَلُمَّ فبِتْ عندنا.

قلتُ: يا عَنَاق، حَرَّمَ الله الزِّنا.

قالت: يا أهلَ الخِيام، هذا الرجلُ يحمِل أُسَراءكُم.

قال: فَتبِعَني ثمانيةٌ، وسَلَكْتُ الْخَنْدَمَةَ[1]، فانتهيتُ إلى غارٍ، أَو كَهْفٍ، فدخلتُ، فجاؤوا حتَّى قامُوا على رأْسِي، فَبالُوا، فَظلَّ

---

(١) الخندمة: جبل معروف عند مكة.

بَوْلُهُمْ على رأسي، وعَمَّاهُم الله عَنِّي، قال: ثم رجَعوا، ورجَعتُ إلى صاحِبي، فَحمَلْتُهُ -وكانَ رجلاً ثقيلاً- حتى انتهيتُ إلى الإذْخِرِ، ففكَكْتُ عنه أَكْبُلَهُ، فجعَلتُ أَحمِلُه، ويُعْيِيني حتى قَدِمتُ المدينةَ، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ، فقلتُ: يا رسول الله، أَنْكِحُ عَنَاق؟ فأمسَكَ رسولُ الله ﷺ فلم يَرُدَّ شيئاً، حتى نَزلت: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ [النور: ٢٤/٣]، فقال رسول الله ﷺ: «يا مَرْثَد، ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾، فلا تَنْكِحْها»[1].

فيَحرُم على المسلم أن يتزوج مشركة، أو مَن لا دين لها، ويجوز له الزواج من الكتابية (يهودية أو نصرانية) لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾ [المائدة: ٥/٥].

ولكن هذه الرُّخصة الشرعية -أعني: الزواج بالكتابيات- لها ضروراتها؛ إذ لا يُنصح في هذا الزمان أن تُرَبي امرأةٌ يهودية أو نصرانية أولاد المسلمين؛ فالرجال يقضون معظم نهارهم خارج بيوتهم، فمَن سيُرَبي الأولاد؟ امرأة نصرانية أو يهودية!؟

---

(١) أخرجه الترمذي وأبو داوود والنسائي.

والأسوأ إن كانت غربيَّة غير مسلمة، لأنها ستربيهم على عاداتها وتقاليدها البعيدة عن الإسلام غالباً.

ومعظم الذين تزوّجوا الكتابيات غير سعداء في حياتهم، فيما نعلم، والقليل النادر هم الذين نجحوا في هذه التجربة وأسلَمَتْ زوجاتهم.

ثانياً- الصلاح

المرأة الصالحة تحمي ظهر زوجها، وترعى ذمَّته، قال رسول الله ﷺ: «...**فاظفر بذات الدين تَرِبَت يداك**»[١]. وقال أيضاً: «**الدنيا كلُّها متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة**»[٢].

خير متاع الدنيا: خيرٌ مِن عَمَلِكَ، وخيرٌ من شهادتك الجامعية، وخيرٌ من مؤسَّستك، وخيرٌ من شركتك، وخيرٌ من مالك... والمرأة الصالحة خيرٌ من ذلك كلّه. وقال ﷺ أيضاً: «**ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة، إنْ أَمَرَها أطاعته، وإنْ نَظَرَ إليها سرَّته، وإنْ أَقسَمَ عليها أبرَّته، وإنْ غاب عنها نَصَحَتْه في نفسها وماله**»[٣].

تزوج شاب فتاة بعد أن أحبَّها وأحبَّته، ويظهر أنه لم يراعِ النقاط العشر المتمّمة التي بين يديك، وبعد أشهر من الزواج فوجئ بعلاقة غير مشروعة لزوجته مع جاره، تُرَى ما فائدة هذا الحب هنا؟!

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه مسلم والترمذي.

(٣) أخرجه ابن ماجه.

أيكفي الحب وحده دون صلاح المرأة، أم لا بد من المرأة الصالحة التي تحفظ عرض زوجها وماله؟!

وقد يظنُّ ظانٌّ أن المراد بصلاح المرأة حفاظها على صلاتها وصومها وأورادها وحسب، لكن الحديث النبوي الشريف يضيف إلى هذا المعنى معاني أربعة، فيفصّل في وصف المرأة الصالحة التي تَصلُح أن تكون زوجة بقوله: زوجة صالحة: ١- إن أمَرَها أطاعته. ٢- إن نَظر إليها سرّته. ٣- إن أَقسَم عليها أبرَّته. ٤- إن غاب عنها نَصَحَته في نفسها وماله.

ألا فلتَعلَم كل امرأة مسلمة أنَّ صلاحها في حديث رسول الله ﷺ يكون بطاعتها زوجَها، وبتجمُّلها له، وببرِّها يمينَه، وبحفْظِها لنفسها وماله في حَضْرَته وغَيْبَته، مضافاً إلى ذلك كلّه حفاظها على صلاتها وصومها وأورادها.

ثالثاً- الوعي

اختر زوجة واعية لتُريحك في زواجك، والمرأة الواعية هي التي تُدرِك شيئاً عن تدبير المنزل، وشيئاً عن الحالة الاقتصادية، وشيئاً عن تربية الأولاد، وشيئاً عن رعاية الزوج، وشيئاً عن الثقافة العامة، ولها محاكمات عقلية مقبولة؛ لأن الزوجة إن لم تكن واعية أوقَعَت نفسها وزوجها في مشكلات كثيرة، وأساءت إساءاتٍ كبيرة من حيث تدري أو لا تدري.

طلَّق النبي ﷺ ابنة الجون -الجونية- ليلة العرس لأنها غير واعية. فعن أبي أسيد السَّاعدي ﷺ قال: (تزوَّج رسول الله ﷺ

أسماء بنت النعمان الجونية، فأرسلني فجئتُ بها، فقالت حفصةُ لعائشة: اخضبيها أنت، وأنا أمشطها، ففَعَلَتا، ثم قالت لها إحداهما: إنَّ النبي ﷺ يُعجِبه من المرأة إذا دخَلَت عليه أن تقول: أعوذ بالله منك!! فلما دخَلَت عليه وأغلق الباب وأرخى السّتر، مدَّ يده إليها فقالت: أعوذ بالله منكَ!!! فقال رسول الله ﷺ بكمِّه على وجهه فاستَتَر به، وقال: «**عُذتِ بمَعَاذ**، ثلاث مرات». قال أبو أسيد: ثم خرج إليَّ فقال: «**يا أبا أسيد، ألحِقهَا بأهلها، ومتِّعها برازقيتين**[1]»، فكانت تقول: ادعوني الشقية)[2].

معنى الحادثة: أن النبي ﷺ عقد على هذه المرأة، ثم زُفَّت إليه، ويظهر أن ضرائرها أرَدْنَ الإيقاع بها، لما رأوا من بساطة فكرها ووعيها، فقالت لها إحداهنّ: إذا اقترب منكِ النبي ﷺ فقولي له: أعوذ بالله منك. ففَعَلَت المرأة ذلك عندما اقترب منها زوجها ﷺ في ليلة الزفاف، فكأن النبي ﷺ قرأ وعيَ هذه المرأة من كَلِمتها تلك، ومن قبولها للنصح من ضرائرها، فطلَّقها.

ولسائلٍ أن يسأل: أليس في طلاق النبي ﷺ المرأةَ في ليلة العرس قسوة وشدة؟

الجواب: بلى، وهي شدَّة في محلها؛ لأن غرفة القيادة التي في الطائرة -مثلاً- لا يصلُح أن يدخل إليها رجل بسيط جداً! لعله يخطئ خطأً يهوي بالطائرة في مكان سحيق. ولو قال لقائد الطائرة:

---

(١) الرَّازقيَّة: ثياب كَتَّان بيضٌ.

(٢) أخرجه الحاكم، وأبو نعيم في: معرفة الصحابة، وعند البخاري بنحوه.

أرجوك، دعني أجلس مكانك دقيقتين فقط! وأطاعه قائد الطائرة، لكَفَت هاتان الدقيقتان للقضاء على الطائرة بمن فيها، فلابد من إخراجه سريعاً بحزم وشدَّة، ولو بكى الرجل، ولو حَزِن، لو كُسِرَ خاطره، والقاعدة تقول: يُرتكب أخف الضررين لدفع أكبرهما. ورسول الله ﷺ قائد أمَّة، ولا يصحُّ أن يدخل إلى غرفة قيادته إنسان بلا وعي، لهذا كان هذا الطلاق الحكيم منه ﷺ.

كيف يُعرَف وعيُ الفتاة؟

يستطيع الشاب أن يستقرئ وعيَ مخطوبته وإدراكها من خلال مناقشة موضوعٍ معيَّن، وإلقاء عدَّة أسئلة مفتوحة يتعرَّف بها وجهةَ نَظَرها في الحياة، كأن يسألها عن رأيها في الزواج، أو عن رأيها في العلم...، وهكذا.

يقول مثلاً: اسمي فلان، درستُ في جامعة كذا، أو أعملُ في مجال كذا، أَبني نفسي أولاً بأول، ما اسمك؟ ستقول: فلانة، أدرُس في المدرسة الفلانية. يقول لها: كيف المدرسة؟ فإذا قالت مثلاً: أنا ورفيقاتي علاقتنا وطيدة جداً، نتبادل أشرطة الأغاني الجديدة، نمزح، نلعب..!! فهذا يَدلُّه على شيء. وإذا قالت: أرى بأن المادة العلمية المقدَّمة في المدرسة عالية، ويحتاج الطالب إلى دورات للتقوية تساعده، فلا شك أن هذا يدل على شيء مختلف عن الذي دلَّ عليه الجواب الأول.

ثم يسألها: كيف المنهاج المقرَّر؟ فقد تجيب: المدرِّسات لسنَ جيِّدات..!!

فمن خلال أجوبتها هذه سيبدو عقلها ووعيها وتصرفاتها.

أو إذا سَأَلَتْه: هل احتفلتَ بعيد الحب في هذا العام؟! تسألُ عن عيد الحب والحروب معلَنة في المسجد الأقصى! ويُذبح الناس في العراق تذبيحاً كالدجاج، فهذا مؤشر إلى عدم وعيها، بل إلى ضعف إدراكها.

فليَدَعْها تتكلم، وليسمع منها ما تقول؟ كيف تفكر؟ ما المخططات التي في ذهنها؟ ليستقرئ من ذلك وعيَها؛ إذ المرأة الواعية التي تحسِن التصرّف تُريح زوجها، والمرأة الحمقاء تُتعِبه، وقديماً قالوا: لا تصحَب الأحمق، فإنه يريد أن ينفعَك فيضرك.

لكلِّ داءٍ دواءٌ يُستَطَبُّ به إلا الحماقة أعيَتْ من يداويها

رابعاً- الحياء

قال رسول الله ﷺ: «**إنّ لكلِّ دينٍ خُلُقاً، وخُلُقُ الإسلام الحياء**»[١]. وقال أيضاً: «**إذا لم تَستَحِ فاصنع ما شئت**»[٢].

الحياء مادة مهمَّة في المرأة، وإذا كان الحياء في الرجال جميلاً فهو في النساء أجمل، وإذا كان الحياء في الرجال زيناً فهو في النساء أزين، وجمال المرأة في حيائها، والمرأة الحييَّة امرأةٌ كريمة جداً، أما المرأة الرَّجِلة التي تَضحَك كالرجال، وتمشي مشيتهم، وتَلِج وتخرج ولوجهم وخروجهم، فقد لَعَنَها رسول الله ﷺ كما أخرج أبو داوود من حديث عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة،

---

(١) أخرجه مالك والطبراني.

(٢) أخرجه البخاري وأبو داوود.

قال: (قيل لعائشة ﵂: هل تلبس المرأة النَّعل؟ فقالت: «**قد لَعنَ رسولُ الله ﷺ الرَّجلَةَ مِنَ النساء**»).

وثمة فارق بين الخجَل والحياء فالحياء هو: (انطواءٌ في النفس يمنع من ارتكاب المحرَّمات أو المنهيَّات)، والخجل هو: (انطواء في النفس، وضعف في الشخصية، منبَعُهما الخوف، يمنعان صاحبهما من أخْذِ حقِّه). فالحياء محمود، وهو دليل قوة، والخجل مذموم، وهو دليل ضعف.

كيف يُعرَف حياء الفتاة؟

يعرَف من سلوكها في الحياة، ومن علاقاتها مع مَن حولها، كما يعرف من نقاش الخاطب معها، ومن حديثها مع أبيها وأمِّها أمامه. هذا، ويعدُّ ثوب المرأة ولباسها الذي اختارته لنفسها عنواناً عليها، ومشعِراً بما تُكنُّه في داخلها من حياء أو عدمه، وإن كان لا يدل دلالة كاملة على ذلك.

أراد شاب خطبة فتاة، ولما سأل عنها وَجَدَ المعطيات العامة مقبولة، فاتصل بأهلها واستأذنهم بالمجيء مع أهله لخطبتها فوافقوا، جاء الشاب مع والدته إلى بيت الفتاة، وتكلم معها بوجود أبويها. قال لي: شَعَرتُ لما تَكلَّمَتْ معي كأنها تتكلم مع رجل تعرفه، أو صديقة تعرفها. عاد إلى بيته، وبدأ يدرس ويراجع الأمر، ثم رأى أنه بحاجة إلى الذهاب مرة ثانية إلى بيت أهلها، سأله أخوها بعد يومين: ماذا جرى معك؟ فأجابه: أرغب في المجيء إليكم مرة ثانية أنا ووالدتي، قال الأخ: حسناً، سأستأذن لكَ والدي وأجيبُك. وفي اليوم التالي جاء أخو الفتاة إلى الخاطب

وقال: أنا موافق على زيارتك الثانية إلى بيتنا، وأبي كذلك، لكن أختي -صاحبة العلاقة- قالت: إنها لن ترضى بقدومك إلا إذا ألبستها الخاتم، يعني إلا إذا قررتم الموافقة وألبستم الخاتم! جاء الشاب ليسألني، قلتُ: لا أنصحُك بخطبة هذه الفتاة أبداً، قال: ولِمَ؟ قلت: انظر ماذا قال أخوها: هو وأبوه موافقان، أما هي فغير موافقة إلا بشروطها، وكلامها هو الذي سينفذ في المسألة، فإن كانت لا تستحيي من أبيها، ولا تحترم كلِمَته، وكذلك حالها مع أخيها الكبير، تُرى هل ستستحيي منك وتحترم كَلِمتك غداً إذا تزوَّجتما؟ دعْها، إنها لا تَصلُح لك.

الحياء مادة مهمَّة في المرأة، ولا خير فيمن فقدَتْه، وإن مما يدعو إلى الأسى اليوم أن ترى بعض الفتيات يتكلمن مع الشباب الغرباء، ويمشينَ معهم، ويذهبن ويرُحنَ، وإذا نظرتَ في هاتف إحداهن المحمول رأيتَ أسماء رجال غرباء، تسألها عن أحدهم فتقول: هذا زميلي في العمل، وتسألها عن الآخر فتقول: صديقي في الجامعة! وتسألها عن الثالث فتقول: ابن الجيران، يوصِلني إلى بيتي ليحميَني من الأغراب! فأيُّ حياءٍ لهذه الفتاة؟! لا ريب أنها لا تصلُح زوجة ما دامت كذلك.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رَسولَ الله ﷺ مَرَّ على رَجُلٍ من الأنصار وهو يَعِظُ أخاه في الْحياء، فقال رسولُ الله ﷺ: «**دَعْهُ، فَإنَّ الحياءَ من الإيمان**»[1].

(١) متفق عليه.

خامساً- الطاعة

سبق وصفُ النبي ﷺ الزوجة الصالحة بأنها مطيعة لأمر زوجها: **«ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة، إنْ أَمَرَها أطاعته، وإنْ نَظَرَ إليها سرَّته، وإنْ أَقسَمَ عليها أبرَّته، وإنْ غاب عنها نَصَحَتْه في نفسها وماله»**.

والمرأة تطيع زوجها لأنَّه مدير البيت، والمدير يُطاع، ولا يستقيم أمرُ جماعةٍ من دون السَّمع والطاعة لرئيسها.

والعَجَب أنّ بعض الناس عندما يتحدثون عن طاعة الطالبة لمدرِّسها في أمور الدراسة، وطاعة الموظفة لمدير المؤسسة في أمور العمل، وطاعة الأستاذة الجامعية لعميد الكلية في أمور التعليم، وطاعة الطبيبة لمدير المشفى في المسائل الطبية...، أقول: عندما يتحدَّثون عن طاعة المرأة للرجل في هذه المسائل لا يجدون فيها بخساً لحقِّ المرأة ولا تهاوناً فيه، بل على العكس من ذلك، يرون في طاعتها له كمالاً، وفهماً، وحكمة، لكنَّهم إذا وصلوا إلى الحديث عن طاعة المرأة لزوجها تغيرت آراؤهم، وتبدَّلت مواقفهم، وعدّوا طاعتها له بالمعروف نقصاً وعيباً وتخلُّفاً. الصواب أن طاعة المرأة لزوجها بالمعروف دليل على كياسة وفهم، ومؤشر إلى سلامة مركب الزواج.

كيف تُعرف طاعة الفتاة لزوجها قبل الزواج؟

تُعرَف من طاعة أمِّها لأبيها، وطاعة أختها لزوجها؛ لأن الغالب

أن البنت ابنة أمِّها وتلميذة أختها، وبالسؤال عنهما يتَّضح حال البنت التابع لحالهما، غالباً.

ثم إن هذا الأمر قد يظهَر في عدة مواقف في أثناء الخطبة، فمثلاً: يتصل الشاب أو أمّه بعائلة ما، ويتَّفقان على موعد لرؤية الفتاة، وتكون المعطَيات جيّدة على العموم، لكن الشاب يلاحظ غياب الأب المادي والمعنوي عن المسألة! فالأم هي التي تنسِّق موعد القدوم، وهي التي تتصدَّر الحديث، وهي التي تتولى إبرام الأمور، وعندما يطلب الشاب الحديث مع والد الفتاة تجيبه الأم دون الرجوع إلى الأب. تقول الأم مثلاً: المهر يا بني كذا، شروط قبولنا بك زوجاً لابنتنا كذا...، وهكذا، كلما أراد الشاب أن يتكلم مع والد الفتاة أدارت الأم الحوار بعيداً عن الرجوع إلى الأب، ولعلها إن تكلم الأب أسكتته.

أقول: هذه أسرة لا يُنصَح بمصاهرتها؛ لأن الأم لا تطيع الأب، والغالب أن حال البنت غداً مع زوجها كحال أمها اليوم مع أبيها؛ لأنها قدوتها، والعائلة المناسبة هي التي تكون فيها الأم مطيعة للأب وتبعاً له.

سادساً- الجمال

يَعُدُّ الإسلام الجمال واحداً من مرغبات الزواج بالمرأة عندما قال رسول الله ﷺ: «**تُنكَح المرأة لأربع: لمالها، ولحَسَبها، ولجمالها، ولدينها. فاظْفَر بذات الدين تَرِبَتْ يداك**»[1]. والجمال أمرٌ نسبيٌّ

(١) متفق عليه.

لا يخضع لمعايير ثابتة، وما يراه إنسانٌ جميلاً قد يراه غيره قبيحاً، وما يراه الزوج من زوجته حَسَناً، قد يراه غيره على خلاف ذلك.

من هنا تبرز مسألةٌ مهمة يقع فيها اختلاف بين الشاب وأمه، فالأم تعجَب بجمال فتاة، وتطلبها زوجاً لابنها، فإذا رآها الابن لم تعجبه، وربما حَدَث العكس، يُعجِب جمال فتاة شاباً، فإذا رأتها أمُّه لم تعجبها. والصواب في هذه المسألة اتباع رأي الشاب، لا الأم؛ لأنه هو الذي سيتزوج، والمعوَّل على إعجابه هو، لا إعجاب أمه فيما يتعلَّق بمسألة الجمال. فأنصح كل أمٍّ ألَّا تُجبِر ولدها على قبول اختيارها.

ثم إن مَن أراد أن يتزوج جميلة فليراعِ مع جمالها ثلاثة أمور مهمّة:

الأمر الأول: أن يكون جمالها لبيتها ولزوجها، وليس مبذولاً للعموم: للطريق، ولأبناء الشارع، وللجيران، وللأصدقاء، وفي العمل، ولحفلات الاختلاط خارج البيت.. إذا كان الأمر كذلك فسوف يقتله جمال هذه المرأة.

الأمر الثاني: ألَّا تكون مفتونةً بجمالها، كأن ترى نفسها فوق الخلائق، وأنها أفضل البنات، وأنها من عِرقٍ خاص، فإن كانت كذلك فسوف تتكبَّر عليه، ولعلَّ أكثر شيء يغيظ الرجل تكبُّرُ زوجته عليه. ذُكِرَ أنَّ رجلاً أعمى تزوَّج، فاستغلَّت زوجتُه عماه، وكانت تقول له، متكبِّرة عليه، بين الحين والآخر: لو كنتَ تُبصِر جمال وجهي ووجنتيّ، لو كنتَ تُبصِر جمال عينيّ وحاجبيّ، لو كنتَ

تُبصر تورُّد خدّيّ... فلما كَثُر ذلك منها قال لها زوجها الأعمى: دعينا منك يا امرأة، لو كنتِ كما تقولين لما تَرَكَكِ المبصرون لأعمى مثلي!!

الأمر الثالث: أن يكون جمالها محفوظاً بدينها: فالجمال في المرأة حَسَن، والأحسن منه أن يكون محفوظاً بالدين، مكلّلاً بالعفة والسّتر.

عُرِضَت على فيلسوف مجموعة من النساء الجميلات، وقالوا له: أي واحدة منهنّ تختار؟ فأشار إلى تلٍّ بعيد تقف أعلاه امرأة، وقال: أختار تلك المرأة الواقفة على ذلك التّل!! سألوه: لِمَ؟! قال: لأنها بعيدة عن الأيدي والأنظار.

سابعاً- الحسب

وهو شرف الآباء والأجداد، والشَّرف التقوى وسلامة الترابط الأسري، ومَن أراد أن يتزوَّج فليتزوَّج امرأة من معدن نفيسٍ معروفٍ بالعفة والأدب، ومن أسرة مترابطة متعاونة؛ لأنَّ المرء ابن بيئته، سواء كان شاباً أم فتاة. قال رسول الله ﷺ: «**تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحَسَبها، ولجمالها، ولدينها. فاظْفَر بذات الدين تَرِبَتْ يداك**»[١]. وقال أيضاً: «**تخيَّروا لنُطَفِكم، فإن النساء يَلِدْنَ أشباه إخوانهنّ وأخواتهنّ**»[٢]. وقال أيضاً: «**الناس معادن كمعادن الذهب والفضة**»[٣]. ويقول أهل الشام: (ثلثا الولد لخاله).

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه ابن عدي وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه مسلم وأبو داوود.

فلينظر العاقد في أخبار إخوة الفتاة المخطوبة وأسرتها: ما أحوالهم؟ وما أوضاعهم؟ وما أخبار والدها، وعمِّها، وخالها؟ كيف تَرابُط الأسرة وتحابُبها؟

ولا يصح ما يجري على ألسنة بعض الناس: (لي من الحزمة عود...)، هذا العود يحمل ميزات الحزمة كلِّها، ولا ينفكُّ عنها، ولا بدَّ من النظر فيها كاملة. صحيح أنك نادراً ما تجد أسرةً مستقيمةً كلّها من أولها إلى آخرها، لكن أقلّ الأمور أن تكون السِّمة العامَّة لهذه الأسرة الانضباط بالشرع والترابط والتعاون.

أراد شاب أن يخطب فتاة، فاستشارني في أمرها، قلتُ له، من جملة الأسئلة: مَن إخوتها؟ قال: لها سبع أخوات بنات، وهي الثامنة والأخيرة، قلتُ: مَن عدلاؤك (أزواج الأخوات)؟ قال: السَّبع مطلَّقات!! قلتُ: اترك هذا الأمر وامضِ فوراً، قال الشاب: أنا أُعجِبتُ بها كثيراً، قلتُ: لا أنصحك بالزواج منها، فهذه امرأة تدرَّبت على الطلاق بشكل ممتاز، معها سبعة دبلومات في هذا الاختصاص!!.

نعم، ربما تطلَّق فتاة لأن زوجها سيئ، لكن إذا رأيتَ في أسرة واحدة سبعَ مطلقات فمن المؤكد أن المشكلة في هذه الأسرة، لا في أصهارها. قال ﷺ: **«الناس معادن كمعادن الذهب والفضة»**، فهناك معدنٌ نفيس، وغالٍ، وصافٍ، ونقيٌّ من الشوائب، وآخَر وضيعٌ، مخلوط بالشوائب، ولا بدَّ عند اختيار الأسرة من أن تكون سِمَتها العامَّة الشرف والصلاح وسلامة البنية الأسَرية. فالأسَر ذات

المعدن النفيس تربي أولادها على الصفاء والنقاء واحترام ميثاق الزواج، وتدور بينهم أحاديث وكلمات يعلّمها الأجداد للآباء، والآباء للأبناء، تورثهم المجد والحسب.

فعندما تُزَوَّج ابنتهم مثلاً يقول لها أبوها: (يا ابنتي، ليس في أسرتنا شيء اسمه طلاق، هذه الكلمة ضعيها حلقةً في أذنك، لا بُدَّ لك أن تتعايشي مع زوجك بالطريقة الحسنة). وبالمقابل، لا ترعى الأسَر ذات المعدن الرخيص ذمام العقود ولا حُرمة الأعراض، وربما لقَّنوا بناتهم وأبناءهم من حيث يدرون أو لا يدرون ما يقطعون به حبال الزوجية ورباطها. فترى الأم توغِر صدرَ ابنتها على زوجها، وترى الأخ يُفسِد أخته على زوجها، وهكذا...

لكل ذلك ذَكَرْنا الحسب في الشروط التي ينبغي على الشاب مراعاتها في الفتاة، وسيأتي في محاضرة (اختيار الزوج) ذِكْرُ الحسب في الشروط التي ينبغي على أهل الفتاة مراعاتها في الشاب.

ثامناً- النظافة

النظافة في الإسلام دِينٌ، إذ لا تصحّ صلاة المسلم ولا يجوز طوافه حول الكعبة ولا حَمْلُه للمصحف من دون الطهارة، التي تعني في اللغة النظافة. جاء في حديث رسول الله ﷺ: «**إن الله طَيِّبٌ يحِبُّ الطِّيب، نظِيفٌ يحب النظافة، كريمٌ يحبّ الكَرَم، جوادٌ يحبّ الجُودَ، فَنَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُم، ولا تَشَبَّهُوا باليهود**»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي.

ويُحِب الإنسان السويّ النظافة ويُبغض القذارة والوساخة، ومِن أكثر ما يُزعِج الزوج أن يرى بيته غير نظيف، أو يُقَدَّم إليه طعامٌ لا يرى فيه آثارَ النظافة، أو يشمّ من زوجته أو أولاده رائحة غير محبَّبة، ثم إن المرأة النظيفة تمنَح الراحة النفسية للزوج والأولاد.

وتُعرَف نظافة الفتاة عند خطبتها من نظافة بيت أهلها، ونظافة ثوبها وبدنها، ولهذا يُنصَح أن تزور والدة الشاب الفتاة المخطوبة في جلسة نسائية لتقترب هذه الأم من الفتاة فتشم ريحها وتنظر عراقيبها. فعن أنس بن مالك ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد خطبة امرأة بعث أم سليم ﷺ تنظر إليها، فشمّت أعطافها، ونظرت إلى عراقيبها»[1]. والعطف: الإبط، والعرقوب: ما فوق الكعبين من الخَلْف.

تاسعاً- أن لا تكون قريبة قرابةً شديدة

وهذا أفضل اجتماعياً، وصحياً. جاء في الأثر: «**لا تنكحوا القرابة القريبة، فإن الولد يُخلَق ضاوياً**»[2]، يعني: ضعيفاً. قال سيدنا عمر ﷺ: (اغتربوا لا تضووا)، يعني: ابحثوا عن نساء بعيدات للزواج، حتى لا يأتي أولادكم ضعافاً.

تُسمَّى بعض الأمراض في الطب: (الأمراض الوراثية)، يورّثها

---

(١) أخرجه الطبراني.

(٢) أورده الغزالي في: الإحياء، ٢/ ٤١، وقال: «قال ابن الصلاح: لم أجد له أصلاً معتمَداً. قلتُ: إنما يعرَف من قول عمر ﷺ أنه قال لآل السائب: «قد أضويتم، فانكحوا في النوابغ» رواه إبراهيم الحربي في غريب الحديث». ا.ه.

الآباء للأبناء بصفات قاهرة أو مقهورة، فإن كان بين الأبوين قرابة ازدادت نسبة ظهور هذه الأمراض.

ومن المعلوم أن زواج الأقارب ليس حراماً، فإن رأى شاب أن ابنة عمِّه مثلاً جيدة جداً، وأخلاقها ودينها وحياؤها ونظافتها ومستواها الاجتماعي مناسب، وهناك تقارب كبير بينهما، فلا بأس بالتزوج بها، لكن أنصحُه إن وجد غيرها بصفاتها؛ فالبعيدة أولى.

أما من الناحية الاجتماعية فلعل خصاماً يقع بين الزوجين، فيميل بعض أفراد الأسرة إلى الشاب، ويميل بعضهم الآخر إلى الفتاة، وربما تخاصمت الأسرة كلُّها من جرّاء هذا، فقُطِّعت الأرحام، لذلك كان الأحسن اختيار الفتاة البعيدة.

ثم إنَّ أحد فوائد الزواج زيادة الترابط بين أفراد المجتمع، فإذا تزوجت العائلة بعضها من بعض بقيت الصِّلات مع باقي المجتمع ضعيفة، أما عندما تتزوج من عائلات أخرى تتَّسع دائرة الترابط الاجتماعي.

عاشراً - الحب

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٣٠/ ٢١]. معظم آبائنا وأمهاتنا، وأجدادنا وجداتنا، لم يكن زواجهم مبنياً على الحب، وكانت نِسَبُ الطلاق فيما بينهم قليلة جداً، والحمد لله، بل تكاد تكون نادرة؛ وإن طُلِّقت امرأةٌ تجدها أصبحت عَلَماً في حيِّها؛ لأن الطلاق أمرٌ غير طبيعي.

أجرَت جامعة القاهرة دراسة عن الزواج المبني على الحب وحده، والزواج المبني على غير ذلك، فتبيَّن ما يلي: تنتهي ٨٨٪ من حالات الزواج الذي يأتي بعد قصة حب بالطلاق، يعني أن كلّ عشر زيجات تُعقَد يطلَّق منها تسعٌ على التقريب، وتستمرّ واحدة؛ ذلك لأن الشاب يظن قبل الزواج أنه إن أحبَّ الفتاة ستُذلَّل لهذا الحب الصعابُ كلُّها، وسيجتازان به العقبات كلّها، وسيعيشان الحياة بحلوها ومرِّها مع بعضهما، وكذلك تظنّ الفتاة!! والحق أن ظنهما ليس صحيحاً، فما لم يكن بينهما انضباط بالشرع وتربية وصلاح فالغالب أن حياتهما الزوجية لن تستمرّ؛ لأنّ العواطف ستخبو بعد أسابيع، أو بعد أشهر، لتبدأ الحياة العمليَّة. أما الزواج الذي سمَّوه: تقليدياً، فقد حقَّقت النجاح ٧٠٪ من حالاته كما جاء في الدراسة. يعني أنّ كل عشر زيجات ينجح سبع منها، مع أنها من دون حب!! وتعليل استمرار الزواج، مع كونه من دون حب قَبْله، تحلّي الزوجين بالالتزام بتعاليم الدين، وطاعة الزوجة لزوجها، وتخلُّقها بالحياء، وتجمُّلها بالنظافة، والوعي، والحسَب، والجمال؛ لذلك تستمرُّ الحياة الزوجية، ومع استمرارها وديمومتها يتولَّد الحب والوداد.

وهذه النقطة -أعني الحب- لها علاقة أيضاً باختيار الزوج، فلعلّ فتاة تَسأل: إن لم تحب الفتاة الشاب الذي يريد الزواج بها فهل يصحُّ أن تتزوَّجه؟!

أقول: الحب الصادق يكون بعد الزواج، أما الحب الذي يكون

قبله فهو كذب وخداع، وهتكٌ للأعراض، غالباً!. وعلى أحسن الاحتمالات هو عواطف ومشاعر إن لم تزيِّنها باقي الصفات التسع آنفة الذكر فلا يصح أن تكون مسوغاً لطلب الزواج. أمثال هذه العواطف الجياشة والأفكار الخاطئة تصبُّها اليوم بعض القنوات الفضائية على قلوب شبابنا وبناتنا لتُضرِم فيها ناراً، وتغرِّر بهم وبهنَّ من دون أن تراعي باقي الصفات التسع، وتكاد تقضي على الأُسَر!

ثم قل لي: كيف يحبّ شابٌّ فتاة قبل الزواج؟! أيخرج معها ويذهب في نزهات؟! أيدعوها إلى بيته؟! وبالمقابل كيف ستحبُّه الفتاة؟ هل ستذهب معه في لقاءات خاصة؟! أليس هذا محرماً في شرعنا؟!

الحب الصادق هو ما أراده الله تعالى بقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٣٠/ ٢١]. ففي هذه الآية أربع ملاحظات:

١- ترتيب الكلمات في الآية: فهي تذكر أولاً الزواج الذي شُرع للسّكن النفسي والمادي والتحابّ والتراحم، وهذا الود يأتي بعد الزواج؛ لأن الآية تقول: ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ - ثم بعد ذلك - ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾.

صحيح أنّ الواو في اللغة العربية لا تفيد الترتيب، ولكنها تُشعِر به.

٢- في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ تصريح

بأن هذه المودة والرحمة جعليَّتان، بمعنى أن الله تعالى يجعلهما ويخلقهما في قَلْبَي الزوجين بعد العقد.

ذُكر لي عن شاب سوري مغترب، يزور الشام كل صيف شهراً، فكان يطلب من أمه أن تبحث عن زوجة مناسبة له مدة إقامته. لم يتيسَّر الأمر له خلال عدة سنوات، فطلب من أمه وأخواته أن يجتهدن في البحث عن فتاة مناسبة، فزرن عدداً من الأُسَر في غيابه، ولما قدِمَ أطلعوه على الخيارات، لكنه لم يجد ما يناسبه أيضاً. وقبل سفره بخمسة أيام زارت أمه أسرةً جيدة، فأخذَته ليرى الفتاة، وفي اليوم التالي، قبل أربعة أيام من السفر، ذهب لرؤيتها، فوجدها مناسبة له، في اليوم الذي يليه أبلغوهم موافقتهم، وقبل السفر بيومين، جهزوا للعقد، وجلس معها ليلة العقد، قبل السفر بيوم، وفي صبيحة يوم السفر خرجَت زوجته مع أهلها وأهله إلى المطار ليودِّعوه، وعندما سلَّم عليهم مودعاً أخذت الفتاة تبكي!!

سبحان الله! ما الذي حَدَث؟! قبل ثلاثة أيام لم يكن أحدهما يعرف الآخر أصلاً، والآن هي تبكي لسفره!! ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾.

٣- ثم إن الله تعالى قال: ﴿مَّوَدَّةً﴾ ولم يقل: حباً؛ لأن بين المودة والحب فارقاً، فالحبّ حالةٌ عاطفية قلبية، والمودة حالة سلوكية. تحبّ امرأة زوجها مثلاً، ولكنها تعوّدت أن تنام إلى وقت متأخر، فلا تستيقظ عندما يخرج إلى عمله صباحاً لتتفقَّد حاجاته، مع أنها تحبه!! أو أن امرأة لا تريد التواصل مع أمّ زوجها، ولا أن

تأتي أمُّه إلى البيت، مع أنها تحبه! إلا أنها لا تستطيع أن ترى أمه كما تقول!! فهذا الحب لا يُسمِن ولا يغني من جوع، ولابد أن يتحوَّل الحب إلى سلوك، هو المودة، لتجد سعادتها في سعادته، وتفعل ما يحب، وتترك ما يكره إكراماً له.

فالمودَّة في الحالة الأولى تدعو الزوجة إلى الاستيقاظ باكراً لترعى زوجها، وتهيئ له ما يحتاج إليه قبل ذهابه إلى العمل.

وفي الحالة الثانية تدعو المودَّة الزوجة إلى إكرام أمِّ زوجها، والاحتفاء بها إكراماً لزوجها.

وهكذا، فإن المودة سلوكٌ نابعٌ عن حبٍّ قلبيٍّ، وهي أكمل من مجرد الحبّ، لذلك قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾.

٤- في قول الله تعالى: ﴿وَرَحْمَةً﴾ بيان بليغ يستوعب شرائح الناس وأحوالهم، فربما تزوج رجل بامرأة ولم تلقَ عنده مودة، أو انقطعت المودة بينهما لسبب من الأسباب، فتجده يعتني بها رحمةً لها، وتقديراً لجهدها وعنائها وتحمُّلها مشاقَّ البيت والأولاد، وربما حدث ذلك مع المرأة، لهذا كانت المودة والرحمة أغلى بكثير من عواطف الحب منفردة.

فاحشة بزيِّ الحب: من مدة ليست ببعيدة ظهَرَت أقراص (CD) منقولة عن إحدى الإذاعات، تحكي برنامجاً يتحدَّث عن قصص الحب والعشاق، ويطلبون فيه من المستمع إن كانت عنده قصة حب

أن يرسِلها إلى البرنامج حتى تُبَثّ عبر الإذاعة، فيستفيد الآخرون من خبراته في هذا المجال!!

هذه القصص تُدرِّب على الفاحشة؛ لأن المذيع يستنطق المتصل: كيف التقيتَ مع الفتاة؟! وكيف التَقَتْ معك؟! كيف نظرتَ إليها؟! وكيف نظرَت إليك؟! ماذا قلت لها؟! ماذا قالت لك..؟!

ثم بعد كل هذا الفحش والرذيلة تُلبَس هذه الأحاديث زيَّ الحب!!

وبعد، هذه عشر نقاط في (**اختيار الزوجة**): الإسلام. الصلاح. الوعي. الحياء. الطاعة. الجمال. الحسب. النظافة. ألَّا تكون قريبة قرابةً شديدة. الحب.

نسأل الله تعالى أن يَخِير لكلٍّ منَّا الخيرَ، وأن يُرضِّينا به، والله أعلم.

المحاضرة السابعة

اختيار الزوج

والمعنيُّ بهذه المحاضرة الفتيات اللواتي قاربْنَ سنَّ الزواج، وأولياؤهن.

كيف أختار زوجاً لابنتي؟ وكيف أختار زوجاً لأختي؟

كيف تختار الفتاة زوجاً من بين عدة خاطبين تقدَّموا إليها؟

في هذه المحاضرة ست نقاط مهمَّة، لا بدَّ للفتاة منها عند اختيار الزوج، بالإضافة إلى ما ورد من فوائد منثورة في محاضرة اختيار الزوجة.

وقبل أن أبدأ في عرض هذه النقاط أتقدَّم بثلاث نصائح لكل امرأة متزوجة:

١- ارضي بما قَسَمَ الله لكِ في زوجك.

٢- ادعي لزوجك في الصلاة.

٣- كوني لزوجك أَمَةً يكُن لك عبداً، وتكن حياتكما سعيدة؛ أكرميه يكرمك.

أما الشروط الستة المرعِيّة عند اختيار الزوج فهي:

أولاً- الإسلام

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾ [البقرة: ٢/ ٢٢١]. يحرُم على المسلمة بموجب الآية أن تتزوج كتابياً أو وثنياً أو ملحِداً أو رجلاً لا دين له.

أجاز الإسلام للمسلم أن يتزوَّج الكتابية، لكنه لم يُجِزْ لغير المسلم أن يتزوج مسلمة؛ لأن المسلم يحترم الديانات السماوية كلّها، فنحن -المسلمين- نقدّر ونحترم سيدنا موسى وعيسى وكلَّ الأنبياء عليهم السلام، فإن كَفَر أحدنا بنبيّ من الأنبياء خالف تعاليم دينه، وخرج من إيمانه؛ لأن الإيمان هو أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

فالمسلم إن تزوَّج نصرانية احترم نبيَّ النصرانية، وكتاب النصرانية، ولا يُكرِه زوجته على اعتناق دينه، أما غير المسلمين فلا يؤمنون بسيدنا محمد ﷺ، فلو تزوج أحدهم مسلمة فالغالب أنه لن يحترم دينها ولا نبيّها .

ثم إن الله عزَّ وجل جعل القوامة في البيت للرجل، وهذه القاعدة موجودة في كل الأديان كما هي في الإسلام، فغير المسلم إن تزوج مسلمةً سيكون هو القيِّم عليها، والمدير لشؤونها، وستطيع أمره، فكأنما جُعِلَ له عليها سبيل، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ

ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٤/١٤١]. لذلك لا يجوز في الشرع أبداً أن تتزوج المسلمة غير المسلم.

ثانياً- الصلاح وعدم الفسق

قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ۝١٨﴾ [السجدة: ٣٢/١٨]. وقال رسول الله ﷺ: «**انْكِحُوا الأكفاء، وأَنْكِحُوا إليهم**»[1]. ولا ريب في أن الفاسق لا يكون كفؤاً للصالحات، ثم إن الأولاد يتبعون أباهم، ويتشبَّهون به ويقتدون، فإن كان الأب فاسقاً أو ماجناً خيف أن يُنجِب أولاداً مثله. لذلك ليس من مصلحة الفتاة أن تربط أبناءها ونفسها برجل فاسق. قال رسول الله ﷺ: «**كلُّ مولودٍ يُولَد على الفطرة، فأبواه يُهوِّدانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجِّسانه**»[2].

ثم إن الرجل الفاسق لا يرعى لزوجته حرمة ولا ذمة إن هو غضب منها. جاء رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال له: خطب ابنتي جماعة، فلِمَن أزوِّجها؟ قال: «زوِّجها لمن يتقي الله، فإنه إن أحبَّها أكرَمَها، وإن أبغَضَها لم يَظلِمها»[3]. وقال رسول الله ﷺ: «**إذا خطب إليكم من ترضَون دينه وخُلُقَه فزوِّجوه، إلَّا تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبير**»[4].

---

(١) أخرجه ابن ماجه والحاكم.

(٢) متفق عليه.

(٣) أورده البغوي في: شرح السنة، والغزالي في: الإحياء.

(٤) أخرجه الترمذي وابن ماجه.

قال الشعبي رضي الله عنه: «مَن زوَّج فاسقاً فقد قَطَع رَحِمه»[١].

أما عن طريقة معرفة فسق الرجل أو صلاحه فإنّ السؤال عن أصحابه يرشد إلى ممشاه في الحياة (قل لي من تصاحب أقل لك من أنت). قال رسول الله ﷺ: **«المرءُ على دِين خليله، فلينظرْ أحدُكُم مَن يُخَالِلْ»**[٢].

وأرى ألَّا تُزوَّج البنتُ إلَّا لمن له مرب ثقة من أب أو عمٍّ أو معلم عالم، ليرجع إليهم عند الحاجة.

ثالثاً- الباءة (متطلبات الزواج)

قال رسول الله ﷺ: **«يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضُّ للبصر، وأحصَنُ للفرج، ومَن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وِجَاء»**[٣].

والباءة المادية أمران: مكان للسكن، ولو كان متواضعاً. وعملٌ يدرُّ نفقة شهرية، ولو كانت يسيرةً؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٤/ ٣٤].

ثم تراعى الباءة الجسدية والتربوية والنفسية، أعني وعي الشاب للحياة عامة، وللحياة الأسرية خاصة، وقدرته على تحمل مسؤولية

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في: مصنفه.

(٢) أخرجه أبو داوود والترمذي.

(٣) متفق عليه.

الزوجة ثم الأولاد، وإعطاء كلٍّ حقَّه، وتستطيع الفتاة وأهلها قراءة وعيه من خلال كلامه وحديثه، والموضوعات التي يناقشها في جلسة الخطبة، ولعلها تسأله عن نظرته إلى أسرته القادمة، وما آماله التي يرجوها منها؟ ما هدفه في الحياة؟ ما رأيه بالمرأة الزوجة؟ والمرء مخبوء تحت لسانه، فإذا تكلَّم عَرَفْتَه.

أما عن قدرته على تحمُّل مسؤولية البيت الجديد فتظهر للفتاة من خلال سيرة حياته في تكوينه لنفسه، من خلال دأبه على الدراسة، أو دأبه على العمل، أو اعتماده على نفسه، أو تحمُّله مسؤولية بيت والده بعد فقد والده مثلاً، أو مرض الوالد، أو قلَّة ذات يده.

فالشاب الملتزم بدراسته أو الملتزم بعمله يلتزم غالباً بتحمل مسؤولية أسرته؛ لأن الالتزام عادةٌ، ولأن الهروب من المسؤولية عادة، فمَن تدرّب على الالتزام صار الالتزام ديدنه، والعكس بالعكس. ومن كان راعياً لبيت أبيه وأمه فسيكون متدرباً على إدارة البيت مستقبلاً، ويستطيع أن يرعى بيته الجديد، أما من عري عن المسؤوليات، وخلا عن تحمل الواجبات فيصعب عليه أن يحمل مسؤولية زوجته وأولاده.

رابعاً- الحَسَب

وهو شرف الآباء والأجداد، والشرف التقوى وسلامة الترابط الأسري، ومن أرادت الزواج فلتتزوَّج رجلاً من معدن نفيس، معروفٍ بالعفة والأدب، ومن أسرة مترابطة متعاونة؛ لأنَّ المرء ابن بيئته، سواء كان شاباً أم فتاة.

خامساً- الخلق الحسن

لقول رسول الله ﷺ «إذا جاءكم مَن تَرضَون دينه وخُلُقَه فأنكِحُوه»[١]، والخلق -وإن يكن من الدين - فقد عطفه رسول الله ﷺ عليه من باب عطف الخاص على العام للتأكيد والاهتمام، وذلك لما لأخلاق المرء من أثر كبير في مسيرة حياته وتعامله مع مَن حوله.

ويراعى في أخلاق الخاطب على الخصوص كرمه، وصدقه، واعتداله، ورحمته، وحلمه، وضبطه لغضبه، وحياؤه، وتستطيع الفتاة معرفة هذه الأخلاق من خلال سؤال ألصق الناس بهذا الخاطب: فليسألوا جيرانه، أو أصحابه المقربين، أو من معه في عمله.

سادساً- الجمال وحُسن الهيئة

قال سيدنا عمر رضي الله عنه: «لا تُنكحوا المرأة الرجل القبيح الذميم، فإنهن يحببن لأنفسهن ما تحبون لأنفسكم»[٢]. وتدخل صفة النظافة في حسن الهيئة والجمال.

هذا، وقد تقدم في محاضرة اختيار الزوجة حديث عن الزواج من الأقارب، وعن الحب ودوره في الزواج، فلا أرى حاجة إلى إعادة ذكرهما، على أن يراجعا هناك.

---

(١) أخرجه الترمذي.

(٢) ذكره ابن الجوزي في: أحكام النساء.

وبعد، فأنصح كل فتاةٍ مقبِلة على الزواج وأقول لها:

١- لا تتزوجي إلا مَن ترضين به ويرضاه أهلُك.

٢- ابحثي فيمن يخطبك عن دينه وخلقه أولاً، وبعدها ابحثي عن الأمور الأخرى.

٣- لا تتزوجي من لا يطرق باب أهلك[١].

والله أعلم

---

(١) لاكتمال الفائدة تراجع المحاضرة السابقة (اختيار الزوجة).

المحاضرة الثامنة

الخِطبة

الخطبة أول مرحلة من مراحل الزواج، يقال: خِطبة الزواج، وخُطبة الجمعة. فخِطبة الزواج بكسر الخاء، وخُطبة الجمعة بضمها.

نتحدث عن الخطبة من خلال ستِّ نقاط:

أولاً- معنى الخِطبة

الخطبة إظهار الرغبة في الزواج بامرأة معيّنة.

وبناء عليه فهي وعدٌ بالزواج وليست زواجاً، وبناءً عليه كذلك فإن الخاطب أجنبيٌّ عن مخطوبته، لا زوج لها ولا عاقد عليها، فلا يحلُّ له منها شيءٌ، وكذلك هي غريبة عنه، لا زوجة له، فلا يحلُّ لها منه شيءٌ، إلا ما أحلَّه الشرع، وسنأتي على ذكره.

ربما رأيت بعض البنات تدخل على الخاطب كعروس في يوم عرسها! وربما تَعامَل الشاب مع الفتاة إذا خَطَبها كأنّها زوجته! والحقّ: أن المخطوبة أجنبيةٌ، والتعامل معها يكون على أساس ذلك؛ إذ المخطوبة ليست زوجة، إنما هي موعودةٌ بالزواج.

وقراءة الفاتحة، وإلباس خاتم الخطبة، وتسليم المهر لا يجعل الخطبة زواجاً، وإنما تجري أحكام الزواج بعد إجراء العقد؛ أعني

قول ولي الفتاة للشاب: (زوّجتك موكّلتي)، وقبول الشاب بقوله: (قبلتُ). أما قبل هاتين الكلمتين فالخاطبان غريبان. فلو ذهب الخاطب ولم يعُدْ، أو اعتذر عن متابعة العقد، أو لم يعتذر، أو اقترن بأسرة أخرى... ولو تغيّر رأي الفتاة، أو رفضت أمْرَ الزواج، أو اعتذر أهلها...، لو حدث ذلك فلا شيء يُلزِم الخاطب أو المخطوبة بالاستمرار.

ثانياً- النساء اللواتي تحلُّ خطبتهنَّ

يشترط في المرأة حتى يجوز للرجل خطبتها أربعة أمور:

١- ألّا تكون من المحارم حرمة مؤبّدةً.

والمحرَّمات حرمة مؤبدة ثلاثة أنواع:

النوع الأول: المحرَّمات بالنسب، وهن الأم وإنْ عَلَتْ، والبنت وإن نزَلَت، والخالة، والأخت، والعمَّة، وبنت الأخ، وبنت الأخت. النوع الثاني: المحرَّمات بالرضاع، وهنَّ مثل المحرَّمات بالنسب، أعني: الأم من الرضاع، والبنت من الرضاع، والخالة من الرضاع، والأخت من الرضاع، والعمَّة من الرضاع، وبنت الأخ من الرضاع، وبنت الأخت من الرضاع. النوع الثالث: المحرَّمات بالمصاهرة: وهنَّ أم الزوجة، وبنتُ الزوجة، وزوجة الأب، وزوجة الابن، ومثلهنَّ من الرضاع[1].

يقول الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ

(١) ثم هناك فروع فقهية للمحرمات حرمة مؤبدة تراجع في مصادرها.

وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ [النساء: ٤/ ٢٣].

ملاحظة: لا يجوز للمرأة أن تُرضع أحداً إلا بإذن زوجها.

٢- ألَّا تكون من المحارم حُرمة مؤقّتة[1]، كالمرتدَّة، وغير الكتابية، والزوجة الخامسة، والمعتدَّة من زوج سابق، وأخت زوجته، وخالتها، وعمتها، فلا يجوز الجمع بينهما، والمتزوِّجة.

نعم، كما لا يحل لرجل أن يُظهر لمتزوجةٍ رغبتَه في زواجها، كأن يقول لها: إذا طلَّقَك زوجك فأنا أتزوجُك. قال رسول الله ﷺ: «**ليس منَّا مَن خبَّب امرأة على زوجها**»[2]. كذلك لا يحل لامرأة أن تُبدي لرجل متزوج رغبتها في زواجه إن طلّق زوجته، كأن تقول: أتزوَّجك إذا طلَّقتَ زوجتك. قال رسول الله ﷺ: «**لا تسأل المرأةُ طلاقَ أختها لتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتها ولتَنْكِح، فإنما لها ما قُدِّر لها**»[3].

٣-ألَّا تكون مخطوبة لخاطب آخر: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) تُراجَع الفروع الفقهية لهذه المسألة في مصادرها.

(٢) أخرجه أبو داوود.

(٣) متفق عليه.

«لا يخطب أحدُكم على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذَن»[(١)] .

٤-ألَّا تكون مُحْرِمة بحجٍّ أو عمرة: قال رسول الله ﷺ: **«المحرم لا يَنكِح ولا يُنكَح»**[(٢)]. فهذا كأن يعتمر أو يحجّ فوج من بلد ما، فيه نساء ورجال، من بينهم شابٌ، وفتاة مع أبيها وأمها، فيرغب الشاب في خطبة تلك الفتاة، فإن كانت الفتاة مُحرِمة بعمرة أو بحج -يعني متلبِّسة بالإحرام- فتَحرُم خطبتها حتى انتهاء الإحرام؛ لأنَّ المحرِم لا يَنكح، أي: لا يتزوّج، ولا يُنكِح، أي: لا يُزوِّج غيره؛ لتَفرُّغه لعبادة ربه، ولا بأس بأن يخطبها من أهلها بعد انتهاء مناسك الحج أو العمرة.

ثالثاً- ما يحلُ للخاطب من مخطوبته وما يحرم

*** ما يحل للخاطب:**

إذا اتَّفَقَت أسرتان على خطبة ولديهما يذهب الخاطب مع أسرته إلى بيت المخطوبة، وعندها يحلُّ له:

١- أن يرى وجهَها وكفّيها، بل يُسنُّ له أن ينظُر إليها. فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه خَطَبَ امرأة، فقال له النبي ﷺ: **«انظُرْ إليها، فإنه أَحْرَى أن يُؤْدَمَ بينكما»**[(٣)]. وكذلك يُندَب للفتاة أن تَنظُر إلى خطيبها.

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه مسلم والترمذي.

(٣) أخرجه الترمذي والنسائي.

٢- يباح للخاطب أن يحدِّثها بحضرة أحد محارمها بالأمور التي يراها ضرورية لزواجهما. يحدّثها مثلاً عن اسمه، وعَمَله، ودراسته، ومكان سكنه.. يسألها عن اسمها، ودراستها، ومخطّطاتها، وطموحها... يسألها عن رأيها في الدراسة مثلاً، وهل ترغب في متابعتها.. ولعله يحدِّثها عن حَدَثٍ يجري، كأن يقول: تأخَّرت الأمطار هذا العام، وقد قرأتُ أن هذا التأخُّر في الأمطار سيؤدِّي إلى مشكلة في الأراضي... ومن خلال متابعتها لحديثه وتجاوبها معه يستقرئ وعْيَها وفهمَها وعقلَها وأخلاقَها وأفكارها.. وتستقرئ هي ذلك منه. وقد يسألها: في أي مسجد تحضرين؟ هل عندك معلِّمة مشرِفة؟ كم تحفظين من القرآن الكريم...؟ وهي بدورها تسأله لتتعرف هذا الذي سترتبط به، وهل يناسبها أو لا.

٣- يباح له الجلوس معها بحضور أخيها أو أبيها.

٤- يمكن له زيارة أهلها أكثر من مرة، إذا دَعَت الحاجة.

*** ما يحرم على الخاطب**

ويحرم على الخاطب من مخطوبته:

١- الخلوة بها كأن يطلب من أبيها وأمها الجلوس معها منفردَين في غرفة والباب مغلق. قال النبي ﷺ: «**لا يَخلُونَّ رجلٌ بامرأة إلا ومعها ذو مَحْرَم**»[١].

٢- لا يصحُّ الخروج معها إلى مكان عام؛ ربما يذهب شاب إلى

---

(١) متفق عليه.

فتاة ليخطبها، فيطلب من أهلها أن تذهب معه إلى مكان عام كمطعم مثلاً، ويجلسان ويتحدثان، هذا الفعل ليس صحيحاً، خوفاً من تعلُّقها به أو تعلّقه بها، وعدم تمكّنهما من إتمام العقد فيما بعد.

هذا إذا نفينا احتمال تغريره بها أو العكس، وهو احتمال غير منفي أصلاً!!

وربما يقول طالبٌ جامعي في السنة الأولى لزميلته: إنه ينوي أن يتقدم لخطبتها بعد أن يتخرّج، فيذهبان إلى المطاعم والنوادي...، ولعلها تكون محجبة! ولعل الأمر يكون بعلم أهلها! إن من الخطأ ذهابهما معاً إلى الأماكن العامة، فضلاً عن الأماكن الخاصة.

سؤال: ماذا لو أنه لقِيَها أول مرة في مكان عام؟

مثلاً: شاهد موظف من خلال العمل حُسناً في تصرفات زميلته، وعلوّاً في أخلاقها، فأعجِب بها وأراد خطبتها؟

جواب: لا بأس بذلك، وعليه أن يطلب منها رقم هاتف أهلها، وأن يُعلِمها بشكل مؤدَّب عن رغبته في إرسال أهله لخطبتها.

أمَّا أن يخرج معها مرَّات ومرات، أو يقول لها: تعالي نتدارس موضوع الخطبة قبل أن نسأل أهلنا، تعالي نمشي ونتكلم! ثم يقول لها: تعالي نذهب إلى البيت أفضل من أن نتمشى... فلتحذر الفتاة من ذلك، ولتنتبه أن يخدعها رجلٌ لا يخاف الله، ولو أظهر لها الالتزام والانضباط، فالملتزم بالشرع هو الذي يتقيّد بالأمر الشرعي: (الخاطب والمخطوبة غريبان)، والخطبة بالتعريف: وَعدٌ

بالزواج، وليست زواجاً. لعل أمَّها تقول: لا مانع من خروجكِ معه، لكن خذي معكِ أخاكِ الصغير!

فأقول: إذا لم يكن العقد معقوداً فلا يصحُّ هذا الأمر، والمسلم لا يبدأ حياته بالشبهات. وعندما يضع الشرع هذه الضوابط، يضعها لئلّا يقع الناس في أخطاء يندمون عليها فيما بعد.

ولعل قائلاً يقول: أستطيع إذا خرجتُ مع الفتاة أن أضبط نفسي حتى لا نقع في مخالفات شرعية!! فأقول: إذا كان امرؤٌ ضابطاً نفسه فهل هو ضابطٌ لغيره؟! وما أعلَمَه أن هذه الفتاة ستضبط نفسها ضبطاً كاملاً؟!

ثم إذا ضَبط نفسه وضَبَطَت نفسها، فهل سيضبط كلام الناس إذا رأوهما يمشيان معاً في الطريق؟ وقد قيل: (رحم الله امرءاً جبَّ المغيبة عن نفسه).

ثم هناك احتمال ألّا تستمر الخطبة بينهما، فإذا ترك الخاطب مخطوبته ومضى بعد أن عَلِم الناس بخروجه معها وخروجها معه فلعله يتحرَّز خاطب آخر من خطبتها، يقول: لو كانت جيدة لاستمرّ ذاك الخاطب معها.

فمَنعُ الشرعِ الحنيف الخاطبين من الذهاب إلى الأماكن العامة - فضلاً عن الخاصة- محافظة منه على سمعة المسلم والمسلمة.

٣- لا يجوز لهما مسّ بعضهما.

من الأخطاء التي تقع أحياناً أن أهل الخطيبين يقرؤون الفاتحة،

ثم بعد ذلك يريدون أن يقيموا حفلاً بمناسبة الخطبة قبل العقد، وضمن الحفل يُلبِس كلٌّ من الخاطب والمخطوبة الخاتم للآخر، هذا حرام؛ لأنه لا يجوز لهما مسُّ بعضهما ما لم يُعقَد العقد.

فإن كان أمر الخطبة متعارَفاً عليه فلا بأس أن تُلبِس أمه الفتاة الخاتم، ومن صبر أكثر من عشرين سنة حتى هيّأ الله له أسباب الزواج، يستطيع أن يصبر بضعة أشهر ليبقى على انضباطه والتزامه بالشرع. عن عائشة رضي الله عنها قالت: (**لَا واللهِ مَا مَسَّتْ يَدُ رسول الله ﷺ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ إلا بما أَمَرَهُ الله، وكان يقولُ لهنَّ إذا أخَذ عليهنَّ: «قد بايَعْتُكُنَّ» كلاماً**)[1]. وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: «**لأن يُطعَن في رأس أحدكم بمِخيَط من حديد خيرٌ له من أن يمسَّ امرأة لا تحلُّ له**»[2].

٤- لا يجوز تبادل الصور الفوتوغرافية في أثناء الخطبة.

ربما تعطي المخطوبة صورها للخاطب في أثناء الخطبة، ويعطيها صوره، ولعلهما يتصوران مع بعضهما، ولعلهما يرسلان صورهما، كلٌّ منهما للآخر عبر مواقع الإنترنت، فإذا فُسخت الخطبة ماذا سيُفعل بالصور؟! ماذا لو أنّه لم يردّ إليها الصور؟! ماذا لو أنّه عَرَضَ صوَرَها في أماكن لا تليق؟! كيف يتبادلان الصور وهما لا يزالان غريبين!!

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه الطبراني في: الكبير.

رابعاً- حكم فسخ الخطبة، وما يترتب عليه

يجوز فسخ الخطبة ما دام هناك سببٌ يستوجب ذلك، أمّا التلاعب بأعراض الناس وبناتهم فلا يجوز، كأن يقول شابٌّ مثلاً: سأذهب وأجلس مع هذه الفتاة، أسبوعاً أو أسبوعين، شهراً أو شهرين، سنةً أو سنتين، ثم أذهب إلى غيرها، ثم إلى غيرها، وهكذا...، فذلك غير جائز، وهو تلاعب بأعراض الناس، وعقاب الله تعالى عليه شديد. قال رسول الله ﷺ: «**كلُّ المسلمِ على المسلم حَرَام: دمُهُ، وعِرْضُهُ، ومَالُهُ**»[1].

أما فَسْخُ الخطبة لسبب موجب فجائز، ولا يترتب في أصل المسألة عليه شيء في الشرع والقانون. نصَّ قانون الأحوال الشخصية السوري على أنّ الخطبة، والوعد بالزواج، وقراءة الفاتحة، وقبض المهر، وقبول الهدية...، لا يكون زواجاً.

ولا يترتب على من أراد فسخ الخطبة أن ينطق بألفاظ محدّدة، كل ما في الأمر أنه يرفع سماعة الهاتف مثلاً، ويقول لأهل الفتاة المخطوبة: (انتهى أمر الخطبة بيني وبينكم، والسلام عليكم)، وينتهي الأمر.

فإن انضبطنا بالشرع قبل ذلك فلن ينزعج أحدٌ من الطرفين، بل سيكون الرد: (خيراً إن شاء الله، هيأ الله لنا ولك خيراً)، أما إذا لم نضبط بالشرع، فسيركض والد الفتاة ليقول للخاطب: أنت تصوَّرت

---

(١) مسلم.

مع ابنتي، وصُوَرُكم صارت في أيدي العائلة! وخَبرت العائلة بذهابكم وإيابكم! كم مرة ذهبتَ معها إلى مطعم عام...؟ كم مرة كذا..؟ وكم مرة كذا..؟، وستكون عندها المشكلةُ كبيرة، ولذا كان الانضباط بالشرع أسلَم وأطهَر.

خامساً- ما حكم هدايا الخطبة؟

في المسألة أقوال، منها:

رأي السادة الحنابلة: إذا كان العدول والفسخ من جهة المخطوبة فيلزمها رد الهدايا، وإن كان من جهة الخاطب فلا يلزم ردها.

رأي السادة الحنفية، وبه أخذ قانون الأحوال الشخصية السوري، وهو: إذا كانت الهدايا قد استُهلِكت فلا تُرَدُّ، وإن كانت موجودة تُرَدُّ.

سادساً- يسنُّ إخفاء الخطبة، وإظهار النكاح

لقول النبي ﷺ: «**أظهروا النكاح وأخفوا الخطبة**»[1]. فإن أراد الأب أن يعقِد عقدَ زواج ابنته، أخبر الأقارب والأرحام، ودعا العائلة كلَّها إلى الفرح بهذا العقد؛ لأن هذا العقد هو عقد نكاح وزواج، أما الخطبة فالمسنون إخفاؤها. وعلى هذا فحفل الخطبة ليس مستحَبّاً، وذلك حفاظاً على سمعة البنت؛ لاحتمال العدول

(١) الدَّيلمي في: مسند الفردوس.

عن الخطبة. فماذا لو خُطبت البنتُ مثلاً، وأقامت حفل خطبة، وأَخبرت بذلك العائلة كلها، وزميلاتها وصديقاتها، وكل الجيران في البناء نفسه، ثم بعد عدة أشهر فُسِخَت الخطبة! ثم خطبها شاب آخر، فأُقيمَ الحفلُ أيضاً، وأخبرت العائلة كلّها بخطبتها الجديدة، ثم بعد عدة أشهر فُسِخَت الخطبة! مَن سيتقدَّم لخطبة هذه الفتاة مرة ثالثة؟! مِن المؤكد أن مَن أراد خطبتها ثالثاً سيقول في نفسه: هذه الفتاة خُطِبت مرتين وتُرِكَت، هذا يعني أن فيها عيباً!. لذلك استحبَّ الشرعُ إخفاء الخطبة حفاظاً على المرأة المخطوبة أن تُمَسَّ ولو بالألسنة.

ثم إنَّ بعض الناس يحسدون ويحقدون، وربما غارت قريبة من قريباتها إذا علمت أنَّ فلاناً -وهو شاب جيد- قد خَطبها، فاتصلت بالخاطب لتخبره بعيوب في الفتاة هي منها براء، ولعلها بذلك تزرع في نفسه شكّاً يتأثر به، فيصرفه عن هذه الفتاة. والسبب في ذلك كلّه هو إعلان الخطبة، ولو أخفوها لَسَلِمُوا. ولعل شاباً يرغب في خطبة فتاة ما، وظروفه لا تسمح له بذلك، فإن علم بأنَّ غيره تقدّم لخطبتها أرسل من يؤلّب عائلة هذه الفتاة!

حدّث شاب أنه خطب فتاة، فعلم أقاربه بذلك، وكانت إحدى قريباته ترغب فيه زوجاً، فاتّصلت بالمخطوبة، وقالت لها: هذا الشاب فعَل كيت، وترك كيت...، فتأثرت المخطوبة، وأَخبَرَت والدها ووالدتها، ففسخوا الخطبة واعتذروا إلى الشاب. فذهب الشاب إلى والد الفتاة وسألَه إن كان ظَهَرَ منه ما يسيء، أو وَصَلَهم

عنه ما لا يَسُرّ، فأخبره الأب بأن هناك من اتصل وأخبرهم بأشياء لعلها تكون صادقة أو كاذبة، واعتذر عن إتمام الخطبة.

لذلك كانت السُّنَّة إخفاء الخطبة.

وبعد: هذه هي النقاط الستُّ التي أردت الحديث عنها، فيما يتعلق بالخطبة:

أولاً: معنى الخِطبة.

ثانياً: النساء اللواتي تحلُّ خطبتهنَّ.

ثالثاً: ما يحلُ للخاطب من مخطوبته وما يحرم.

رابعاً: حكم فسخ الخطبة، وما يترتَّب عليه.

خامساً: ما حكم هدايا الخطبة؟

سادساً: يسنُّ إخفاء الخطبة، وإظهار النكاح.

يظهر من خلالها حرص الشارع الحكيم على حماية الأُسَر وإنشائها من أول لحظة على أسس صحيحة، وما صح أساسُه سلم بناؤه، والله أعلم.

المحاضرة التاسعة

عقد الزواج

وهذه المحاضرة -كسابقاتها- على منزلة عالية من الأهمية، فمن المهمّ لكلّ أبٍ، ولكل فتاة سيُعقَد عليها، ولكل شاب ذاهب نحو العقد أن يعرف تفاصيل عقد الزواج؛ لما يترتب على هذا العقد من تغيير في حياته.

لكن قبل الحديث عن العقد سأتناول الحديث عن أمرين اثنين:

أوَّلهما- الاستخارة

بعد أن اختار الشاب زوجته بالصفات التي سبقَت في محاضرة اختيار الزوجة، وبعد أن اختارت الفتاة وأهلُها الشاب المتَحلِّي بالصفات التي تقدَّمَت في محاضرة اختيار الزوج، وبعد الدراسة والسؤال، والاستفسار، والاستشارة الطويلة، بعد ذلك كلّه يُلجَأ إلى الاستخارة.

النقطة الأولى في الاستخارة

أنها تكون بعد الاستشارة، يعني ليس لأحد أن يُغمض عينيه ويقول: سأستخير الله، ثم ينام لينظر ماذا يرى!! بل ليفتَح امرؤٌ عينيه وذهنَه جيداً، ويسأل عن كل التفاصيل المطلوبة، وكذلك

الفتاة وأهلها، يسألون عن هذا الخاطب في مكان عمله، وفي مسجده، وبين أصحابه، وفي حيِّه، وبعد كل هذا الاستفسار يأتي دور الاستخارة. ورد في الأثر: «**ما خاب من استخار، ولا ندِم مَن استشار**»(١).

فالأمران مطلوبان: الاستخارة والاستشارة، والاقتصار على أحدهما نقص. دخل على النبي ﷺ أعرابي ومعه ناقة، قال: يا رسول الله، أَترُكُها وأتوكّل، أو أَعقِلُهَا وأتوكّل؟ فقال له النبيﷺ: «**اعقِلْها وتوكّل**»(٢). إذن، لا بد من أن نستشير ثم نستخير. يخطئ بعض الناس حين يلجؤون -إذا أتاهم الخاطب- إلى الاستخارة ويتركون الاستشارة، فتراهم لا يسألون عنه، ولا عن أبيه وأمّه، ولا عن عائلته وأصحابه، ولا عن عمله واهتماماته... لابد من الاستشارة والتدقيق والتمحيص، ثم بعد ذلك تكون الاستخارة.

النقطة الثانية: طريقة الاستخارة

عَلَّمنا رسول الله ﷺ طريقةَ الاستخارة، وهي ما روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله ﷺ يُعلِّمنا الاستخارة في الأمور كلِّها، كما يُعلِّمنا السورة من القرآن، يقول: «**إذا هَمَّ أحدُكم بالأمرِ فليركَعْ ركعتين من غيرِ الفريضةِ، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرُكَ بعِلمكَ، وأَسْتَقْدِرُك بقدرتكَ، وأَسألُكَ من فضلك**

---

(١) أخرجه الطبراني في: الأوسط.

(٢) أخرجه الترمذي.

العظيم، فإنك تقدِر ولا أقدر، وتعلَم ولا أعلَم، وأنت علَّامُ الغيوب. اللهم إن كنتَ تعلَم أنّ هذا الأمْرَ خيرٌ لي في ديني، ومعاشي، وعاقبةِ أمري -أو قال: عاجِلِ أمري وآجِلِهِ-، فاقْدُرْهُ لي، ويسِّرْهُ لي، ثم بارك لي فيه. اللهم إن كنتَ تعلمُ أنَّ هذا الأمر شَرٌّ لي في دِيني ومعاشي، وعاقبةِ أمري -أو قال: في عاجِلِ أمري وآجِلِهِ-، فاصْرِفه عَنِّي، واصرفْني عنه، واقْدُرْ لِي الخيرَ حيث كان، ثم رَضِّني به» قال: ويُسَمِّي حاجَتَه)[١].

هذه طريقة الاستخارة المشروعة.

النقطة الثالثة: بعض أنواع الاستخارة غير الشرعية

يَسلُك بعض الناس طُرقاً غير مشروعة في الاستخارة.

منها: أن تذهب النساء إلى امرأة تدَّعي أنها (شيخة)، أو يذهب الرجال إلى رجل يدَّعي أنه (شيخ)، فيمسك هذا الشيخ السُّبحَة، ويسأل الرجل: ماذا تريد؟ فيقول له: أنا فلان ابن فلانة، أريد أن أتزوج فلانة، فهل هي مناسبة؟ فيحرك الشيخ المزعوم السُّبحة، فإن تحركت إلى جهة اليمين قال له: تزوَّج، وإن تحركت إلى جهة الشِّمال فلا زواج. مثل هذا كان يفعله المشركون في الجاهلية، فإن أراد أحدهم السفر خرج في الصباح وضرب طائراً غير معين من الطيور التي تقف على الأرض بحَجَر، فإن طار الطائر باتجاه اليمين استبشَر بخيرِ سفَرِه، والعكس بالعكس، ويسمّون ذلك (طِيَرة)، قال

(١) البخاري وأبو داوود والنسائي والترمذي.

تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ۝١٩﴾ [يس: ٣٦/١٨-١٩].

ومنها: أن تذهب النساء إلى امرأة، ويقولون لها: إن فلاناً يريد أن يتزوج فلانة، فانظري أجيد هو أم سيئ، فتأتي بالمصحف وتفتحُ صفحة غير محدَّدة منه، وتنظر فيها، فإن كانت الآية تتحدث عن أهل الجنة والنعيم والرحمة قالت: إن هذا الرجل مناسب لهذه الفتاة، وإن كانت الآية تتحدث عن العذاب قالت لهم: إنه غير مناسب لها. هذه الاستخارة لا أصل لها في الشرع أيضاً.

وأودّ أن أعلِّق على حديث الاستخارة تعليقين:

التعليق الأول: مَن الذي يصلي صلاة الاستخارة؟

يقول الحديث: «**إذا همَّ أحدُكم بالأمر فليركع...**»، وهذا يعني أن الأصل أن صاحب الحاجة هو الذي يصلي الاستخارة لا غيره، ولا بأس أن يدعو أخٌ لأخيه، أو أن يطلب شاب من رجل صالح الدعاء، أو صلاة ركعتين على نية الاستخارة له، فهذا دعاء، والدعاء للأخ جائز؛ ولكن لا يَدَع الأمر لغيره من دون أن يصلي الاستخارة هو. فالاستخارة عبادة، والدُّعاء عبادة، وعندما تصلِّي أو تدعو تنال أجر هذه العبادات.

التعليق الثاني: هل يُعتمَد على ما يراه المستخير في المنام؟

بعض الناس إذا صلوا ركعتي الاستخارة ناموا، ثم انتظروا مناماً

يعوِّلون عليه في الإقبال على أمرهم أو الإدبار عنه؛ فإن رأى أحدهم رؤيا جميلة ظنَّ الفتاة مناسبة، وإن رأى عكس ذلك ابتعد عن الخِطبة، وهذا فعل خاطئ؛ لأنَّ الاستخارة لا علاقة لها بالمنامات والرؤى مهما كانت الرؤيا، إلا أن يرى المستخير رؤيا واضحةً جليةً، وأمراً خاصاً بهذه الأسرة التي يريد مصاهرتها، أو ترى الفتاة رؤيا واضحةً صريحةً تتعلق بالشاب نفسه، كأن تراه بعينه مثلاً يشرب الخمر والعياذ بالله، لقول رسول الله ﷺ: **«أَيُّها النَّاسُ، إِنَّهُ لم يَبقَ مِنْ مبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إلا الرُّؤيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاها المسلمُ، أو تُرَى له»**(١).

ومثل الرؤى انشراح الصدر وضيقُه عند صلاة الاستخارة، إذ لم يرد عن النبي ﷺ فيه شيء نَعلَمُه.

إذن، إن لم تكن الاستخارة تتعلق بالرؤيا ولا بانشراح الصدر، فما الاستخارة؟ الاستخارة دعاء مسنون يدعو المحتاج به، ثم يمضي إلى أمره، بعد الاستشارة، فإن وجد الأمر جيداً بنسبة ٧٥٪، يصلي ركعتي الاستخارة، ويعزم أمره، ويتوكَّل على الله، فإمَّا أن يُيسِّر الله له الأمر، فيرى اليسر في العقد والمهر وتجاوب الأهل، وإما أن يُعسَّر الأمر، ولا يتمّ، فيكون الله تعالى قد صَرَفه عنه.

هذه هي الاستخارة:

لها صيغة شرعية وردت في حديث رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم وأبو داوود والنسائي.

لا علاقة لها بالرؤى والمنامات، ولا بانشراح الصدر وانقباضه.

المسنون في الاستخارة أن يصلّيها صاحب الحاجة.

بعد الاستشارة والاستخارة يمضي الخاطب إلى العقد.

ثانيهما- إشاعات لا أصل لها

بعض الناس يستشيرون، ثم يستخيرون، ثم يذهبون للعقد، فيصادف أن العقد يكون في شهر شوال، فتقول أمّ الشاب له: إياك يا بُني أن تتزوج بين العيدين، انتظر حتى ينتهي العيد الكبير؛ لأن الزواج بين العيدين يؤثر في النسل!! وهذا الأمر يُتناقل بين بعض الناس، وهو كلام لا يصحّ. عن عائشة رضي الله عنها قالت: **«تزوَّجَني رسولُ الله ﷺ في شوال، ودخل بي في شوال، فأيُّ نسائه كان أحظى عنده منِّي؟!»، وكانت عائشة تَسْتَحِبُّ أن تُدْخِل نساءها في شوال**[١].

هذان هما الأمران اللذان أردتُ الحديث عنهما قبل الحديث عن العقد، أما الحديث عن العقد فيتناول أركانه، وسننه، وما يترتب عليه.

أولاً- أركان عقد الزواج

أركانه خمسة عند الشافعية[٢]، ويبطُل العقد بفقد أحد هذه

---

(١) أخرجه مسلم والترمذي والنسائي.

(٢) كما في كتاب: مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج.

الأركان، يعني: يكون النكاح غير صحيح، وعلاقة الزوج بزوجته غير شرعية.

الركن الأول: الصيغة.

الركن الثاني: الزوج.

الركن الثالث: الزوجة.

الركن الرابع: الولي.

الركن الخامس: الشاهدان.

الركن الأول- الصيغة

وهي إيجاب وقَبول؛ أي أن يقول الشاب لوالد الفتاة: (زوِّجني ابنتك فلانة)، فيقول له: (زوَّجتك)، أو يبدأ الأب فيقول له: (زوَّجتك ابنتي فلانة)، فيقول الشاب: (قبلتُ).

وإذا كان الزوج مسافراً فلا بأس أن يُرسل كتاباً مكتوباً، أو وكيلاً عنه، وإن كان أخرس، هو أو وليُّ الفتاة، قُبِلَت الإشارة المفهِمة أو الكتابة.

ملاحظة: الصيغة هَزلُها جِدٌّ، وجِدُّها جِدٌّ، قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث جِدُّهنَّ جِدّ، وهزلهنَّ جِدّ، النكاح، والطلاق، والرجعة»**[1]، والرجعة هي أن يراجع الرجل زوجته وهي في العدة، فيقول لها: (راجعتك).

---

(١) أخرجه أبو داوود والترمذي.

يتمازح رجلان مثلاً بحضرة شهود، فيقول الأول: زوِّجني ابنتك فلانة حتى تصير عمي، فيقول له الثاني: زوَّجتك، فصارت الفتاة بهذا زوجته؛ إذ ليس في أمر الأعراض مزاح في الإسلام، ويجِب الحذر فيها بشكل كبير.

ولا يشترَط في صيغة العقد قراءة الفاتحة، وإنما الصيغة إيجاب وقبول: (زوِّجني ابنتك، زوَّجتُك).

وذِكرُ المهر عند العقد سُنَّة، وقولهم في العقد: (على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ) هو مما تعارف عليه الناس للتذكير والبركة.

زواج المتعة

ماذا لو تزوج الرجل المرأة إلى أَجَل معيّن كشهر أو أكثر أو أقل، وقَبِل بذلك الولي؟

هذا اسمه: (زواج المتعة)، وهو نكاح مؤقت بأمَد معلوم أو مجهول، وهو حرامٌ باطلٌ شرعاً. قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس، إني كنتُ أذِنت لكم في الاستمتاع في النساء، وإن الله قد حرَّم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهنَّ شيء فليخلي سبيله**»[1].

كان نكاح المتعة في أول الإسلام جائزاً ثم حُرِّم، مَثَلُه مَثَلُ الخمر، كان العرب قبل الإسلام ينكحون من النساء سبعين، أو مئة، ينكح أحدهم المرأة ليوم أو لشهر، وكثير من علاقاتهم مع

---

(١) أخرجه مسلم.

النساء كانت غير شرعية، فجاء الإسلام محرماً أنواع الأنكحة الجاهلية، وأبقى الزواج الإسلامي المشروع، وربما تدرَّج الشرع الحنيف في تحريم نوع من أنواع الأنكحة، شأنه في ذلك شأن كثير من أوامره ونواهيه؛ فالصلاة فرضت بالتدريج، والصوم والجهاد مثلُها، والخمر حرِّمت بالتدريج، ونكاح المتعة مثلُها.

لعل شاباً يسافر إلى بلد غربي، ولأجل تحصيل الجنسية فيه يتزوج امرأة منهم، حتى إذا أخذ الجنسية تَرَكها!!

فإذا صرَّح بذلك في أثناء العقد، فقال لوليها مثلاً: زوجني ابنتك فلانة لمدة سنة، فهذا عقدٌ باطل، وإن أضمَر نيته في نفسه ولم يصرِّح بها في العقد فَعقده صحيح، ولكنه آثم؛ لأن عقد النكاح في الإسلام مقدَّس، وهو عقد على التأبيد فلا يجوز تحديده بوقت، وسيحاسبه الله تعالى على نيته هذه. عن الربيع بن سَبْرة الجهني عن أبيه أن رسول الله ﷺ نهى عن المتعة وقال: **«ألا إنها حرامٌ من يومكم هذا إلى يوم القيامة، ومن كان أعطى شيئاً فلا يأخذه»**[1].

الركنان الثاني والثالث: الزوج والزوجة

وقد تقدَّم في محاضرتَي اختيار الزوج والزوجة الحديثُ عن من يحرم من النساء والرجال.

---

(١) أخرجه مسلم.

الركن الرابع: الولي

الشاب البالغ العاقل لا يحتاج إلى ولي، إنما تحتاج إليه الفتاة، وجمهور العلماء على أنه لا يصحُّ العقد من غير ولي. قال رسول الله ﷺ: «**لا نكاح إلا بِوَلِيّ**»(١). وقال ﷺ أيضاً: «**أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحُها باطل، فنكاحُها باطل، فنكاحُها باطل**»(٢). وقال ﷺ كذلك: «**لا تُزَوِّج المرأةُ المرأةَ، ولا تُزَوِّج المرأة نفسها**»(٣).

قال جمهور العلماء بوجوب وجود الولي، فإن لم يكن الأب فالجدّ، وإن لم يكن الجدّ فالأخ، وإن لم يكن الأخ فالعمّ، وإن لم يكن العمّ فالخال، وإن لم يكن أحدٌ ممَّن يلي أمرها فالقاضي وليُّ من لا وليَّ لها، أما أن تتزوَّج وحدها من شاب دعاها إلى الزواج!! فهذا عقد باطل عند جماهير العلماء. ولتَحذَر الفتاة أن تزوِّج نفسها من دون علم وليِّها ورضاه، فكم من شاب أوقَع بفتاة من هذا الباب.

أما الإمام أبو حنيفة فقد أجاز للمرأة أن تزوِّج نفسها ولكن بشروط؛ فلعلَّ شاباً يطلب أن يعقد على الفتاة من دون ولي أمرها، فنقول له: إن العقد باطل، فيقول لنا: إن الإمام أبا حنيفة أجاز ذلك!! فنقول: نعم أجاز الإمام ذلك ولكن بشرطين اثنين:

---

(١) أخرجه أبو داوود، والترمذي، وابن ماجه.

(٢) أخرجه أبو داوود، والترمذي، وابن ماجه.

(٣) أخرجه ابن ماجه، والدارقطني، والبيهقي في: السنن.

١- أن تكون المرأة بالغة عاقلة راشدة واعية، لا يغرَّر بها.

٢- أن تتزوج من رجلٍ كفؤ، فإن كان غير كفؤ حقَّ لوليِّ أمرِها أن يفسَخَ العقد.

لكنَّ فساد ذمم العباد في هذه الأيام يدعونا إلى العمل بقول الجمهور في وجوب مباشرة ولي الفتاة عقدَ زواجها، ويبقى قول الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه لحالات خاصة، كحالة فتاة أسلمَت في دار الغربة، ولم تجد لها ولياً من المسلمين، فإنها تزوِّج نفسها للشاب المكافئ...

الركن الخامس: الشاهدان

قال النبي ﷺ: «**لا نكاح إلا بوليٍّ وشاهدَي عدل**»[1]. وقال ﷺ أيضاً: «**البغايا: اللاتي ينكحن أنفسهن بغير بينة**»[2]، أي: من دون شهود، كأن يذهب الشاب بالفتاة إلى مكان خَفيّ، ويقول لها: زوِّجيني نفسَك، فتزوِّجه نفسَها من دون شهود أو ولي، فهذا هو الزِّنا.

ثم يشترط للشهادة رجلان اثنان عند الجمهور، وتصح برجل وامرأتين عند أبي حنيفة.

وشرطوا العدالةَ في الشهود، والعدل هو المعروف بالاستقامة واجتناب المحرمات.

---

(١) أخرجه ابن حبان في: صحيحه، والطبراني في: الكبير والأوسط.

(٢) أخرجه الترمذي.

فلا يأتِينَّ رجل بشهود لا يعرف حالهم ليشهدوا على عقده، بل ليبحث عن الصالحين العدول من عائلته أو من غيرها؛ ليُبنَى عقده على الصلاح والبركة والخير، وعلى العدول، وعلى الذين يتَّبعون أوامر الله.

أما ما يتعلق بـ (كتاب الشيخ): فأنصح ألَّا يَعقِد أحدٌ العقدَ عند شيخ إلا مقروناً بعقد المحكمة؛ لأنَّ ذمم الناس في هذه الأيام لم تعد منضبطة بالشرع. عَقَدَ شاب على فتاة عَقْد شيخ، وذلك حتى يدخل على بيت الفتاة ويخرج كما يقال، ولم يثبِّت العقد في المحكمة، وبعد أن دخل وخرج مع الفتاة، وجلس وأكل معها، سافر الشاب وادَّعى أن الفتاة غير مناسبة له، فما حكم هذه الفتاة في الشرع؟

هي زوجته شرعاً!!

اتصل والدها بأهل الشاب وسأل عنه، فأخبروه بسفَره، وأنه لم يترك أي خبر يتعلق بالبنت، طلب والد الفتاة رقم هاتفه فلم يحصل عليه، وهذه الفتاة مزوَّجة، فلا يجوز أن تتزوَّج غيره، ولا تعرف ماذا تفعل، أمطلقة هي أم مزوجة؟! فلو كان العقد مثبَّتاً في المحكمة لما تصرف الشاب وأهله على هذه الشاكلة من الإهمال وعدم الاحترام للعقد وأهله.

يخاف بعض الآباء أن يُكتَب في السجلات الرسمية أن ابنته مطلَّقة، فيذهب نحو (كتاب الشيخ) من دون التثبيت في المحكمة. فأقول: كلمة (مطلَّقة) أفضل بكثير من ذهاب حقِّ البنت، أو أن

تصبح كما يقال: (لا معلَّقة ولا مطلَّقة)، ثم لِمَ الخوف إن كان الأب قد سأل عن حال الشاب، واستفسر، واستشار، واستخار، ثم اختاره على أساس صحيح ومدروس؟! فأنصح كلَّ أب ألَّا يعقِد عقد شيخ إلا ومعه عقد المحكمة.

هذا، ويترتب على الشاب والفتاة في كتاب الشيخ كل الحقوق المترتِّبة عليهما في كتاب المحكمة. فإن خلا الزوجان خلوة شرعية وحصل الدخول أُلزِم الرجل بكامل مهر الفتاة، وأُلزِمَت الفتاة بالعدة حال الطلاق، فالأمر لا هزلَ فيه ولا لعب، سواء كان العقد في المحكمة أو عند الشيخ، فالزواج معقود عند الله عز وجل قبل كل ذلك، وهو المعوَّل عليه. أما إن لم يكن هناك خلوة شرعية فيجب على الشاب نصف المهر، لهذا فلينتبه الشاب والفتاة ألَّا يُبرِما العقد إلا بعد دراسة جيدة لكلا الطرفين.

ثانياً- سنن عقد الزواج

إذا سقط الركن بطل العمل، فغياب الولي مثلاً عن العقد يبطله، ويجعل الزواج غير صحيح، وبذلك يكون لقاء الرجل مع المرأة غير مشروع.

على حين أن السُّنة يُستحَب فعلُها، ويؤجَر فاعلها، والعمل من دونها صحيح، إلَّا أنه دون مرتبته معها.

يُسَنُّ عند السادة الشافعية في عقد الزواج ما يأتي:

١- الإعلان

قال رسول الله ﷺ: **«أعلنوا هذا النكاح، واجعلوه في المساجد، واضربوا عليه بالدُّفوف»**(١).

وعلى ذلك فالزواج بالسرِّ صحيحٌ، لكنه مخالف للسنة، ولو توافرت أركان العقد (الصيغة، والولي، والزوج، والزوجة، والشاهدان).

ومن فوائد إعلان النكاح أنه يكفُّ عن الشاب والفتاة سيِّئَ الكلام في حال خروجهما أو لقائهما بمرأىً من الناس. ومن جهة أخرى يضمَن حقهما من الإرث في حال وفاة أحدهما.

بَلَغَني عن رجل كان صاحب مكانة وجاه، تزوَّج زوجة ثانية، وعنده من الأولى أولاد، فطلب من الثانية ألَّا يُعلَن هذا النكاح، لأجل مكانته الاجتماعية. وافقت المرأة ووليُّها، ثم طلب إليها ألَّا يُثبَّت العقد في المحكمة، فوافقت على ذلك أيضاً. وبعد مدة مات الرجل، ومعلوم أن للزوجات من إرثه الثُّمُن يتقاسمنه بالتساوي، لكنَّ الزواج الثاني لم يكن معلَناً، ولا مسجَّلاً في الدوائر الرسمية. فأدى إخفاء العقد إلى هضم حقوق الزوجة.

٢- أن يكون في المسجد

قال رسول الله ﷺ: **«أعلنوا هذا النكاح، واجعلوه في المساجد»**(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد.

(٢) تقدم آنفاً.

ليس المسجد مكاناً للصلاة وحسب، بل الصلاة أحد أعماله، وقد كان المسجد في زمن النبي ﷺ للصلاة، وللأفراح، وللأحزان، وللمواساة، ولتربية الأبناء، ولدروس العلم، ومنه كانت تنطلق الجيوش والبعوث الإسلامية، وكان مشفى لتمريض الجرحى، وسجناً يُسجَن فيه أسرى المشركين، فيحضُرون الدروس بشكل غير مباشر، ولعل الكثير منهم يُسلِم لكثرة ما يسمع من الدروس.

فالسُّنة أن يُجعل العَقد في المسجد حتى يبدأ المسلم حياته بالطاعة، وإذا لم يكن العقد في المسجد فلا بأس بذلك، وإن كان خلافاً للأولى، وأعيذك -أيها الشاب- أن تبدأ حياتك بمعصية، بأن تجعل عقدك في أماكن لا ترضي الله تعالى، وتجلب المغنِّين والراقصات وآلات اللهو والخمور، وتجعل حياتك الزوجية تبدأ بالفجور.

٣- الوليمة

رأى رسول الله ﷺ على عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أَثَرَ صُفرة، فقال: «**مَهْيَمْ**[١]**؟ ما هذا؟**» قال: تزوجتُ، قال: «**بارك الله لك، أَوْلِمْ ولو بشاة**»[٢].

الوليمة: طعام العرس، فإن كان الرجل مقتدراً أَوْلَمَ لمن حضر، وإلا فلا بأس أن يمضي الأمر من غير وليمة.

---

(١) مهيم: كلمة تقال للمستفهم المستريب بالشيء، ومعناها: ما أمرك وما شأنك؟

(٢) أخرجه الستة.

٤- الدعاء للزوجين

بدعاء النبيﷺ: «**بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير**»[(١)].

٥- ذِكْرُ الصَّداق في العقد

بأن يقول الشاب لوالد الفتاة: زوجني ابنتك على صداقٍ مقداره كذا... فذِكرُ المهر عند العقد سُنَّة، ولكن إذا لم يُذكَر المهر في أثناء العقد فالعقد صحيح، والأفضل أن يُذكَر حتى يعلم الحاضرون مهر هذه الفتاة.

أربع ملاحظات في المهر

١- المهر يسمَّى صَداقاً؛ لأنه يدلُّ على صدق الشاب في طلبه الفتاةَ التي يرغب في الزواج منها.

٢- السُّنَّة عدم المغالاة في المهور: قال رسول الله ﷺ: «**أعظم النساء بَرَكَةً أيسرهن مُؤْنَة**»[(٢)]. وقال عمر بن الخطاب ﵁: «ألا لا تُغلوا صداق النساء، فإنها لو كانت مَكرُمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم وأحقّكم بها محمد ﷺ، ما أصدق امرأة من نسائه ولا امرأة من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية»[(٣)]. وما زاد صداق نساء النبي ﷺ أو بناته على خمس مئة درهم، يعني: ما يقارب اليوم خمسة وعشرين ألفاً من الليرات السورية.

---

(١) أخرجه الترمذي وأبو داوود.

(٢) أخرجه الحاكم وصححه، والنسائي في: الكبرى.

(٣) أخرجه أبو داوود والترمذي والنسائي.

وزوّج سيدنا شعيب ابنته من سيدنا موسى عليهما السلام بمهر ميسور، قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص: ٢٨/ ٢٧-٢٨].

هذا، وإن العلماء أجمعوا على أن المغالاة في المهور إذا أدَّت بالأكفاء إلى ترك الزواج وذهبت بالفتيات والفتيان نحو الفواحش، فإن المغالاة حينها تكون محرمة بالإجماع.

٣- تعارَف الناس في هذا الزمان أن يكون المهر مقدَّماً ومؤخَّراً؛ مقبوضاً وغير مقبوض. والأصل في الشرع أن يُعطى المهر للمرأة دفعةً واحدة عند العقد، ولكن إذا قسَّمناه مساعدةً للزوج فلا بأس، على أن يبقى دَيناً في ذمَّته، يردُّه إلى الزوجة متى أمكنه، علماً أن تأخير سداد الدين في حق الواجد حرام، لقول رسول الله ﷺ: «مَطْلُ الغَنيِّ ظُلْمٌ»[1].

٤- يتحدَّث الناس في بعض الأحيان عن مَهْر السِّر ومَهْر العَلَن، فالذي يَثبُت عند الجمهور هو المهر المذكور عند إبرام العقد.

ثالثاً- ماذا يترتب على عقد الزواج؟

١- حِلُّ استمتاع كلٍّ من الزوجين بالآخر.

---

(١) متفق عليه.

٢- وجوب المهر بحصول الخلوة: قضى الخلفاء الراشدون بأنه (مَن أرخى ستاراً وأغلق باباً وجب المهر)، أما إذا لم تحصل الخلوة فيجب نصف المهر، وإن كان بعض الفقهاء يرى أن وجوب المهر يثبت بالدخول لا بالخلوة.

٣- يرث كلٌّ من الزوجين الآخرَ.

٤- يثبت وجوب طاعة الزوجة لزوجها.

وبعد، فهذا هو الحديث عن عقد الزواج: أركانه، وسننه، وما يترتب عليه، وعن الاستخارة قبله، وبعض الشائعات التي تدور حوله، والله أعلم.

المحاضرة العاشرة

ثماني نصائح بين العقد والعرس

كيف يتصرف العاقدان في المدة بين العقد والعرس؟ وكيف تكون علاقته مع أهل الفتاة؟ وكيف تكون علاقتها مع أهله؟ وما الأمور التي ينبغي أن يتحدثا بها خلال هذه المدة؟

هذا ما ستتناوله هذه المحاضرة في هذه النصائح الثماني.

النصيحة الأولى: الأفضل ألاّ تَطُولَ المدة بين العقد والعرس

إذا كان من الممكن أن تنقضي في أشهر ستة أو سبعة أو ثمانية فهو حسن، أما أن يعقد شاب على فتاة وفي نيته أن يكون العرس بعد خمس سنوات!! ففي الغالب سيقع الطلاق قبل موعد العرس.

يقول بعض الناس: إن هذه المدة يتعارف فيها الزوجان، فإن طالت زادت معرفة أحدهما بالآخر أكثر؟! أقول: هذا صحيح، لكنهما بالمقابل يكتشفان أخطاء بعضهما، والغالب أن إطالة المدة بين العقد والعرس مع اكتشاف هذه الأخطاء يؤديان إلى الطلاق.

النصيحة الثانية: التقليل من زيارة بيت المعقود عليها فيما بين العقد والعرس

لا يليق بالشاب أن يقرَع باب بيت عمِّه في كل يوم، في الصباح والمساء، فسوف يستقبله عمّه اليوم، ويرحِّب به غداً، ويستحيي منه في اليوم الثالث، ويُحرَج منه في اليوم الرابع، ثم بعد ذلك يبعث ابنه الصغير ليفتح له الباب، ثم لا يفتح له الباب أبداً.

قال أحد الشعراء:

أقلل زيارتك الصديقَ يراك كالثوب استَجَدَّه

إنَّ الصديق يملُّهُ أن لا يزال يراك عنده

نعم، جميلٌ أن يحبَّ الرجل ولده، وجميل أن يحب زوجته، وجميل أن يحبّ عمله، ولكن الأجمل من ذلك كله ألّا يكون قلبه متعلِّقاً إلا بالله وحده. جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ، فقال: **«يا محمد، عِشْ ما شئتَ فإنكَ ميّت، وأحبب مَن شئتَ فإنك مفارقه، واعمَل ما شئت فإنك مجزيٌّ به»**[1].

ولئن قلتُ: يَجمُلُ التقليل من زيارة بيت المعقود عليها فيما بين العقد والعرس، فيما يتعلق بالمكثرين، فأقول بالمقابل للممتنعين عن الزيارة أو المقلين منها: إن الزيارة المعتدلة تزيد الودَّ، وتقرِّب البعيد، وتدني العاقدين من بعضهما، وتؤهّلهما لليلة العرس.

(١) أخرجه الحاكم، والطبراني.

النصيحة الثالثة: عدم التأخر في الزيارات ليلاً

فخروج الشاب من بيت أهل المعقود عليها في ساعة متأخِّرة من الليل أمر لا يليق به، ولا بالبيت الذي يزوره، وفي تأخير الزيارة حَرَج يقع على الأب الذي يستيقظ إلى عَمَله باكراً، أو على الأم التي تكون أول من يستيقظ من أهل البيت، أو حتى على البنت التي ستَلقى العَتَبَ من أهلها بعد خروج زوجها، وفي الحالات كلها يلزَم أن تكون الزيارة في وقت مناسب لا حَرَج فيه.

النصيحة الرابعة: التقليل من الخروج مع الزوجة قبل الزواج، وعدم التأخر بالعودة ليلاً

هذا الأمر يُريب أهل الفتاة، والأفضل للزوجين التقليل من ذلك لكفّ ألسِنَة السوء عنهما، ولعلَّ قائلاً يقول: هي زوجتي؟! أقول: نعم، هي زوجتك، لكن العُرف عندنا له حُكمُه وقيمتُه، وذهابها وإيابها بكثرة قبل الزفاف أمر يُريب مَن حولها، ويلفِتُ أنظار الناس.

النصيحة الخامسة: فيمَ يتحدّث الزوج مع زوجته بين العقد والعرس؟

١-على الزوج أن يخبر زوجته بما يُحِب ويكرَه، ويسألها ماذا تحب هي وماذا تكرَه؟ وإليك هذه القصة:

عن الشَّعبي قال: «لقيَني شُرَيح (القاضي)، فقال لي: يا شَعبي، عليك بنساء بني تميم، فإني رأيتُ لهنّ عقولاً، فقلتُ: وما رأيتَ

من عقولهنّ، قال: أقبلتُ من جنازة ظهراً، فمررتُ بدورهنّ، وإذا أنا بعجوز على باب دار، وإلى جانبها جارية كأحسن ما رأيت من الجواري، فعدَلت إليها واستسقيت، وما بي عطش، فقالت لي: أيُّ الشراب أحبُّ إليك؟ قلتُ: ما تيسَّر، قالت: ويحكِ يا جارية، ائتيه بلبن، فإني أظنُّ الرجل غريباً، فقلتُ للعجوز: ومن تكون هذه الجارية منك؟ قالت: هي زينب بنت جرير إحدى نساء بني حنظلة، قلتُ: هي فارغة أم مشغولة؟ قالت: بل فارغة، قلتُ: أتزوجينيها؟ قالت: إن كنتَ كفؤاً. فتركتُها ومضيتُ إلى منزلي لأقيل فيه، فامتَنَعَتْ مني القائلة، فلما صليتُ الظهر أخذتُ بيد إخواني من العرب الأشراف (علقمة، والأسود، والمسيب) ومضيتُ أريد عمَّها، فاستقبَلَنا وقال: ما شأنك أبا أمية؟ قلتُ: زينب ابنة أخيك، قال: ما بها عنك رغبة، فزوَّجَنيها.

فلمَّا صارت في حبالي ندمتُ وقلتُ: أيُّ شيء صنعتُ بنساء بني تميم، وذَكَرتُ غلظ قلوبهنّ، فقلت: أطلِّقها، ثم قلت: لا، ولكن أدخل بها، فإن رأيتُ ما أُحبّ وإلا كان ذلك.

فلو شهدتَني -يا شَعبيّ- وقد أقبلَتْ نساؤها يُهدِينها حتى أُدخِلَت عليّ، فقلتُ: إن من السنَّة إذا دَخَلَت المرأة على زوجها أن يقوم ويصلي ركعتين، ويسأل الله تعالى من خيرها ويتعوذ من شرها، فتوضأتُ فإذا هي تتوضأ بوضوئي، وصليتُ فإذا هي تصلي بصلاتي. فلما قضيتُ صلاتي أتتني جواريها، فأخذنَ ثيابي، وألبسنَني ملحفة قد صُبغت بالزعفران، فلما خلا البيت دنوتُ منها،

فمددتُ يدي إلى ناصيتها، فقالت: على رِسلك أبا أمية، ثم قالت: الحمد لله أحمدُه، وأستعينُه، وأصلي على محمد وآله، أما بعد: فإني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك، **فبيِّن لي ما تحب فآتيه، وما تكره فأجتنبه**، فإنه قد كان لك مَنكَح في قومك، ولي في قومي مثل ذلك، ولكن إذا قضى الله أمراً كان مفعولاً، وقد ملَكتَ، فاصنع ما أمرك الله تعالى به: إما إمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولك ولجميع المسلمين. قال: فأحوجَتْني -والله يا شَعبي- إلى الخطبة في ذلك الموضع، فقلت: الحمد لله أحمده، وأستعينه، وأصلي على محمد وآله، أما بعد: فإنكِ قلتِ كلاماً إن ثبتِّ عليه يكن ذلك حظاً لي، وإن تدَّعيه يكن حجة عليكِ. أُحبُّ كذا، وأكره كذا، وما رأيتِ من حسنة فابثُثِيها، وما رأيتِ من سيئة فاستريها.

قالت: **كيف محبَّتك لزيارة الأهل؟** قلتُ: ما أحبُّ أن يملَّني أصهاري. قالت: **فمَن تحب من جيرانك يدخل دارك آذن له، ومن تكرهه أكرهه؟** قلت: بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء.

قال: فبتُّ معها -يا شَعبيّ- بأنعم ليلة، ومكثَتْ معي حولاً لا أرى منها إلا ما أحبّ، فلما كان رأس الحول جئتُ من مجلس القضاء، وإذا أنا بعجوز في الدار تأمر وتنهى!!

قلت: من هذه؟ قالوا: فلانة أمُّ حليلتك. قلتُ: مرحباً وأهلاً وسهلاً.

فلما جلستُ أقبَلَت العجوز فقالت: السلام عليك يا أبا أمية.

قلت: وعليكِ السلام ومرحباً بك وأهلاً. قالت: كيف رأيتَ زوجتك؟ قلتُ: خير زوجة، وأوفق قرينة، لقد أدَّبتِ فأحسنتِ الأدب، وريَّضتِ فأحسنتِ الرياضة، فجزاكِ الله خيراً. قالت: كيف تحب أن يزورك أصهارك؟ قلتُ: ما شاؤوا.

فكانت تأتيني في رأس كل حول، فمكثَتْ معي -يا شعبي- عشرين سنة، لم أَعِب عليها شيئاً، وكان لي جارٌ من (كِندة) يقرّع امرأته ويضربها، فقلت في ذلك:

رأيتُ رجالاً يضربون نساءهم فشُلَّت يميني يوم تُضرَب زينبُ

أأضربها من غير ذنبٍ أتت به فما العدل مني ضربُ من ليس يذنبُ

فزينبُ شمسٌ والنساء كواكب إذا طلَعَت لم يَبدُ منهنّ كوكب»[١]

٢-على الزوج أن يخبر زوجته بوضعِه المالي، حتى يتعاونا معاً على تدبير نفقاتهما وفق وارداتهما.

٣-عليه أن يحدثها كيف يمكن أن يحلَّا مشكلاتهما، وستأتي محاضرة كاملة عنوانها: (قواعد مهمة في احتواء المشكلات الزوجية).

٤-عليه أن يحدثها عن برنامج عمله وزياراته وأسفاره.

٥-عليه أن يخبرها بمواعيد زيارة أهله وأهلها بعد الزواج، ومواعيد مجالس العلم التي يحضرها أو تحضرها.

---

(١) المستطرف في كل فن مستظرف.

النصيحة السادسة: الاعتدال في الهدايا

مسيرة الحياة طويلة، ولئِن قدَّم الشاب لزوجته بين العقد والعرس الهدايا التي لا يمكنه أن يقدمها لها بعد العرس فإن ذلك سيؤثر في نفسها سلباً، ثم إن الهدايا بمعانيها لا بقيمتها المادية.

كن صادقاً في الهدايا، فلا تأتِ لزوجتك بهدايا غالية جداً، لا تستطيع أن تستمرَّ في تقديمها طيلة حياتك، لتكن هداياك متناسبة مع دَخْلك المادي، فمن الخطأ أن يُهدي شابٌّ زوجته كلَّما زارها في بيت أهلها في المدة بين العقد والعرس هدية ثمنها ستة آلاف ليرة سورية مثلاً، أو خمسة آلاف، أو أربعة آلاف في حين أن دَخْله الشهري اثنا عشر ألفاً، لتكن الهدايا متناسبة مع الدَّخْل.

النصيحة السابعة: على الزوج أن يراعي الحالة العاطفية للزوجة في أثناء هذه المدة

فهي مرحلة نوعية في حياتها، لذلك فلا بدَّ أن يعطيها حقَّها من الناحية العاطفية، وعليها أيضاً أن تراعي له هذا الأمر.

سُئل النبي ﷺ: مَن أحب الناس إليك؟ فقال: «**عائشة**»[1]، وقال أيضاً: «**الحمد الله الذي رزقني حبَّ عائشة**»[2]. وكان ﷺ إذا شربَتْ عائشة يأخذ القربة ويتتبع أثر فمها، قالت: «كنت أشرب من القَدَح فأُناوِلُه إياه، فيضع فمَه في الموضع الذي كنتُ أشرب»،

---

(١) متفق عليه.

(٢) لم أجده.

وفي رواية: «كنتُ أشرب من الإناء وأنا حائض، ثم أُنَاوِلُه النبيَّ ﷺ، فيضع فَاهُ على موضع فِيَّ»[1]. فالكلمة اللطيفة، واللمسة الحانية، والضمة الحنون، لها الوقع الحَسَن عند كِلا العاقدين.

النصيحة الثامنة: لا تُحرِج زوجتك بأوامر تخالف فيها أهلها

بما أن الفتاة المعقود عليها ما زالت في بيت أهلها فإنها تَسير بسيرهم، ولكل أسرة نظامها وعُرفها، فالشاب الذي يريد من زوجته قبل العرس ألَّا تخرُج مع أمها إلا بإذنه مثلاً، أو يمنعها من زيارة أرحامها مع أهلها، يُحرِج زوجته مع أهلها، ويزرع بذور الخلاف بينه وبين هذه الأسرة. والعاقد الذي يطلب من زوجته أن تخرج معه من دون موافقة والدها يوقِع نفسه وزوجَه في حرَج شديد.

وهكذا فالمأمول من كل عاقد ألَّا يُحرِج زوجته بطلبات تخالف فيها أهلها.

وبعد، فهذه هي النصائح الثماني التي أردتُ تقديمها للعاقدين في المدة بين العقد والعرس، مع العلم أن هذه المدة تشكِّل مقدِّمة مهمة جداً للحياة الزوجية وبناء الأسرة، والله أعلم.

(١) مسلم وأبو داوود والنسائي.

المحاضرة الحادية عشرة

ليلة العرس

في محاضرة اليوم ستُّ ملاحظات أحدِّث بها كلَّ شاب وكلَّ فتاة وكلَّ أبٍ وكلَّ أُمّ...

لكن قبل ذلك أودُّ أن أقول: إن الأيام القادمة تحمل، بإذن الله تعالى، نصراً كبيراً للإسلام والمسلمين، ولكنها بحاجة إلى أُسَر مسلمة، منضبطة بالشرع. وأكبر خدمة يقدِّمها أحدُنا للإسلام أن يبني بيته وأسرته وفق منهج الإسلام، وأن يربي أبناءه كما أمَر الإسلام.

ومن جملةِ هذه التربيةِ: التربيةُ الزوجية، أما إذا تَركْنا بناتنا للتلفاز ومحطات الفضاء تربِّيهنّ، وتَركْنا أبناءنا يتلقَّون تعاليم الزواج من الشارع ورفاق السوء والأفلام الهابطة، فبيوتهم القادمة ستكون بيوتاً بعيدة عن الشرع، وسيكون أبناؤهم كذلك بعيدين عن الشرع، لذلك كانت الدورة التأهيلية للحياة الزوجية.

ست ملاحظات حول ليلة الزفاف

تُعَدُّ ليلة الزفاف مهمَّة في الحياة الزوجية، لذلك لا بد فيها من ملاحظة الأمور الآتية:

*** الملاحظة الأولى: لا تبدأ زواجك -أيها الشاب- بارتكاب المحرمات**

فبعض الأمور التي يَستَهينُ بها عددٌ من الناس في ليلة العرس لا يرضى الله تعالى عنها ولا الرسول ﷺ.

١- ما يسمَّى (تلبيسة العريس)، وما يكون فيها من كشف عورة الشاب العروس أمام أصدقائه وأقاربه، وكذلك حال الزوجة بين صديقاتها وقريباتها، حرام مخالف للشرع.

عن بَهْز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قلتُ: (يا رسول الله، عوراتُنا ما نأتي منها وما نَذَر؟ قال ﷺ: «**احفَظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملَكَت يمينك**»، قال: قلتُ: يا رسول الله، إذا كان القوم بعضهم في بعض؟ قال: «**إن استطعتَ أن لايرينَّها أحدٌ فلا يرينَّها**»، قال: قلتُ: يا رسول الله، إذا كان أحدنا خالياً؟ قال: «**الله أحقُّ أن يُستحيا منه من الناس**»)[١].

٢- كشف النساء عوراتهنّ فيما بينهنّ في صالات الأفراح حرامٌ مخالف للشرع؛ فعورة المرأة على المرأة ما بين السُّرَّة والرُّكبة، فلا يجوز للمرأة أن ترى من المرأة ما بين السُّرَّة والركبة. وبعض النساء يرتدين في صالات الأفراح ثياباً تكشف ما فوق الركبة، ويقُلنَ: هذه حفلة نساء!!

والمشكلة الكبرى وجود أجهزة هواتف محمولة تحتوي على آلات تصوير، فربما ألقَت الفتاة الملتزمة والمحجبة ثيابها في

(١) أخرجه أبو داوود والترمذي وابن ماجه.

الصالة، فصوَّرتها امرأة لا تخاف الله، فكشَفَت منها ما أمَر الله بسَتره، وكم سمعنا عن واقعات من أمثال ذلك يندى لها الجبين. قال رسول الله ﷺ: «**ما من امرأة تخلَع ثيابها في غير بيتها إلا هَتَكَتْ ما بينها وبين الله تعالى**»[1]. وفي رواية: «**أيما امرأة نَزَعَتْ ثيابها في غير بيتها خَرقَ الله عنها ستَره**»[2].

٣- دخول والد الشاب العروس وإخوته وأقاربه الرجال إلى صالة النساء مع وجود نساء غريبات عنهم مبدياتٍ زينتهنّ. قال رسول الله ﷺ: «**إيَّاكُم والدخولَ على النساء**»، فقال رجل من الأنصارِ: أفرأيتَ الحَمْوَ[3]؟ قال: «**الحَمْوُ الموتُ**»[4].

٤- دخول الشاب العروس إلى صالة النساء مع وجود نساء غريبات عنه من غير حجاب شرعي، وربما رقصنَ له، وربما أرقَصْنه!!

٥- جلبُ مغنٍّ أو راقصة، وتوزيع الخمور، واختلاط الرجال بالنساء...

٦- التباهي والإسراف في حفلة العرس: ولربما اختلفَت العائلتان في هذا؛ كأنْ تشترط عائلة الفتاة صالةً ما، أو ضيافةً ما، فيمتنع الشاب العروس أو أهله عن ذلك، فيؤدِّي هذا إلى إيقاف العرس والطلاق.

---

(١) أخرجه أبو داوود والترمذي.

(٢) الحاكم والطبراني وأحمد.

(٣) الحمو: أخو الزوج وما أشبهه من أقارب الزوج كابن العم ونحوه.

(٤) متفق عليه.

٧- اشتراط مقدار معينٍ من الذهب على الشاب العروس زائدٍ على المهر المسمَّى، يُرغَم على تقديمه لزوجه في حفلة العرس.

فهذه الأمور السبعة لا يرضاها الشرع الحنيف، فاسعَ ألَّا تبدأ زواجك بارتكاب المحرمات.

*** الملاحظة الثانية**

يُسَنُّ لمن دخل إلى زوجته أن يدعو بهذا الدعاء: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أفاد[1] أحدُكم امرأةً فليأخذ بناصيتها، وليسمِّ الله عزَّ وجل، وليَدْعُ بالبركة، وليقُل: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جُبِلَت عليه، وأعوذ بك من شرِّها وشرِّ ما جُبِلَت عليه**»[2].

واستحبَّ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه صلاة ركعتين؛ إذ قال لرجل أراد أن يتزوج: «إذا أتتكَ زوجتك فأمُرْهَا أن تصلي وراءك ركعتين، ثم قل: اللهم بارك لي في أهلي، وبارك لهم فيّ، اللهمَّ اجمع بيننا ما جمعتَ بخير»[3].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله فليقل: بسم الله، اللهم جنبني الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنْ قدِّر بينهما بولد لم يَضرّه شيطان**»[4].

---

(١) أفاد: بمعنى تزوَّج.

(٢) ابن ماجه.

(٣) أخرجه الطبراني في: الكبير، وعبد الرزاق، وابن أبي شيبة.

(٤) أخرجه أبو داوود والنسائي.

*** الملاحظة الثالثة**

يُسَنُّ للزوج أن يتزيَّن لزوجته، وأن يؤانسَها ويلاطفَها: قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢/٢٢٨]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي»[١].

وسُئِلَت السيدة عائشة رضي الله عنها: بأي شيء كان النبي ﷺ يبدأ إذا دخل بيته؟ قالت: بالسواك[٢] وفي ذلك مراعاة لحق الزوجة وتعليم للرجال أن يعتنوا بأفواههم حتى لا تتأذى الزوجات من رائحة الفَمِ.

وكان رسول الله ﷺ من أَفكَه الناس مع نسائه[٣].

وفي ممازحة الزوج زوجه ومؤانسته لها ليلةَ الزفاف تمهيد مناسب للمباشرة والجماع.

*** الملاحظة الرابعة**

الزوجة كلُّها حلال لزوجها، والزوج كلُّه حلال لزوجته، إلا أمرين اثنين يحرمان على الزوج والزوجة:

١- الإتيان في الدبر: وهو من الكبائر، قال رسول الله ﷺ: **«إن الله لا يستحيي من الحق، فلا تأتوا النساء في أدبارهنّ»**[٤]. وقال

---

(١) ذكره النسائي في: عشرة النساء، ١/٢٨.

(٢) أخرجه مسلم وأبو داوود والنسائي.

(٣) أخرجه بنحوه ابن عساكر في: تاريخ دمشق، والطبراني في: الأوسط، والبيهقي في: الدلائل.

(٤) أخرجه الترمذي.

ﷺ أيضاً: «**لا ينظر الله إلى رجل جامَعَ امرأتَه في دُبُرها**»[(١)].

٢- الإتيان في الحيض والنفاس: قال الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢/ ٢٢٢]. وقد سُئل ﷺ عن إتيان النساء في المحيض، فقال: «اصنعوا كلَّ شيء إلا النكاح»[(٢)]. وقال أيضاً: «**من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً فقد كفر بما أُنزِل على محمَّدٍ**»[(٣)].

*** الملاحظة الخامسة: يُنصَح بسؤال أهل العلم والتقوى**

فأنصح كل شابٍّ قَرُب موعد عرسه أن يذهب إلى رجلٍ من أهل العلم والصلاح، فيسأله عمَّا يتعلق بليلة العرس، وكذلك الفتاة تسأل امرأة عليها سِمَة التقوى والصلاح.

وحذار من سؤال أبناء الشارع، وأصدقاء السوء عمّا يتعلَّق بليلة العرس، أو اللجوء إلى الأفلام الهابطة ومواقع الإنترنت الماجنة.

ثم إن العلاقة الخاصة بين الزوجين أمرٌ فطريّ، مَثَلُها كَمَثَل رضاع الطفل ساعة ولادته، فلا يغرنَّك -أيها الشاب- أحد أصدقائك يعرض عليك النظر إلى أفلام ساقطة بحجَّة تعلُّم هذا الأمر!!

---

(١) أخرجه الترمذي.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) أخرجه الترمذي.

كما يُنصح بقراءة أحد الكتب الآتية:

(الحياة الزوجية من منظار الشريعة الإسلامية): للدكتور محمد شريف الصواف.

(تعامل النبي ﷺ في الحياة الزوجية): لأديب الكمداني.

(تحفة العروس): لمحمود مهدي الإستنبولي.

*** الملاحظة السادسة: يحرُم إفشاء الأسرار الزوجية**

قال الله تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٤/ ٣٤]. وقال رسول الله ﷺ: «**عسى رجلٌ يحدِّث بما يكون بينه وبين أهله، أو عسى امرأةٌ تحدِّث بما يكون بينها وبين زوجها، فلا تفعلوا، فإن مَثَل ذلك مَثَل الشيطان لَقِي شيطانة في ظهر الطريق فغشيها، والناس ينظرون**»[١]. فلا يحلُّ لأحد الزوجين إخبار غريب بالعلاقة الخاصة بينهما ما لم تكن مراجعة طبية أو إرشادية.

وبعد، فهذه ملاحظات ستّ متعلقة بليلة العرس:

١-لا تبدأ زواجك بارتكاب المحرمات.

٢-يُسَنُّ لمن دخل على زوجته أن يدعو بالدعاء المأثور.

٣-يُسَنُّ للزوج أن يتزيَّن لزوجته، وأن يؤانسَها ويلاطفَها.

(١) أخرجه أحمد والطبراني.

٤-الزوجة كلُّها حلالٌ لزوجها، والزوج كلُّه حلال لزوجته، إلا أمرين اثنين يحرمان على الزوج والزوجة.

٥-يُنصَح بسؤال أهل العلم والتقوى.

٦-يحرُم إفشاء الأسرار الزوجية.

والله أسأل أن يوفق كلَّ زوجين، ويغني كلاً منهما بصاحبه.

المحاضرة الثانية عشرة

الرسول الزوج

سنتكلم في هذه المحاضرة على عَمَل سيدنا محمد ﷺ في بيته، وتعامله مع أهله، لنقتدي به ونتأسى؛ لأنه ﷺ قمة الكمال البشري: كمال العقل، وكمال الأخلاق، وكمال الأدب، وكمال حسن السياسة... يقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣/ ٢١]. ويقول النبي ﷺ: «**كلُّ أمَّتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟! قال: «**مَن أطاعني دخَل الجنة، ومَن عصاني فقد أبى**»[(1)]. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣/ ٣١].

وجدتُ رسول الله ﷺ -الزوجَ- يتَّصف بعشر صفات، وعلى كلِّ مسلم يرجو الكمال أن يتَّصف بها:

---

(١) أخرجه البخاري.

أولاً- كان رسول الله ﷺ زوجاً يحبُّ زوجته، ويخبرها بذلك

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: (يا رسول الله، مَن أحبُّ الناس إليك؟ قال: «**عائشة**»، قال: مِن الرجال؟ قال: «**أبوها**»)[١] .

وتقول عائشة رضي الله عنها: (وكان النبي ﷺ إذا ذبح الشاة يقول: «**أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة**»، قالت: فأغْضَبْتُه يوماً، فقلتُ: خديجة عجوز، فقال: «**إني رُزِقْتُ حُبَّها**»)[٢].

وطَلبَت زوجات النبي ﷺ من السيدة فاطمة أن تكلِّم أباها في شأن عائشة، وإليك نَصَّ الحديث: عن عائشة رضي الله عنها قالت: (إنَّ نساءَ رسولِ الله ﷺ كُنَّ حزبين، فحزبٌ فيه: عائشة، وحفصةُ، وصفيةُ، وسودةُ، والحزب الآخر: أمُّ سَلَمَة، وسائرُ أزواج النبيِّ ﷺ. وكان المسلمون قد علموا حُبَّ رسولِ الله ﷺ عائشة، فإذا كانت عند أحدهم هديَّة يريد أن يُهديَها إلى رسولِ الله ﷺ أخَّرها، حتى إذا كان رسولُ الله ﷺ في بيت عائشة ذهب صاحب الهدية بها إلى رسولِ الله ﷺ في بيت عائشة. فكلَّم حزبُ أمِّ سَلَمَة أمَّ سَلَمَة، فقلنَ لها: كَلِّمي رسولَ الله ﷺ يُكَلِّمُ الناس، فيقول: من أراد أن يُهْدِي إلى رسولِ الله ﷺ هدية فَلْيُهْدِ إليه حيثُ كان مِنْ نسائه، فَكَلَّمَتْهُ أمُّ سَلَمَة بما قُلْنَ فلم يقل لها شيئاً، فسألنَها، فقالت: ما قال لي شيئاً، فقلنَ لها: كَلِّميه. قالت: فكلَّمَتْه حين دار إليها أيضاً، فلم يقلْ لها

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

شيئاً، فسألنَها فقالت: ما قال لي شيئاً، فَقُلْنَ لها، كَلِّميه حتى يكلِّمَكِ. فدار إليها، فكلَّمته، فقال لها: «**لا تؤذيني في عائشة، فإن الوَحْيَ لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة**»، قالت: فقلتُ: أتوبُ إلى الله مِنْ أذاك يا رسولَ الله.

ثم إنهنَّ دَعَونَ فاطمة بنتَ رسولِ الله ﷺ، فأرسلنَها إلى رسولِ الله ﷺ تقول: إن نساءك يسألْنَك العَدْلَ في بنت أبي بكر، فكلَّمَتْهُ، فقال: «**يا بُنَيَّةُ، ألا تُحِبِّينَ ما أُحِبُّه؟**» فقالت: بلى، فَرَجَعَتْ إليهن، فأخْبرَتْهُنَّ، فقلن: ارجِعِي إليه، فأبَت أن ترجع.

قالت عائشةُ: فأرسل أزواجُ النبيِّ ﷺ زينبَ بنتَ جَحش زوجَ النبيِّ ﷺ، وهي التي كانت تُسَامِيني منهنَّ في المنزلة عند رسولِ الله ﷺ، ولم أرَ قَطُّ خيراً في الدِّين مِنْ زَيْنبَ، وأتْقى لله، وأصْدَقَ حديثاً، وأوْصَلَ للرحم، وأعظمَ صدقة، وأشدَّ ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تَصَدَّقُ به، وتَقَرَّبُ به إلى الله عز وجل، ما عدا سَوْرَة من حَدّة كانت فيها، تُسْرِع منها الفَيئَة. قالت: فاستأذنَتْ على رسولِ الله ﷺ، ورسولُ الله ﷺ مع عائشةَ في مِرْطها على الحال التي دَخَلَتْ فاطمةُ عليها وهو بها، فأذِنَ لها رسولُ الله ﷺ، فقالت: يا رسولَ الله، إن أزواجك أرسَلنني يسألْنَكَ العَدْلَ في ابنة أبي قحافة، قالت عائشة: ثم وقَعَتْ بي، فاستطالت عَليَّ، وأنا أرقُبُ رسولَ الله ﷺ وأرقُبُ طَرْفَه، هل يأذن لي فيها؟ قالت: فلم تبرح زينبُ حتى عَرفتُ أن رسولَ الله ﷺ لا يَكره أن أنتصِر، قالت: فلما وقَعتُ لم أنْشَبْها حتى أنحيت عليها -وفي رواية: لم

أنشبْها أن أثخنتُها غَلَبَة- فقال رسولُ الله ﷺ وتَبَسَّمَ: «**إنها ابنة أبي بكر!!**»[١].

نعم، كان رسول الله ﷺ زوجاً يحب زوجته، ويخبرها بذلك، والنساء بطبعهن يحببن الكلام الجميل من أزواجهن، فإذا أراد الزوج أن يخطب ودَّ زوجته فليعمل عمل رسول الله ﷺ.

ثانياً- كان رسول الله ﷺ يلاطف زوجاته

سُئلت السيدة عائشة ﵂: كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في البيت؟ فقالت: (**كان رسول الله ﷺ ألينَ الناس، بسَّاماً ضحَّاكاً**)[٢]، ضحَّاكاً: صيغة مبالغة على وزن (فعّال)، يعني: كثير الضحك، وكثير الابتسام في البيت.

ويكون بعض الرجال في الطريق ضحَّاكاً بسَّاماً، أما في البيت فعبوساً قمطريراً، ويظن أنَّ الرجولة تقتضي ذلك، وهذا مخالف لسنَّة سيدنا محمد ﷺ.

روى الحاكم عن موسى بن طلحة بن عبيد في قصة زواج أم أبان بنت عتبة بن ربيعة ﵂ أنه خطبَها طلحة ﵁ فقالت: «زوجي حقاً، قالوا: وكيف ذاك؟ قالت: إني عارفة بخلائقه، إنْ دَخَل دَخَلَ ضحَّاكاً، وإن خرَجَ خَرَجَ بسَّاماً، إنْ سألتُ أعطى، وإنْ سكتُّ ابتدأ، وإنْ عمِلتُ شَكَر، وإنْ أذنبتُ غَفَر»[٣].

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه ابن عساكر في: تاريخ دمشق، وإسحاق بن راهويه في: مسنده.

(٣) أخرجه الحاكم في: المستدرك.

فترى في هذه الرواية كيف تحب المرأة في زوجها أن يكون ضاحكاً باسماً في البيت.

***قصة سباق النبي ﷺ مع السيدة عائشة ؓ**

عن عائشة ؓ أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر، وهي جارية، فقال ﷺ لأصحابه: «**تقدَّموا**»، ثم قال: «**تعالي أسابقك**»، فسابَقْتُه فسَبَقْتُه على رجلي.

فلما كان بعدُ خرجتُ معه في سفر، فقال لأصحابه: «**تقدَّموا**»، ثم قال: «**تعالي أسابقك**» ونسيتُ الذي كان، وقد حَمَلتُ اللحم، فقلتُ: كيف أسابقك يا رسول الله وأنا على هذه الحال؟! فقال: «**لتَفْعَلِنّ**»، فسابَقْتُه فسَبَقَني، فقال: «**هذه بتلك السَّبقة**»[(١)].

فها هو ذا النبي ﷺ يمازح زوجته ويلاعبها ويباسطها، والحياة بسيطةٌ جداً، ويستطيع الرجل أن يبني سعادة كبيرة في بيته بكلمة لطيفة، أو بموقف محبَّب، أو بمباسطة معيَّنة يريح بها أهل بيته.

ثم من الأهمية بمكان أن يفرِّق الرجال بين أعمالهم وألقابهم خارج البيت، وأعمالهم وألقابهم داخله، فمن الممكن أن يكون الرجل خارج البيت طبيباً، ولكنه داخل البيت زوجٌ، ومن الممكن أن يكون خارج البيت مديراً عاماً، أو ضابطاً، ولكنه داخل البيت زوجٌ، فإذا حَمَل عمَلَه ولَقَبَه المهنيّ إلى داخل البيت فقد أفسَدَ داخل البيت؛ إذ الزوجة تحتاج إلى ممازحة ومباسطة وملاطفة.

---

(١) أخرجه أبو داوود، وأحمد، والنسائي في: الكبرى.

وها هي ذي السيدة عائشة رضي الله عنها تقول: (**كان رسول الله ﷺ من أَفْكَه الناس مع نسائه**)[١]، أي: ممازحٌ مباسِط لنسائه، فمهما اقتديتَ برسول الله ﷺ سَعِدتَ وأَسعَدتَ.

ثالثاً- كان رسول الله ﷺ زوجاً يعين زوجاته

فهو ﷺ يساعد زوجته إذا تزاحمت عليها المهمَّات، ويضع يده في يدها في المسرات والملمَّات، وغير صحيح أن مساعدة الرجل زوجته تنقص من رجولته، فقد ساعد سيدنا محمد ﷺ -وهو أفضل الرجال- زوجتَه حيناً في عمل البيت. تقول السيدة عائشة رضي الله عنها واصفةً النبيﷺ: (**كان رسول الله ﷺ بشَراً من البشَر، يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه**)[٢]. وفي رواية: (**كان رسول الله ﷺ يخصف نعلَه، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته**)[٣]. وفي رواية: (**كان يكون في مهنة أهله، فإذا حَضَرَت الصلاة خَرَجَ إلى الصلاة**)[٤].

فمعونة الزوج لزوجته في عمل البيت -كلَّما أمكَنَه ذلك- تزيد الود بينهما.

---

(١) أخرجه بنحوه ابن عساكر في: تاريخ دمشق، والطبراني في: الأوسط، والبيهقي في: الدلائل.

(٢) أخرجه البخاري في: الأدب المفرد، وأحمد.

(٣) أخرجه أحمد، والبيهقي في: الدلائل، وابن حبان في: صحيحه.

(٤) أخرجه البخاري والترمذي.

رابعاً- كان رسول الله ﷺ زوجاً وفيّاً مع زوجاته

من المعلوم أن السيدة خديجة رضي الله عنها وقَفَت إلى جانب النبي ﷺ في سنوات الدعوة الأولى، ووَاسَتْه بمالها، وصدّقته حين كذّبه الناس، ونصَرَته إذ خَذَلَه الناس... فلمَّا ماتت السيدة خديجة رضي الله عنها حَزِن رسول الله ﷺ حُزناً شديداً لفراقها، وسُمّي العام الذي ماتت فيه في كتب السير: (عام الحزن)؛ لشدة حزنه ﷺ عليها، وكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يُكثِر ذِكرَها بالخير، حتى غارت السيدة عائشة رضي الله عنها منها، مع أن السيدة عائشة لم تجتمع عند رسول الله ﷺ بها، لأنه ﷺ لم يتزوَّج في حياة السيدة خديجة غيرها، ومع هذا غارت رضي الله عنها منها.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: (ما غِرْتُ على أحد من نساء النبيِّ ﷺ ما غِرْتُ على خديجة قطّ، وما رأيتُها قط، ولكن كان النبي ﷺ يُكثر ذِكرها، وتزوَّجني بعدها بثلاث سنين، وأَمَرَه ربُّه عز وجل أن يبشِّرَها ببيت في الجنة من قصب، وربما ذَبَحَ الشاة، ثم يُقَطِّعها أعضاء، ثم يَبْعَثُها في صدائق خديجة، وربما قلتُ له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة، ما تذكُر من عجوز من عجائز قريش حَمْراء الشِّدْقَيْنِ، هلكت في الدهر، قد أبدَلَك الله خيراً منها؟! فيقول: «**إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد**»)[1].

وفي رواية للإمام أحمد: (قالت عائشة: فغِرتُ يوماً، فقلتُ:

---

(١) متفق عليه.

ما أكثر ما تذكرها، حمراء الشدق، قد أبدَلَكَ الله عز وجل بها خيراً منها، قال: **«ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها، قد آمنت بي إذ كَفَرَ بي الناس، وصدَّقتني إذ كذَّبني الناس، وواستني بمالها إذ حَرَمَني الناس، ورَزَقَني الله عزَّ وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء»**).

فالوفاء من خُلُق النبلاء، ووفاء الزوج لزوجته في حضرتها وغيبتها، وفي حياتها وبعد مماتها فيه اقتداء برسول الله ﷺ.

خامساً- كان رسول الله ﷺ زوجاً يحترِم زوجاته

فما أكرَمَ النساءَ إلا كريم، وما أهانهنَّ إلا لئيم، فإهانة الزوجة لؤمٌ في الزوج، وإكرامها كرمٌ فيه، والنبي ﷺ كان يحترم زوجاته ويكرمهنَّ.

يَرِدُ على ألسنة العامة قول: (شاوروهن وخالفوهن)، وهذا ليس بحديث، وهو كلام مكذوب على النبي ﷺ، بل إن النبي ﷺ شاور زوجاته الكريمات، وقد حُلَّت مشكلةٌ كبيرة نزَلَت بالمسلمين بمشورة النبي ﷺ لزوجه أمّ سَلَمَة ﵂.

جاء في كتاب (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من أحاديث على ألسنة الناس)[1] قال في (المقاصد): (شاوروهن وخالفوهن): لم أرَه مرفوعاً...، كيف وقد استشار النبي ﷺ أمَّ سَلَمَة ﵂ في صلح الحديبية؟ فصار دليلاً لاستشارة المرأة الفاضلة، ولفضل أم سَلَمَة ووفور عقلها).

في صلح الحديبية كان النبي ﷺ ذاهباً إلى العمرة مع أصحابه،

(١) ٢/ ٣.

فمنعه المشركون، وأجروا معه صلحاً، وكان من بنود هذا الصلح أن يرجع النبي ﷺ عن مكة هذا العام ولا يحجّ ولا يعتمر، وكان الصحابة قد هيؤوا أنفسهم للعمرة ولدخول مكة، ولما صالَح النبي ﷺ المشركين بالحديبية أمَرَهم بالرجوع، فقالوا: يا رسول الله، ألم تقل لنا إنك رأيت في المنام أننا ندخل الحرم محلِّقين رؤوسنا ومقصرين، فكيف تقول لنا ارجعوا؟! وسأل سيدُنا عمر رضي الله عنه رسول الله ﷺ ذلك، فقال له رسول الله: «**نعم يا عمر، إني رأيت ذلك، ولكن لم أقل لكم إننا سندخل هذا العام**».

وأمر النبي ﷺ أصحابه بفكِّ الإحرام، فقال لهم -كما جاء في (صحيح البخاري)-: («**قوموا فانحروا ثم احلقوا**». قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سَلَمَة - رضي الله عنها- فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سَلَمَة: يا نبي الله، أتحب ذلك؟ اخرج لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَك وتدعو حالقك فيَحْلِقك. فخرج فلم يكلِّم أحداً منهم حتى فعل ذلك: نَحَرَ بُدْنَه، ودعا حالقه فحَلَقَه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلِق بعضاً، حتى كاد بعضُهم يُقتَل غماً)[1].

وهكذا نجا المسلمون من عصيانهم لأمر رسول الله ﷺ بفضل رأي السيدة أم سَلَمَة ومشورتها، رضوان الله تعالى عنهم أجمعين.

فاستشارةُ الزوج زوجته احترامُ لرأيها وعقلِها، وتبقى الزوجة

---

(١) ينظر الحديث مطولاً عند البخاري برقم (٢٥٨١).

تحبُّ الزوج الذي يحترِمها.

سادساً- كان رسول الله ﷺ زوجاً يتجمّل لزوجاته

وهذا أمرٌ مطلوب في الشريعة، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: (**كانت كفُّ رسول الله ﷺ أليَنَ من الحرير، يصافِحُ المصافِحَ فيظلُّ يومَه يجدُ ريحها**)[1]. وكان ﷺ يبدأ بالسواك أول ما يدخل البيت[2]، ويستعمله مراراً حتى لا يجد أهلُه منه إلا الرائحة الزكية. ويقول سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (إني لأتزين لامرأتي كما أُحبُّ أن تتزين لي)[3].

عن عطاء بن مصعب قال: (جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقالت: يا أمير المؤمنين، لا أنا ولا زوجي!! فقال لها: وما لكِ من زوجك؟ قالت: مُر بإحضاره، فأُحضِر، فإذا رجلٌ قذِرُ الثياب قد طالَ شعرُ جَسَده وأنفه ورأسه، فأمَر عمر أن يؤخَذ من شعره، ويُدخَل الحمام، ويُكسى ثوبين أبيضين، ثم يؤتَى به، ففُعل ذلك، ودعا المرأةَ، فلما رأت الزوج قالت: الآن، فقال لها عمر رضي الله عنه: اتقي الله، وأطيعي زوجكِ، قالت: أَفعلُ يا أمير المؤمنين، فلما ولَّت قال عمر رضي الله عنه: تَصَنّعُوا للنساء فإنهنّ يحبِبْنَ منكم ما تحبون منهنّ)[4].

---

(١) أخرجه البيهقي في: دلائل النبوة.

(٢) أخرجه مسلم وأبو داوود والنسائي.

(٣) ذكره النسائي في: عشرة النساء، ١/ ٢٨.

(٤) ذكره النسائي في: عشرة النساء، ٢/ ١٣، واللفظ من كتاب (المحاسن والمساوئ).

فكلُّ زوجٍ يتجمَّل لأهل بيته ينادي بهم لاستمرار المودة والألفة، ومن تقبّح معهم فوجد بُغضة ونفوراً فلا يلومنَّ إلا نفسَه.

سابعاً- كان رسول الله ﷺ زوجاً يعلّم زوجاته

يعلِّم زوجاته العلم ومحاسن الأخلاق، فعن عائشة ﵂ قالت: (دخل رهطٌ من اليهود على رسول الله ﷺ، فقالوا: السَّام عليك، قالت عائشة: ففهِمتُها، فقلتُ: عليكم السَّام واللعنة، قالت: فقال رسول الله ﷺ: **«مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرِّفق في الأمر كلِّه»**، فقلتُ: يا رسول الله، ألم تسمَع ما قالوا؟! قال رسول الله ﷺ: **«قد قلتُ: وعليكم»**[(١)].

وعن عبد الله بن عمر ﵄ أن النبي ﷺ قال: **«ألا كلُّكم راع، وكلُّكم مسؤول عن رعيته...، والرجل راعٍ على أهل بيته، وهو مسؤول عن رعيته...»**[(٢)].

ومِن جملة مسؤوليات الرجل عن زوجته مسؤوليته عن تعليمها، فإما أن يعلِّمها هو، أو أن يأذَنَ لها في أن تلحَقَ مجالس العلم ومعاهدَه.

وكثيراً ما تتأخر المرأة عن التطوير العلمي لنفسها بسبب انشغالها بواجب المنزل، فإن لم يُعلِّمها الزوج ما يتعلَّمه فستتسع الفجوة العلمية بينهما، الأمر الذي يضعف الصلة بينهما.

---

(١) متفق عليه.

(٢) البخاري.

فالنبي ﷺ زوجٌ يعلِّم زوجته، فها هو ذا ﷺ يدخل على عائشة يوماً فيرى كسرةً ملقاةً، فيمشي إليها، يأخذها ويمسحها ثم يأكلها، ثم يقول: «**يا عائشة، أحسني جوار نعم الله، فإنها قلَّ ما تزول عن أهل بيتٍ فكادت أن تعود إليهم**»(١).

ويخاطب زوجه أم حبيبة رضي الله عنها عندما تسأله: يا رسول الله، المرأة منا يكون لها زوجان، ثم تموت، فتدخل الجنة هي وزوجاها، لأيهما تكون؟ للأول أو للآخر؟ فيقول ﷺ: «**تُخَيَّرُ أحسنهما خلقاً كان معها في الدنيا يكون زوجها في الجنة، يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة**»(٢).

وينادي بزوجاته جميعهنّ، يقول: «**مَن يُوقِظُ صواحبَ الحُجُرات -يريد: أزواجَه- فيُصلِّين؟ رُبَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**»(٣).

فتعليم الزَّوج زوجتَه سُنَّة من سُنن رسول الله ﷺ.

ثامناً- كان رسول الله ﷺ يحلُمُ عن زوجاته

لأن الحياة عامة، والحياة الزوجية خاصة، تحتاج إلى تأنٍّ ورويَّة، وإلى ممحاة تُمحَى بها أخطاء الآخرين؛ ولأنَّ الزوجات لسْنَ كاملات، ومثلهنّ أزواجهنّ، فلا يَطلُبَنْ أحدٌ من زوجته أن

---

(١) الطبراني في: الأوسط.

(٢) أخرجه الطبراني في: الكبير، والبزَّار في: المسند.

(٣) أخرجه البخاري والترمذي.

تكون كالسيدة فاطمة رضوان الله عليها؛ لأنه ليس كسيِّدنا عليّ كرَّم الله وجهه.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: (كان رسولُ الله ﷺ عند بعض نسائه، فأرسَلَتْ إليه إحدى أُمهات المؤمنين بِصَحْفَة فيها طعام، فَضَرَبتِ التي هو في بيتها يَدَ الخادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحفَةُ، فانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ رسولُ الله ﷺ فِلَق الصَّحفَةِ، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول: «غَارتْ أُمُّكم، غارتْ أُمُّكم»، ثم حَبَس الخادم، حتى أُتيَ بِصَحفَة من عند التي هو في بيتها، فدفعها إلى التي كُسِرَتْ صَحْفَتُها، وأمسك المكسورة في بَيْتِ التي كَسَرَتْها)[1].

فهذا النبي ﷺ يحلم عن زوجته حين حمَلَتْها الغيرة على كسر آنية ضرتها، ويغير الحال بلفتةٍ لطيفة منه ﷺ.

وقديماً قيل: (الحلم سيِّد الأخلاق).

تاسعاً- ما ضرب رسول الله ﷺ امرأة قط

عن عائشة ﵂ قالت: (ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله...)[2].

قال رسول الله ﷺ: «لا تَضْرِبوا إماءَ الله»، فجاء عمرُ ﷺ إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: ذَئِرنَ النساءُ على أزواجهن [أي: تجرَّأن]،

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) أخرجه مسلم.

فرَخَّصَ في ضربهن، فأطاف بآلِ رسول الله ﷺ نساءٌ كثير يَشْكُون أَزواجهنّ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**لقد طاف بآل محمد نساءٌ كثير يشكون أزواجهنَّ، ليس أولئك بخيارِكم**»[(١)].

كتب ريتشارد جونز في مجلة (القبالة وأمراض النساء) في أميريكا عام (١٩٩٢م): (هناك وباء يجتاح بلادنا، إنه لشنيع، إنه غير قابل للتجاوز عنه أو التَّساهل في أمره، إنه في كلِّ اثنتي عشرة ثانية في الولايات الأمريكية تَخضَع امرأة لهذا الوباء، في كلِّ اثنتي عشرة ثانية تُضرَب امرأة إلى درجة التحطيم أو القتل من قِبَل زوجٍ أو صديق، وفي كلِّ يوم نرى نتائج هذا الضرب وآثاره في مكاتبنا، في غرف الطوارئ لدينا، وفي عياداتنا...).

فَضَربُ النساء ليس من عادة رسول الله ﷺ ولا من سنَّته المطهَّرة. ولئن جاء في القرآن الكريم: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء: ٤/ ٣٤]، فإنما الإذن بالضرب فيها لحالة استثنائية لا طبيعية.

ثم إنَّ الفقهاء متَّفقون على أن الإذن بالضرب إنما هو للإباحة لا للوجوب ولا للسنيَّة، وصرَّح الشافعية بأن ترك الضرب بالكلية أفضل، وقال الحنابلة: الأولى تَركُ ضَربِها إبقاءً للمودَّة.

وغنيٌّ عن الذكر أنهم مجمِعُون على أن الضرب المأذون به له شروط وضوابط تجعَله للتأديب لا للتَّشفِّي والأذى.

---

(١) أخرجه أبو داوود.

ثم من أراد الاقتداء برسول الله ﷺ الزوج فما ضرب ﷺ بيده امرأة قط.

عاشراً- كان رسول الله ﷺ يعدِلُ بين زوجاته

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسولُ الله ﷺ يَقْسِم بين نسائه فيعدِل، ويقول: **«اللهم هذا قَسْمي فيما أملك، فلا تَلُمني فيما تَملك ولا أَملك»**)[١]. ويُنذِر من ظَلَم امرأة لحساب أخرى بقوله ﷺ: **«مَن كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وأَحَدُ شِقَّيه مائل»**[٢].

وبعد، فهذه عشر صفات وجدتُ رسول الله ﷺ -الزوجَ- يتصف بها:

أولاً- كان رسول الله ﷺ يحبُّ زوجاته ويخبرهن بذلك.

ثانياً- كان رسول الله ﷺ يلاطف زوجاته.

ثالثاً- كان رسول الله ﷺ زوجاً يُعِينُ زوجاته.

رابعاً- كان رسول الله ﷺ زوجاً وفيّاً مع زوجاته.

خامساً- كان رسول الله ﷺ زوجاً يحترِم زوجاته.

سادساً- كان رسول الله ﷺ زوجاً يتجمَّل لزوجاته.

سابعاً- كان رسول الله ﷺ زوجاً يعلِّم زوجاته.

---

(١) أبو داوود والترمذي والنسائي.

(٢) أخرجه أبو داوود والترمذي.

ثامناً- كان رسول الله ﷺ يحلُمُ عن زوجاته.

تاسعاً- ما ضرب رسول الله ﷺ امرأةً قط.

عاشراً- كان رسول الله ﷺ يعدلُ بين زوجاته.

ومن لم يحفظ من الأزواج هذه العشر فليحفظ قول رسول الله ﷺ: **«خيرُكم خيرُكم لأهله، وأنا خيرُكم لأهلي»**[1].

والله أعلم.

---

(١) أخرجه الترمذي.

المحاضرة الثالثة عشرة

واجبات الزوجة نحو زوجها

وقد أردتُ من خلال الحديث عن الرسول الزوج ﷺ في المحاضرة السابقة أن أتحدَّث عن واجبات الزوج نحو زوجته؛ لأننا مأمورون بالاقتداء بسيدنا محمد ﷺ، فما رَضيَ رضيناه، وما تَرَكَ تَرَكناه، وما فَعَل فَعَلناه، وما أحبَّ أحببناه، وما كَرِهَ كَرِهناه.

أما في هذه المحاضرة فالحديث عن الزوجة كما يريدها رسول الله ﷺ.

تَظهرُ في شهر المولد احتفالاتٌ كثيرة تنمُّ وتدلُّ على محبة المسلمين لرسول الله ﷺ، وهذا أمرٌ حَسَن، ولعلَّه ما من مسجد، ولا بيت، ولا سوق، ولا شركة إلا وتقيم الاحتفالات بمناسبة المولد النبوي الشريف؛ سروراً بولادة سيدنا محمد ﷺ، ودعوة إلى الإكثار من الصلاة والسلام عليه.

هذا أمرٌ حَسَن، لكنني أريد أن أؤكِّد على اتِّباعه ﷺ، وتطبيق أمره، وتَرْك ما نهى عنه، حتى نتحوَّل من الأقوال إلى الأفعال والأعمال.

المرأة التي تحبُّ رسول الله ﷺ عليها أن تلتزم بواجبات الزوجة نحو زوجها إذا كانت حقاً ممن يحبون رسول الله ﷺ؛ ذلك لأن الأفعال أرجح في الموازين من الأقوال إذا ما وزنَّاها.

وهذه المحاضرة مهمة جداً لكلِّ اللواتي يتَّبعن رسول الله ﷺ ويرجون أن يشفع لهنّ.

وفي المقدمة أعرض حديثاً للسيدة عائشة رضي الله عنها قالت: (قلت: يا رسول الله، أيُّ الناس أعظَم حقاً على المرأة؟ فقال: **«زوجُها»**) -الزوج أعظم الناس حقاً، أعظم حقاً من الأب، ومن الأم، ومن الأخ، ومن الأخت، ومن الابن، ومن البنت- (قلتُ: فأيُّ الناس أعظَم حقاً على الرجل؟ قال: **«أمُّه»**)[1].

فلتَعلَم كلُّ امرأة أن أعظَمَ حقوق الناس عليها هو حقُّ زوجها، فمهما رَعَت حقَّ هذا الزوج ازدادت قرباً من الله تعالى.

أما صفات الزوجة التي يريد رسول الله ﷺ أن تتحلَّى بها نساء المسلمين فإنها -فيما رأيتُها- أربع صفات:

أولاً- الطاعة في المعروف

هذه أحسن صفة تتصف بها امرأة مع زوجها، وهي صفة تقرِّبها من الله تعالى، وخير صفة يبحث عنها الزوج في زوجته، وهي عزُّ المرأة في الدنيا وفي الآخرة، وأول حقٍّ للزوج على زوجته.

---

(١) أخرجه النسائي في: الكبرى، والحاكم.

تقوم الحياة كلُّها على وجود رئيس ومرؤوس، وقائد ومَقُوْد، وآمر ومأمور، ففي كلِّ شركة مديرٌ يأمر، وعمَّال يأتمرون، وواحدٌ من أسباب نجاح الشركة طاعة العمال لمديرهم، فإذا تمرَّد العمَّال، ودخلوا الشركة على غير استعداد للطاعة فسوف تتعثَّر خطوات الشركة أو يُطرَد العمَّال منها.

وفي كلِّ مدرسة يطيع الطالب مدرّسيه ومديرَه، فمِن اللحظة الأولى لدخوله المدرسة -بل قبل دخوله- يهيِّئه والداه لطاعة المدرِّس الذي يأمره وينهاه، وإن سعادة هذا الطالب في طاعة المدرِّس، أما إذا أبى طاعته فقال: هو إنسان وأنا إنسان، هو ذو عقل وأنا ذو عقل، أنا وهو متساويان، وإذا أطعتُه اليوم فعليه أن يطيعني غداً..!! فإنَّ هذا الطالب سيُطرَد من المدرسة، ولو فَرَضنا قيام المدرسة على هذا الأسلوب من التربية والتعامل بين الطلاب والمدرسين فإنها ستخفِق حُكماً.

وهكذا الحياة كلُّها، تقوم على قائد ومَقُود، ورئيس ومرؤوس، ومن جملة شؤون الحياة شؤون الأسرة، وقد أناط الله عز وجل قيادة الأسرة بالزوج، وأمَر الزوجة أن تطيعه للحفاظ على سلامة مركبهما. عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا صلَّت المرأة خَمْسَها، وصامَت شهرَها، وحَفِظَت فَرْجها، وأطاعَت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أيِّ أبواب الجنَّة شئتِ**»[١].

جعلَ الله تعالى دخول المرأة الجنة منوطاً بطاعتها لزوجها مع

---

(١) أخرجه أحمد والطبراني والبزار.

صلاتها وصيامها وعِفَّتها، هكذا أَمَر الله وأَحَبّ، فإن كانت مؤمنةً صالحة تحبُّ الله وتحبُّ سيدنا محمداً ﷺ فهذا هو الطريق الذي أراده الله ورسوله لها.

ويقع على عاتق الآباء والمربين تعليم الفتيات طاعة أزواجهنّ، فعلى الأب أن يدرِّب ابنته على طاعة زوجها كما يدرِّب ابنه على طاعة معلِّمه في العمل. فحين يتأخَّر الابن مثلاً في العودة إلى البيت مساءً، ويسألُه والده عن سبب تأخُّره، يجيب: أَمَرَني صاحب العمل أن أعمل ساعة إضافية، فيقول له الأب: إذا كان صاحب العمل أراد ذلك فلا بأس. فالأب بهذه الإجابة وهذا الموقف يدرِّبه على طاعة صاحب العمل. فلماذا لا يدرِّب الأب ابنته -بالطريقة نفسها- على طاعة زوجها، فيذكر لها قصص الزوجات الطائعات، وينقل إليها بشكل مباشر أو غير مباشر أنه يحترم من النساء مَن كانت طائعة لزوجها، فمهما زادت طاعتها زاد احترامه لها، وأنه ينفر من المتمرِّدة منهنّ.

يحدُث في بعض الأسَر أنه إذا تزوَّجت البنت وأراد أهلُها أن يذهبوا في رحلة مثلاً، وأحبّ الأب أو الأم أن تكون هذه البنت معهم، اتَّصلوا بابنتهم ليقولوا لها: نحن ذاهبون إلى رحلة في يوم كذا، تعالي إلينا الساعة كذا لنذهب معاً. فهذا الخطأ منهم؛ في إهمالهم إذن زوجها وفي عدم حثِّها على استئذانه، سيؤدي إلى الإساءة إلى حياتها الزوجية، إنهم بذلك يدرِّبونها على عدم الطاعة والاحترام.

أما الأب العاقل فالمأمول منه أن يقول لها: يا بنتي، نحن ذاهبون يوم كذا، الساعة كذا في رحلة، اسألي زوجك، إن رَضِيَ فنحن مسرورون بمجيئك معنا، وإن لم يرضَ فسروري كلُّه في طاعة زوجك وبقائك في بيتك. أو يتَّصل بصهره بحضور البنت وأمِّها، وربما كان يَكبُر صهرَه بضِعف عمره أو أكثر، يسلِّم عليه ويستأذنه أن يأخذ ابنته معه، وهو بذلك لا يَصغُر أبداً، إنما يأخذ بيد ابنته لدخول الجنة من باب رضا زوجها.

والأمُّ التي تغافل صهرها وتتصل بابنتها لتذهب معها إلى السوق؟ وحين تقول البنت: زوجي لا يأذن لي، تقول الأم: لا تخبريه، نذهب ونعود قبل أن يأتي!! هذه الأمُّ تدرِّب ابنتها على إهمال طاعة زوجها، ومن ثم على هدمِ حياتها الأسرية إن استمرت الفتاة على هذا الإهمال، والأم العاقلةَ هي التي تستأذن زوجِ ابنتها وتدرب ابنتها على الطاعة؛ لأنَّ الطاعة حياة، والحياة كلُّها تقوم على أن يتطاوع الناس فيما بينهم.

أقول: ربما أتاني إلى العيادة رجل له شأن اجتماعي كبير، فأقول له: اقعد! فيقعد. قم! فيقوم. تمضمض! فيتمضمض. ولا يشعُر بالصَّغار إذا أطاعني. بالمقابل فعندما أريد أن أعمل عملاً هندسياً في بيتي يقول لي المهندس: أفرغ البيت خلال يومين، فأُفرِغُه، ويقول لي: ادفع كذا، فأدفَع.

ربما يقول لك عامل التمديدات الصحية في بيتك: أغلق صنبور الماء الرئيسي، فتغلِقه.. فمهما كنتَ صاحب مكانة وشأن لا يقدح

في مكانتك، ولا يقلِّل من شأنك أن تطيع صاحب الإدارة في اختصاصه. الحياة كلُّها تقوم على أن يُسخِّر بعضنا بعضاً، تطيع مديريك ويطيعك عمَّالك، فما المانع أن تطيعَ الزوجةُ زوجَها؟!

لا بدَّ أن تتدرَّب الفتاة -إذا كانت من الموفَّقات الصَّالحات- على طاعة زوجها، وهذا شرفٌ لها وفخرٌ، وليس شرفاً لها ولا فخراً عصيانُ أمرِ الزوج والتمرُّد عليه، بل هو من السوء بمكان. جاء في حديث حصين بن محصن ﷺ أنَّ عمة له أتت النبيَّ ﷺ في حاجة، ففَرَغَت من حاجتها، فقال لها النبي ﷺ: «**أذاتُ زوجٍ أنتِ؟**» قالت: نعم، قال: «**فأين أنتِ منه؟**» -قال: يعني: فكيف أنت له؟- قالت: ما آلوه[1] إلا ما عجزتُ عنه، قال: «**انظري أين أنتِ منه، فإنه جنَّتُكِ ونارك**»[2].

وعن أسماء بنت يزيد الأنصارية ﷺ أنها أتت النبي ﷺ وهو بين أصحابه، فقالت: بأبي أنت وأمي، أنا وافدة النساء إليك، واعلم -نفسي لك الفداء- أنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سَمِعَتْ بمَخرجي هذا أو لم تسمَع إلا وهي على مثل رأيي. إن الله بعَثَك إلى الرجال والنساء كافة، فآمنا بك وبإلهك، وإنَّا -معشر النساء- محصوراتٌ مقصوراتٌ، قواعدُ بيوتكم، ومفضى شهواتكم، وحاملاتُ أولادكم، وإنكم -معاشر الرجال- فُضِّلتُم علينا بالجُمَع والجماعات، وعيادة المريض، وشهود الجنائز، والحجّ بعد

---

(١) يعني: لا أقصر في خدمته.

(٢) أخرجه أحمد والطبراني والحاكم.

الحجّ، وأفضلُ من ذلك الجهادُ في سبيل الله عز وجل، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجّاً أو معتمراً أو مرابطاً حفِظنَا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربَّينا لكم أولادكم، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟ فالتَفَتَ النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كلِّه، ثم قال: **«هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسَن في مسألتها عن أمرِ دينها من هذه؟»** فقالوا: يا رسول الله، ما ظننَّا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا، فالتَفَتَ النبي ﷺ إليها، فقال: **«انصرفي -أيتها المرأة- وأَعْلِمِي مَن خَلْفَك من النساء أنَّ حُسْنَ تبعُّل إحداكنَّ لزوجها، وطلبها مرضاتَه، واتِّباعها موافَقَتَه تعدل ذلك كلّه»**، قال: فأدبرت المرأة وهي تهلِّل وتكبِّر استبشاراً.

وفي رواية: **«أبْلِغي من لقيتِ من النِّساء أن طاعة الزوج واعترافاً بحقِّه يعدل ذلك، وقليل منكنَّ من يفعَله»**[1].

فالواجب الأول على الزوجة نحو زوجها أن تطيعه، وهذه الطاعة تكون بالتدريب، فليدرِّب كل أبٍ بناته على طاعة أزواجهنّ، تَسعَد البنت بذلك، ويَسعَد زوجها، ويَسعَد أبناؤها، وتستمرُّ أسرتها.

أما إذا درَّب الأب ابنته على النشوز، فقال لها: أنتِ مِثل زوجكِ، هو يأمر اليوم وأنت تأمرين غداً!! لا تستجيبي له حتى يستجيب لك..!! فهذا الأب يُفسِد ابنته، ويُفسِد ما بينها وبين زوجها وأولادها، الأمر الذي يؤدي إلى سخط الله تعالى عليها.

---

(١) البزار في: المسند، والبيهقي في: الشعب.

لعلَّ موظفة يُزعِجها مديرها في العمل بأوامره، ومع ذلك تطيع أوامره؛ لأنها تبتغي الأجر في آخر الشهر، لكنك تعجب لها حين لا تطيع في بيتها أمر زوجها!! تُرى أيهما أفضل: الأجر الشهري أم الزوج الصَّالح الذي يخاف الله تعالى؟ عجباً لامرأة تجدها تطيع ذاك الغريب لأجلِ مبلغٍ زهيد، ثم تتمرد على أوامر زوجها؟!

تقول الفتاة: ما الذي رفَعَه ووضعني؟ أنا وهو سيَّان (مِثلي مِثله)!! أقول: الذي يرفعه ويرفعك، ويَضَعه ويَضَعك التزام أوامر الله تعالى أو عدم الالتزام، وأنت وهو متساويان أمام الله تعالى في الثواب والعقاب، أما في علاقتكما الأسرية فأنتما مختلفان، وله عليك القوامة. يقول الله عز وجل: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النساء: ٤/ ٣٤].

وقال سبحانه: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٌۗ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٢٨].

فإذا كنتِ أَمَةً لله صالحة فأطيعي أمر الله، أمَّا إن أردتِ أن تطيعي ما يأتي من الشرق والغرب الذي ضاعَت عنده الأُسَر، وأردتِ أن تُصغِي إلى ما يَشيع من الكلام الذي يهدم الأُسَر، وإلى الأفكار التي تسمِّم العائلات، فاقنعي بما شئتِ، لكن تأكَّدي أنَّ البيت سينهار.

وإذا أطاعت الزوجة زوجها مَلَكَت قلبَه وعقله وجوارحه، فسَعِدَت وأسعَدَت، أما إذا أرادت أن تنافسه في إدارة البيت فقد فسَدَت وأفسَدَت.

ثانياً- الأمانة

ونعني بالأمانة: أن تحفَظَ الزوجة أسرارَ زوجها، وأولادَه، ومالَه، وبيته، وشرفه.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعِيَّته: الإمامُ راعٍ، ومسؤولٌ عن رعيَّته، والرجل راعٍ في أهله، ومسؤولٌ عن رعيَّته، والمرأةُ راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رَعيَّتها، والخادمُ راع في مال سيِّدِهِ، ومسؤول عن رَعِيَّتِهِ**». قال: وحسبتُ أن قد قال: «**والرَّجُلُ راع في مال أبيه، ومسؤول عن رعيَّته، فكلُّكم راع، وكلُّكم مسؤول عن رعيَّته**»[1].

نعم، سيسأل الله تعالى يوم القيامة كلَّ امرأة هل أفشَت سرَّ زوجها؟ لأنها مؤتمنةٌ على أسراره. قال رسول الله ﷺ: «**إذا حَدَّث رجل رجلاً بحديث ثم التَفَتَ فهو أمانة**»[2]. وقال ﷺ: «**المجالس بالأمانة**»[3]. فما المبرِّر أن تُخبِر بنتٌ أمَّها بحال زوجها المادي؟! هذا سرٌّ!! وما المبرِّر أن تُخبِر زوجةٌ جارتها بما يفعل زوجُها داخل البيت؟! هذا سرٌّ!! ثم لا يجوز شرعاً أن تُفشي المرأة أسرار زوجها التي لا يَرغَب بإطْلاع الناس عليها، سواء أفشَت السرَّ لأبيها، أو لأمها، أو لأختها، أو لأخيها، أو لجارتها...

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه أبو داوود والترمذي.

(٣) أخرجه أبو داوود.

والأسوأ منه الحديث عن العلاقة الخاصَّة بين الزوجين، فهذا سرٌّ عظيم، سيَسأل الله عنه يوم القيامة، أحُفِظَ أم لم يُحفَظ. قال رسول الله ﷺ: «**عَسى رجلٌ يحدِّث بما يكون بينه وبين أهلِه، أو عسى امرأةٌ تحدِّث بما يكون بينها وبين زوجها، فلا تفعلوا، فإن مَثَل ذلك مَثَل الشيطان لَقِي شيطانة في ظهر الطريق فغشيها، والناس ينظرون**»[١].

وكذلك الزوجة مؤتمنةٌ على مال الزوج: قال العلماء: (يحرُم على المرأة أن تتصدَّق من مال زوجها إلا بإذنه). هذا حال الصَّدقة، فكيف بمن ترمي شيئاً من مال زوجها الذي يكدّ ويجهَد للحصول عليه في سلَّات القمامة؟!!

تَحفَظ بعض النساء عِرضَ زوجها دون ماله، تظنُّ أنه إذا اغتنى تزوَّج عليها! فتضطر إلى (قصِّ أجنحته حتى لا يطير)، تُبدِّد ماله ما استطاعت، وتُتلِف النافع والمفيد؛ لأنَّ الرجل (إذا صار طار)!! كما يقلن في الأمثال الشعبية. ليست صالحةً امرأةٌ هذا شأنها؛ إذ لا ترعى أمانة الله وأمانة زوجها وأسرتها، والحقَّ أقول: إنها تخطِّط لطلاقها بنفسها، وتحفر قبر زواجها بيدها؛ لأن زوجها لو اطَّلع على فعلتها لتَرَكها وذهب إلى غيرها.

عندما نتذكر اقتصاد جدَّاتنا وأمَّهاتنا تستوقفنا دقّته، كان الأب يأتي إلى البيت بكمِّية من الحليب، يَشرَب الأولاد منه، فإذا بَقيَت منه بقية خافت عليه الأمُّ التَّلفَ، فتطبخه رزاً بالحليب، فإن كان

(١) أخرجه أحمد والطبراني.

أولادها لا يشربون الحليب حوَّلت الحليب إلى لبن، فإن شَعرَت أنه ستفضل منه فضلة وتفسُد وَضَعَته في قطعة قماش لتصنع منه اللبن المصفَّى، فإذا أكلوا من اللبن المصفى وشَعَرَت بأنه سيزيد منه، وضَعَت فيه ماء وبرغلاً لتصنع منه (الكشكة)!! يعني: كانت أمهاتنا يعتنين بالنعمة إلى أدقّ التفاصيل، وتَحفَظ المرأة منهن أمانة مال زوجها غاية الحفظ، فلا ترمي بشيء من الغذاء ولا الكساء، طاعة لله، وأدباً مع نعمته، وحفظاً لمال الزوج.

كانت الجدة أو الأم توهِم الأولاد أنّ الله تعالى كَتَب على كلِّ حبة أرز سورة الإخلاص، فلا يجوز رَميُها أو احتقارها، فترى الأولاد يقدِّسون النعمة ويحترمونها.

أما اليوم فقد اختَلَفَت أحوال بعض نسائنا، فإذا جاء موسم المؤنة رأيت في الطريق أمام حاويات القمامة أكياساً من البازلَّاء والفول المثلَّجة مرميَّة في الشارع، تقول إحداهن: هذا قديم، سندَّخر جديداً!! وفي نهاية العام الدراسي ترى الكُتُب والدفاتر وملابس المدارس مرميَّة في الطرقات. ولستُ حانثاً إن حَلَفتُ بالله: إنَّ الله سيسأل هذه المرأة التي طرحتها.

عند مناسبات الأعياد وغيرها، وفي أثناء تنظيف البيوت ترى قطع الأثاث والفَرش في بعض الأحيان ملقاة على قارعة الطريق، حتى وجدنا أناساً يعملون بجمع ما يُرمى في القمامة، فيبيعونه أو ينتفعون به، بمعنى أنَّ الناس يرمون أشياء نافعة وتصلح للاستخدام.

اليوم، في العالم المتقدم يُعاد تصنيع القمامة: الأوراق التي

نرميها، وعلب الشراب المعدنية، وزجاجات الشراب، وقطع البلاستيك، تُكرَّر كلُّها ويعاد تصنيعها. القمامة يعاد تصنيعها، في حين ترمي المرأة مال زوجها!!

يُقال في المثل القديم: (الرجل جنّى والمرأة بنّى)، الذي يجني هو الرجل، والتي تبني هي المرأة، فإذا رأينا عمَل الزوج جيداً وبيتَه سيِّئاً أدركنا أنه -على الأغلب- ابتُليَ بامرأة لا ترعى مال زوجها؛ إذ لم تحسِن البناء داخل البيت، وبدَّدت نعمة الله تعالى.

أيتها الفتاة: تحتاج الحياة إلى جهد منكِ، فلا تصدِّقي ما تشاهدينه في الأفلام والمسلسلات حيث تعرَض الفتاة على أن شأنها الوقوف أمام المرآة والمكياج والأغاني والبرامج الغنائية الهابطة... خيرٌ لكِ من هذا أن تتعلَّمي شيئاً من التدبير المنزلي، وشيئاً من الخياطة، وشيئاً من صناعة الحلويات البيتية، وشيئاً من الإسعافات الأولية، وشيئاً من فنون المنزل... ترعَين بذلك نفسك وزوجك ومالَه.

ثالثاً- طَلَبُ رِضاه

تحصيل رضا الزوج ليس أمراً مستحيلاً، لأن من اختار زوجته من بين مئات النساء، ورضي أن يعيش معها باقي عمره، أمكن تحصيل رضاه. وأي غضاضة تلحق بامرأة إذا هي طلبت رضا زوجها بقولها وفعلها، وأدخلت السرور عليه؟!! فعن أمّ سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«أيما امرأة ماتت وزوجُها عنها راضٍ**

دخَلَت الجنة»[1]. وقد جاء في الأثر: «ما من مؤمن أدخل على مؤمن سروراً إلا خلق الله من ذلك السرور ملكاً يعبد الله ويمجده ويوحده فإذا صار المؤمن في لحده أتاه السرور الذي أدخله عليه فيقول له: أما تعرفني؟ فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا السرور الذي أدخلتني على فلان. أنا اليوم أؤنس وحشتك، وألقنك حجتك، وأثبتك بالقول الثابت، وأشهد بك مشهد القيامة، وأشفع لك من ربك، وأريك منزلك من الجنة»[2]. وقال النبي ﷺ: «**ألا أخبركم بنسائكم في الجنة؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**كل ودود ولود**» -تتودَّد إلى زوجها- «**إذا غضبت**» -والحياة بلا ريب فيها منغِّصات- «**أو أسيء إليها، أو غضب زوجها**» - ربما صرخ في وجهها أو تكلم كلمة لا تليق، ولعلها تكون هي السبب، أخطأت فغضب- «**قالت: هذه يدي في يدك، لا أكتحل بغَمْضٍ حتى ترضى**»[3]، أي: لا أنام حتى ترضى. تُرى ما موقف هذا الزوج إذا قالت له زوجته هذه الكلمة، حتى وإن كان في ذروة غضبه منها؟ أقول: لو طَلَبَت عينيه لأعطاها. هذه هي امرأةُ الجنة، أما المحرومات فشأنهن ما جاء في حديث النبي ﷺ: «**ثلاثة لا تجاوِز صلاتُهم آذانهم: العبد الآبق حتى يرجعَ، وامرأة باتتْ وزوجُها عليها ساخِط، وإمامُ قوم وهم له كارهون**»[4]. وحديثه

---

(١) أخرجه الترمذي والحاكم.

(٢) ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج.

(٣) أخرجه النسائي في: الكبرى، والطبراني.

(٤) أخرجه الترمذي.

ﷺ: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته**» تقول: إنها تريد أن تعاقِبه -أحياناً يُسمَع هذا من بعض النساء السيئات جداً- «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته، فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح**»(١). ملائكة الله كلُّهم يدعون: (اللهم العنها، لعنة الله عليها) طيلة الليل!!

فإذا أرادت امرأة أن تدخل الجنة في الدنيا وفي الآخرة فعليها طلب رضا ربها ثم رضا زوجها.

حُدِّثتُ عن رجل بلغ الثمانين من العمر، قال لما ماتت زوجته: «ما أزعجتني طيلة حياتي معها، ولا باتت في بيت أهلها ليلة عن خصومة أو شجار بيننا». هذه كلمة ثمينة جداً، وهذه امرأة تشرى بالذهب، وشهادة زوجها بها أفضل من كل شهادة جامعية تحصلها المرأة في حياتها، لأنها أنشأت أسرة صالحة، حمت بها نفسها وزوجها وأولادها، فساعدت على سلامة مجتمعها وكماله، وهل المجتمع المعافى إلا أسرٌ متماسكة؟

قال لي رجل مرة: إن زوجته وهي في النزع صارت تقول له: «أعززتني أعزك الله»، في النزع تتكلم مع زوجها هذا الكلام، تُرى ماذا كانت تقول له حال عافيتها، وماذا فعل هو حتى استحق هذا؟ هذا الزوج وزوجته لهما رتبة عالية في الدنيا والآخرة، وحُسنُ التعامل مع الزوجة أو الزوج له قيمة عالية في الدنيا والآخرة.

---

(١) متفق عليه.

رابعاً- طَلَبُ إذنِه

يحبُّ الرجل من زوجه التزامها بإذنه واحترامها لإدارته، ويحترمها إن احترمت أمره، وقد جاء الشرع الحنيف ليؤكد ضرورة استئذان المرأة زوجها. قال رسول الله ﷺ: **«لا تصوم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه»**(١). ومع كون الصيام طاعة لله تعالى، فقد نهى الشرع المرأة أن تصوم نفلاً من دون إذن زوجها. قال جمهور العلماء: يحرم صيام النافلة على المرأة من دون إذن زوجها، أما صيام الفرض فلا يحتاج إلى إذن؛ لأن الشارع أَمَرَ به، في حين أنه نَدَبَ إلى السُّنَّة، ولو صامت المرأة نافلة بغير إذن زوجها صحَّ الصيام مع الإثم. قال العلماء: في هذا الحديث دليلٌ على أن حق الزوج أهم من أداء النوافل؛ لأن طاعة الزوج واجبة، أما النوافل فهي سنَّة، والفرض مُقَدَّم على السُّنَّة.

وقال النبي ﷺ: **«لا يحلُّ لامرأةٍ تؤمِن بالله أن تأذَنَ في بيت زوجها وهو كارِه، ولا تخرج وهو كارِه»**(٢). فلا يصح أن تُدخِل المرأة أحداً بيتَ زوجها وهو كاره، كأن تقيم وليمة لأهلها في بيت زوجها، والزوج غير مستعدٌ لهذا الأمر. وليس لها أن تخرج من البيت إلا بإذن زوجها، وصفة نساء الجنة المكوث في البيت، وصفهنَّ الله تعالى بقوله: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمن: ٥٥/٧٢]. قال مجاهد -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: «مقصورات

---

(١) متفق عليه.

(٢) الطبراني والحاكم.

في الخيام: لا يخرجن من بيوتهن»، وقال الحسن رحمه الله: «محبوسات لسن بطوافات في الطرق والخيام»[١]. أما نساء الشوارع فخرَّاجات ولَّاجات، أكثر أوقاتهن في الشوارع والأسواق، لا تأتي إحداهن إلى بيتها إلا لموعد، وتمضي باقي وقتها خارج البيت، مع رفيقاتها، وعند أهلها ...

يقول رسول الله ﷺ: **«لا تؤذي امرأةٌ زوجَها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتَلَكِ الله، فإنما هو عندكِ دَخيلٌ، يوشك أن يفارقك إلينا»**[٢].

تدافع عنه زوجته من الحور العين في الجنة، وتدعو على امرأته التي تؤذيه في الدنيا، ولعلها لا تكون معه في الآخرة، أما المرأة التي ترعى زوجها في الدنيا فيجعلها الله أفضل أزواجه في الآخرة.

هذه هي الواجبات الأربعة على المرأة لزوجها فيما رأيتُها من أحاديث النبي ﷺ:

الطاعة في المعروف. الأمانة. طلب رضا الزوج. طلب إذنه.

نعم، يريد الإسلام لبيوتنا أن تَعمُر بالحياة الصحيحة، الأمر الذي حدا العالم غير المسلم أن يبحث عن المنهج الإسلامي في إنشاء الأسر.

في ألمانيا -اليوم- وزارة كاملة للعائلات، قامت لتكوين

---

(١) تفسير الطبري وابن حميد.

(٢) الترمذي وابن ماجه.

الأُسَر، وحماية الأُسَر، ورعاية الأُسَر، وإنشاء الأُسَر، ودعم الأُسَر، وقد قالت وزيرة العائلات الألمانية في حديث لها على التلفاز الألماني: «إن مستقبل ألمانيا يكمُن في هذه الأُسَر المسلِمة القادمة إلينا، تعالوا ندمجهم في مجتمعنا، نعلِّمهم لغاتنا، نُقبِل عليهم، نتعلم منهم كيف يعيش بعضهم مع بعض أزواجاً وزوجات».

فالأسرة المسلمة التي تعيش كما أمر سيدنا محمد ﷺ ترقى وتستمر وتدوم، أما الأُسَر التي تريد أن تعيش على الطريقة الغَرْبية؛ حيث لا يرعى الزوج حرمةً لزوجته، ولا ترعى الزوجة أمانة لزوجها، يقضي الزوج والزوجة وَطَرَهما أحدهما من الآخر، ثم يمضيان!! فلا تدوم ولا تُثمِر.

نسأل الله تعالى أن يحسن اتِّباعنا لسيدنا محمَّد ﷺ.

المحاضرة الرابعة عشرة

كيف تؤثّر في قلوب القريبين منك

كيف تستطيع الزوجة أن تؤثر في قلب زوجها، وتملأ بيتها سعادة معه؟

كيف يستطيع الزوج أن يؤثر في قلب زوجته ويزرع حباً لا تذهبه الأيام؟

كيف نستطيع أن نملأ بيوتنا تفاهماً وتراحماً وتعاضداً ومودة؟

كيف نؤثر في قلوب القريبين منَّا؟

هذا ما ستتناوله هذه المحاضرة، وهي مفيدة في الحياة الزوجية بشكل خاص، ومفيدة في الحياة بشكل عام؛ في العمل، وفي الدراسة، وفي المسجد...

فهي محاضرة عامة تفيد في كل نواحي الحياة، وإن كنَّا خصصنا أمثلتها لما يتعلق بالزوج وبالزوجة.

الأمور التي تستطيع بها أن تكسب قلوب مَن حولك

أولاً- تقوى الله تعالى

إذا أصلحتَ ما بينكَ وبين الله أصلحَ الله ما بينك وبين الناس،

ومَن أصلح جوَّانيه أصلح الله له برَّانيه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله أعطى المؤمن الألفة والملاحة والمحبة في صدور الصالحين والملائكة المقربين**»، ثم تلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ۝٩٦﴾ [مريم: ١٩/ ٩٦]»[١]. فإذا اتَّقيتَ الله تعالى جعل محبتكَ في قلوب أهل بيتكَ على ما فيكَ من النقص.

وإذا اتقيتِ الله عز وجل جعل حبكِ وإكرامكِ في قلب زوجكِ على ما فيكِ من النقص. كان أحد الصالحين يقول: (إني لأعرف حالي مع الله من خُلُق زوجتي)، أي: إذا رأى في زوجته تَرْكاً لطاعته، ونشوزاً عن أوامره، وابتعاداً عنه، وإغضاباً له، كان يراجع نفسه، وينظر ما الخطأ الذي أخطأه مع الله؟ ما الفريضة التي قصَّر بها؟ ما النهي الذي ارتكبه؟ ما التقصير الذي أبعده عن ربه؟ بهذا التقصير يُلقي الله عز وجل في قلوب العباد شيئاً نحوه، أما من يتقِ الله فهو حسبُه، وسيكون معه في شؤونه كلِّها ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٦٥/ ٤]. يقول النبي ﷺ: «**إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبَّه، فيحبُّه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبُّوه، فيحبُّه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض**»[٢].

إنك لتَرى الذي يحبه الله تعالى مُكرَماً في عمله، موفَّقاً في بيته،

---

(١) تفسير القرطبي، و(نوادر الأصول) للحكيم الترمذي.

(٢) متفق عليه.

إذا تعامل مع الناس عاملوه بإيجابية كبيرة، إذا دخل المسجد جمَعَته علاقة طيبة مع المصلين، وأينما توجه تيسَّرت أموره؛ لأن جبريل نادى في السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فأحَبَّه أهل السماء، ووُضِع له القبول في الأرض.

ومن جملة القبول في الأرض القبول في البيت. فإذا أحبك الله لأنك انضبطت بأوامره، واتَّقيت، وجعلتَ خشيته نصب عينيك، فإنه يتولى إصلاح أمرك، ويجعل الودَّ والرحمة في قلبك وقلب زوجتك، أما إذا عصيتَ الله تعالى تولى الشيطان الإفساد بينكما، لذلك تقرأ في تتمة الحديث: **«وإذا أَبْغَضَ عبداً دعا جبريل، فيقول: إني أُبْغِضُ فلاناً فَأَبْغِضْهُ، فَيُبْغِضُهُ جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فَأَبْغِضُوهُ، فَيُبْغِضُونَهُ، ثم تُوضع له البغضاء في الأرض»**.

فأصلِح ما بينك وبين الله يصلح الله تعالى ما بينك وبين الناس، وهذا أول أمر تؤثِّر به في قلوب القريبين منك.

ثانياً- الابتسامة

قال رسول الله ﷺ: **«وتَبَسُّمُكَ في وجه أخيك صَدَقة»**[(١)].

أن يبتسم الزوج لزوجته مع همومه وضيقه وشدَّته... وأن تبتسم الزوجة لزوجها مع همومها وتعبها وشدتها... هذا أمر له أجر عند الله تعالى ونفع بين الناس.

---

(١) أخرجه الترمذي.

قيل: الرجل لا يحب من الزوجات ثمانٍ:

المسيطرة.

الكذوب.

الشرسة.

الانعزالية.

السلبية: لا تهتم بفرحه ولا بتَرَحه ولا بهمومه.

العنيدة: التي لا تفعل إلا ما تريد.

الروتينية: التي لا تغيِّر شيئاً في شكلها، ولا في بيتها، ولا في طعامها، ولا في برنامجها مع زوجها...

النَّكِدة.

فابتسمي -أيتها الزوجة- لزوجك عندما يأتي إلى البيت، فهو يحب أن يراك مبتسمة، ولا يحب أن تكوني نَكِدة عاقدة الحاجبين. فالرجل الذي يتعب خارج البيت، وتضايقه هموم العمل، يزداد همه وضيقه وكربه إن عاد إلى بيته فشاهد زوجة عابسة، ويشعُر بأن زوجته تزيد همه ولا تنقصه. وكذلك على الزوج أن يراعي ذلك، فيدخل بيته ضحَّاكاً، ويخرج بسَّاماً. سُئِلت السيدة عائشة رضي الله عنها: كيف كان رسول الله ﷺ في بيته، فقالت: (**كان بسَّاماً ضحَّاكاً**)[1]. (بسام): على وزن (فعَّال)، صيغة مبالغة من الابتسامة، يعني كثير الابتسام.

---

(١) أخرجه ابن عساكر في: (تاريخ دمشق)، وإسحاق بن راهويه في: (مسنده).

تكره النساء الزوج الفظّ الغليظ.

قيل: لا تحب المرأة من الأزواج ثمانية:

البخيل.

الجبان.

الوسخ.

الغادر.

الفاجر.

الساذج الخفيف.

الذي لا يغار عليها.

الفظّ الغليظ: هو العبوس دائماً.

فالرجل العبوس غير محبوب، وإن كان ذا مكانة علمية أو اجتماعية عالية.

لعلكَ تدخل إلى طبيب في عيادته، فإن رأيته عبوساً لم ترتح له، أما إذا استقبلك بابتسامة انشرح له صدرك. وكذا لو دخلتَ إلى بائع في متجره فعامَلَك بفظاظة، فإنك تخرج من محله ولا تعود إليه. فكيف إذا ابتُلِيَ رجلٌ بزوجة عبوس لا تبتسم، أو ابتُلِيت زوجة بزوج كذلك؟!

يُذكَر أن رجلاً كان كثير الابتسام، كثير السلام على مَن حوله، فقيل له: نراك كثير الابتسام! فقال: (كَفُّ عداوة بأرخص مؤونة،

وكَسْبُ مودَّة بأيسر مبذول). قال النبي ﷺ: «**لا تحقِرنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طَلْق**»[1]. فإذا لقي الرجل أخاه بوجه طلق نال أجر صدقة، وكُتِب له معروفٌ، فكيف إذا ابتسم لزوجته، أو الزوجة ابتسمت لزوجها؟!

ثالثاً- البدء بالسلام

قال رسول الله ﷺ -ويروى موقوفاً على عمر-: «**ثلاثٌ يُصَفِّين لك ودَّ أخيك**» أي: في ثلاثة أشياء تكسب ودَّ من تُعامِله بشكل صافٍ ونقي، أولها: «**أن تبدأه بالسلام إذا لقيتَه**»؛ إذ المبادرة بالسلام مبادرةٌ بالتحية والاحترام، فإن عاد الزوج من عمله وبادر زوجته بالابتسامة والسلام والوجه الطَّلْق كسب قلبها. وكذا المرأة عندما تركض باتجاه الباب إذا سمعَت زوجها يَفتَح الباب، وتترك ما في يدها، وتبادره بالسلام تكسب بذلك قلبه. أما إذا كانت الزوجة تتابع مسلسلاً ودخل الزوج، فلم تأبه له، بل أرسلت ابنها لينظر ما يريد أبوه!! فهذه امرأة تنفِّر زوجها منها؛ لأن الزوج يحب أن تتلقَّاه زوجته إذا دخل البيت، ويحبُّ أن تودِّعه إذا خرج، وأن تمشي وراءه لتودِّعه عند الباب.

وبالمقابل فالزوجة عندما تبادر زوجها بالسلام عليه أن يردَّه بمثله أو بأحسن منه، وألَّا ينشغل عنها وينصرف ليقول لها: خذي هذه الأغراض من يدي!!

---

(١) أخرجه مسلم.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النساء: ٤/ ٨٦].

أما ثاني وثالث ما تكسب به ودّ أخيك فـ: «**أن تدعوه بأحب الأسماء إليه، وأن توسّع له في المجلس**»[١]، والزائر يُسَرُّ بترحاب المزور، وحُسنِ استضافته، فكيف إذا كان الترحاب من الزوجة لزوجها أو العكس؟

رابعاً- الهدية

قال رسول الله ﷺ: «**تهادوا تحابُّوا، فإن الهدية تُذهِب وَحَرَ الصَّدر**»[٢].

إن علمتَ أن غيظاً في صدر أحدٍ تجاهك فبادره بالهدية، لأنها تُذهِب ما في صدره، والزوجة يرضيها مِن زوجها هدية بسيطة؛ إذ لا يُشترَط أن تكون الهدية باهظة الثمن، فلعلك بوردة تشتريها بثمن زهيد ثم تحملها لزوجتك تُشعِرها كأنّها ملَكَت الدنيا، ولعل زوجة تشتري لزوجها زجاجة عطر بسيطة تملك بها قلبه، فالأمر ليس أمراً مادياً، لكنه يُشعِر كلا الزوجين بأن الآخر يفكِّر فيه، ويعتني به.

ثم لابد أن تكون الهدايا متناسبة مع المدخول المادي، فاهتمام

---

(١) أخرجه الحاكم، والطبراني في: الأوسط.

(٢) وحر الصدر: غشُّه ووساوسه، وقيل الحقد والغيظ، وقيل العداوة. والحديث أخرجه الترمذي والبيهقي.

الزوجة بما يشعر به زوجها نحوها أكثر بكثير من اهتمامها بما يحمله لها.

ومن الممكن في مناسبة مهمة -كنجاحها في كلِّيَّتها بعلامات عالية، وهذا يكون مرَّة في السنة- أن تهدى هدية تمثِّل ربع الدخل مثلاً، مرة واحدة، وليس في كل مرَّة.

ثم إنه ينبغي على الزوج بين الفينة والأخرى أن يقدم لزوجته هدية بسيطة، حتى وإن كانا متزوجين من سنوات عدَّة، لأنها تفرح بها جداً، وتقدِّر ذلك لزوجها، وتحمله برموش عينيها، وعلى الزوجة كذلك أن تكسب ودَّ زوجها بهدية بين الحين والآخر، ولعلَّ خصاماً شديداً يقع بين الزوجين تحلُّه هدية بسيطة.

خامساً- حسن الاستماع

كان النبي ﷺ إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزِع يدَه من يده حتى ينزع الرجل يدَه[١].

تجد بعضهم يسلِّم على الناس متأنّفاً متعالياً، أما النبي ﷺ فكان إذا سلَّم عليه رجل يبقي يده في يده حتى ينزعها الرجل، وإذا خاطبه رجلٌ التَفَتَ إليه جميعاً، وبمجرد هذه الالتفاتة يشعر من يقابلك بأنك أعطيته كلَّك، فأيُّ أدب هذا؟!

تظهر في العالم اليوم مدارس لتعليم فن الاستماع، كيف تستمع

---

(١) أخرجه الترمذي وأبو داوود.

إلى الآخرين؟ وكيف تكون مستمعاً ناجحاً؟ وعلى الزوجة أن تتدرب على فن الاستماع؛ فإذا كلَّمها زوجها أغلقت التلفاز، وتوجهت إليه بوجهها وقلبها، وشاركته مشاعره وأحاديثه، تتألم لألمه، وتُسَرُّ لسروره. وكذلك أقول للزوج: إذا كلَّمَتكَ زوجتكَ فانصرف إلى حديثها، وتوجه إليها بوجهك وقلبك.

يعود بعض الأزواج من العمل، يتوضأ ويصلي، ثم يتابع الأخبار، وزوجته تريد أن تتكلم معه، فيأمرها أن تنتظر حتى يتابع الأخبار، فإذا انتهت أخبار المحطة الأولى، انتقل إلى الثانية، ثم إلى الثالثة...، وهكذا ينهي ليلته من دون أن يستمع لزوجته التي انتظرت عودته لتبثّه آمالها وآلامها!!

استمع -أيها الزوج- لزوجتك، أعطها اهتمامك وكُلِّيَّتك، فقد بات الآباء اليوم في بيوتهم لا يستمعون للأمهات ولا للأبناء، وهذه مشكلة تسبب غربة بين أفراد الأسرة.

إن بيوتنا التي تحتاج إلى مال تحتاج إلى آباء يشرفون ويتابعون ويهتمُّون ببيوتهم؛ لأن الحياة ليست مالاً كلّها.

سادساً- قضاء الحاجات

قضاء الحاجات بابٌ كبير من أبواب التقرُّب إلى الله تعالى، والتأثير في قلوب القريبين منك؛ يقول النبي ﷺ: «..**والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**»[1]. فإذا قضى الرجل حاجة

(١) أخرجه مسلم وأبو داوود والترمذي.

زوجته قضى الله حاجته، وإذا قَضَت الزوجة حاجة زوجها قضى الله حاجتها، فليكن الله فيما بيننا، أزواجاً وزوجات، أي: عندما تخدم الزوجة زوجها فلتخدمه لله، وعندما يرعى الزوج أهل بيته فليكن ذلك لأجل الله، وعندما يقضي حاجة زوجته فليطلب الأجر من الله. لا يصح أن نخدم الآخرين باحثين عن المكافأة السريعة، فيخدم أحد الزوجين الآخر إن خدمه الآخر خدمة مكافئة، بل اقضِ حاجة زوجكَ لوجه الله تعالى يقضِ الله حاجتَك، ويأجرك في الدنيا والآخرة، ويملأ قلوب القريبين منك محبة لك واحتراماً.

سابعاً- حُسنُ المظهر، وجمالُ اللباس، وطيب الرائحة

قال سيدنا أبو هريرة ﷺ يصف النبي ﷺ: **(ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجري في وجهه)**[١].

ووصف هند بن أبي هالة التميمي ﷺ عنق رسول الله ﷺ، فقال: **(جيده -يعني: عنقه- كأنه جيد دمية في صفاء الفضة)**[٢].

وعن أنس ﷺ قال: **(ما شَممْتُ عنبراً قَط ولا مِسْكاً ولا شيئاً أطيب من ريح النبي ﷺ، ولا مَسسْتُ قط ديباجةً ولا حريراً أَلْيَنَ مَسَّاً من رسول الله ﷺ)**[٣].

وفي حديث جابر بن سمرة ﷺ قال: **(صليتُ مع رسول الله ﷺ**

---

(١) أخرجه الترمذي.

(٢) أخرجه الطبراني، والترمذي في: الشمائل.

(٣) متفق عليه.

صلاة الأولى، ثم خرج إلى أهله، وخرجتُ معه، فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدَّي أحدهم واحداً واحداً، قال: وأما أنا فمسح خدي، قال: فوجدت ليده برداً أو ريحاً كأنما أخرجها من جؤنة عطار)[١].

فإن كانت الزوجة في البيت جميلة الرائحة، نظيفة البدن، حسنة الثوب، معتنية بملابس أولادها ورائحتهم حين يستقبلون أباهم، مرتبة بيتها...، أثَّرت في قلب زوجها حباً وإكراماً. وإن كانت على خلاف ما ذُكِر أثرت في قلب زوجها كرهاً وإيلاماً.

وما قيل في حقِّ الزوجة نظافةً وطلعةً وطِيباً يُقال في حقِّ الزوج؛ إذ الزوجُ النظيفُ الحَسنُ الثَّوبِ الطيبُ الرائحة ينالُ حبَّ زوجته ورضاها.

ثامناً- إحسان الظنّ، والاعتذار عند الخطأ

المرء قويٌّ عندما يعتذر إذا أخطأ؛ لأن البشر يخطئون، والمرء ضعيف عندما يستمر على خطئه وهو يعلم، هذا من جهة، ثم قبول الاعتذار ممن أساء مَكرُمة، والتعنُّت في ردِّه مذمَّة. فمهما أخطأت -أيها الزوج- فلا تضعف أن تعتذر وترجع عن خطئك إلى الصواب. ومهما اعتذرت إليك زوجتك تطلب سماحاً فارضَ، واعلم أن الوصف الذي تعامل به الخلق يعاملك به الحق، فمن عفا عفا الله عنه، ومن شدّد شدّد الله عليه.

---

(١) جزنة العطار: هي القارورة التي يُعِدُّ فيها الطيبَ ويدَّخرُه. والحديث أخرجه مسلم.

تاسعاً- إعلان المحبة والمودة أمام الآخرين

أعلِن -أيها الزوج- عن حبِّك لزوجتك، وأعلني -أيتها الزوجة- عن حبك لزوجك، وإذا كان الشرع يدعو المسلم إلى إعلام الآخرين بمحبته كما جاء في حديث رسول الله ﷺ: **«إذا أحبَّ أحدُكم أخاه فليُعلِمه»**[١]، فمن باب أولى إعلام كلٍّ من الزوجين الآخر بمحبته وتقديره.

عاشراً- المداراة

لا بدَّ أن يداري الرجل زوجته، ولا بدَّ أن تداري الزوجة زوجها؛ لأن المداراة نصف الحياة، وقيل: (المداراة نصف العقل)، فلعلك تداري أخاك أو جارك على الرغم من أخطائه الكثيرة؛ إذ تقوم الحياة على المداراة، وأولى من تداريه الزوجة.

روي أن رجلاً جاء سيدنا عمر رضي الله عنه يشكو خُلُقَ زوجته، فوقف على باب عمر رضي الله عنه ينتظر خروجه، فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه، وعمر ساكت لا يرد عليها، فانصرف الرجل راجعاً وقال: إنْ كان هذا حال عمر -مع شدته وصلابته، وهو أمير المؤمنين- فكيف حالي؟ فخرج عمر رضي الله عنه، فرآه مولِّياً عن بابه، فناداه وقال: ما حاجتك يا رجل؟ فقال: يا أمير المؤمنين، جئتُ أشكو إليك سوء خُلُق امرأتي واستطالتها عليَّ، فسمعتُ زوجتك كذلك، فرجعت وقلت: إذا كان حال أمير المؤمنين مع زوجته،

---

(١) البخاري في: الأدب المفرد، والطبراني.

فكيف حالي؟ فقال عمر ﷺ: يا أخي، إني احتملتُها لحقوق لها عليَّ: إنها طبّاخة لطعامي، خبّازة لخبزي، غسَّالة لثيابي، مُرضِعة لولدي، وليس ذلك كله بواجب عليها، ويسكن قلبي بها عن الحرام، فأنا احتملتها لذلك. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، وكذلك زوجتي!! قال عمر ﷺ: فاحتمِلها يا أخي، فإنما هي مدة يسيرة[١].

هذه أمورٌ عشرة تؤثِّر بها في قلوب القريبين منك، يؤثر الزوج فيها بقلب زوجته، وتؤثر الزوجة فيها بقلب زوجها.

نسأل الله تعالى أن يُلقي المودة والرحمة في قلوبنا لأهلنا، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين والله أعلم.

(١) ذكر القصة الذهبي في: الكبائر ١/ ١٧٢، عند ذكر الكبيرة السابعة والأربعين: (نشوز المرأة على زوجها)، وابن حجر في: الزواجر عن اقتراف الكبائر.

المحاضرة الخامسة عشرة

ماذا يريد الزوج من زوجته؟ وماذا تريد منه؟

وبتتالي المحاضرات تظهر للقارئ أهمية تأهيل مَن حوله من أخوات وبنات... للزواج.

قرأتُ أن رئيس دولة غربية ألقى خطاباً قال فيه: (إن لدينا مالاً كثيراً، وطاقة علمية كبيرة، وتقنيات عالية، لكننا لا نحسن إنشاء الأسر وإدارتها، وهذا أمر مرعِب يهدِّد بخرابنا).

فإنشاء الأسرة الصالحة والاعتناء بها مؤذِن برقيّ الأمم؛ لأن الأمة مجموعة أُسَر، فإذا كانت الأُسَر ناجحة كان المجتمع ناجحاً، وإذا كانت الأُسَر منحلَّة، ضعيفة الترابط، تنخرها المشكلات، يعزف شبابها عن الزواج، كان المجتمع ضعيفاً ذاهباً نحو الهلاك.

وعندما يعلم كلٌّ من الزوجين ماذا يريد منه الآخر، ويؤدي له ما يريد، نضمن نجاح الأسرة واستقرارها واستمرارها.

وهذه المحاضرة استبانة قام بإجرائها قاضٍ شرعي في بلد عربي، شملت مئتي أسرة، أي: مئتي زوج، ومئتي زوجة.

كانت الأسر المنتَقاة تختلف في المستوى المعاشي: (فقراء، وأغنياء، ومتوسطون..)، وتختلف في المستوى العلمي: (أساتذة

جامعات، أطباء، مهندسون، بسطاء...)، وتختلف في الانتماء الديني: (ملتزم بشكل تام، وملتزم بشكل متوسط، وغير ملتزم)، يعني أن الشريحة المدروسة عشوائية.

جاء في الاستبانة الأسئلة الآتية:

أولاً- ما أول حاجة يريدها الزوج من زوجته؟

ثانياً- ما ثاني حاجة يريدها الزوج من زوجته؟

ثالثاً- ما ثالث حاجة يريدها الزوج من زوجته؟

رابعاً- ما آخر ما يريده الزوج من زوجته؟

قدَّم القاضي هذه الأسئلة للرجال والنساء، واقترح إجابات محدَّدة تُختار وتُرَتَّب حسب الأسئلة.

كانت الإجابات المختارة هي:

١- توفير الطعام.

٢- كسب المال.

٣- الشعور بالأمن.

٤- الاحترام المتبادل.

٥- الثقة المتبادلة.

٦- الكلام الجميل.

٧- الرِّقَّة والدَّلال.

٨- التَّسامح والعفو.

٩- تحمُّل المسؤولية.

١٠- تبادل الأحاديث.

١١- العاطفة وإخراج المشاعر.

١٢- الاهتمام بالبيت.

هذه مجموعة أجوبة تُعطى مُرفَقةً مع الأسئلة الأربعة لكل من الزوج والزوجة، وكانت النتائج كما يأتي:

السؤال الأول: ما أول حاجة يريدها الزوج من زوجته؟

الجواب: أول شيء وأكثر شيء طلبه الأزواج من الزوجات كان الإجابة رقم (١٢): الاهتمام بالبيت.

بمعنى: أن تحمي المرأة للزوج ظهره؛ فالرجل يقضي معظم يومه خارج البيت، وهو بحاجة إلى امرأة تحمي له ظهره؛ ترعى بيته وأولاده، وتحمي ماله وعرضه، حتى يطمئنَّ إذا خرج من البيت أنَّ بيته في أمان واستقرار.

فاعلمنَ -أيتها الزوجات- أنَّ اهتمامكنَّ ببيوت أزواجكنّ هو أكبر شيء تنَلْنَ به رضا أزواجكنّ عليكنّ، فيحيا البيت حياة سعيدة هانئة.

ويقال: (وراء كلِّ رجل عظيم امرأة)، فإذا رأيتَ رجلاً ناجحاً في عمله، ناجحاً في حياته، ناجحاً في مجتمعه...، فاعلم أنَّ زوجته وراءه حَمَت له ظهره، فجعل يمضي في نجاحاته وتفوُّقه، والعكس صحيح.

وَصَف الله عزَّ وجل نساء الجنة فقال: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ۝٧٢﴾ [الرحمن: ٥٥/ ٧٢]، فالحُور في الجنة يجلسن في بيوتهن، فإذا أرادت المرأة أن تكون مثل حُور الجنة فعليها أن تلزم بيتها لتهتمّ بالبيت والأولاد، إن لم يكن خروجها لضرورة أو حاجة مهمة، أما إذا خَرَجَت من البيت وأصبحت علاقاتها الخارجية أهم من علاقاتها الداخلية، وبرنامجها الخارجي أهم من برنامجها المنزلي، فقد خَرِب البيت، وتمزَّقت الأسرة.

المرأة داخل بيتها تخدم الأمة أكثر مما تخدمها عند خروجها من البيت، ولو كان هذا الخروج للعمل.

وعلى ذلك فإني لا أنصح المرأة بالعمل خارج المنزل، لا لأنه حرام، بل لما له من تبعات تنعكس سلباً على الأسرة وعلى المرأة نفسها، ما لم تكن ضرورة مُلحَّة للعمل، كأن يكون زوجها في مرضٍ شديد، ولا نفقة للأسرة، فنقول: إن عمل هذه المرأة أفضل من سؤال الناس، وهي مأجورة مشكورة على عملها.

أما المرأة التي يعمل زوجها ولديهما من المال ما يكفي، فأنصحها ألَّا تعمل خارج البيت؛ لأن الخسارة المترتبة على تركها بيتها أكبر بكثير من الربح المَجنيّ من العمل.

وهناك دراسة إحصائية أجريت للموازنة بين مجموعة أطفال يعيشون في دار حضانة نموذجية، وأؤكد على أنها (نموذجية)، وبين مجموعة أطفال يعيشون مع أمهاتهم في البيوت داخل الأسرة:

تَبيَّن أن الأطفال الذين يعيشون في دُور الحضانة النموذجية يذوون -أي: يضعفون- بعد الشهر السادس، ويعانون تأخراً في النمو العقلي، والانفعال العاطفي، الشيء الذي لم يظهر عند الأطفال الذين يعيشون مع أمهاتهم.

فأيهما أفضل: عمل المرأة خارج البيت وإضرار أولادها بتأخر النمو العقلي والعاطفي عندهم؟! أو بقاؤها في بيتها تحافظ على أولادها، ولو قلَّ الوارد المادي للأسرة؟؟!!

أيهما أهم: العمل خارج المنزل، أم مستقبل الأبناء؟!

إذا اعتادت المرأة الخروج من البيت لغير ضرورة هدَمَت أسرتها، وهذه أكبر خدعة خُدِعت بها في حياتها، فمَن سيربي الأولاد حال غيابها؟! ستأتي الأفلام الغربية وتربيهم، وتقدم لهم الثقافة الاجتماعية السيئة؟!

لأجل ذلك كلِّه كان أول شيء يريده الزوج من زوجته: الاهتمام بالبيت.

السؤال الثاني: ما ثاني حاجة يريدها الزوج من زوجته؟

الجواب: الإجابة رقم (١١): **العاطفة وإظهار المشاعر.**

فالزوج يواجه خارج البيت شدَّة نفسية، وضغوطات مادية ومعنوية، ومواجهات متعبة، وعندما يصل بيته بعد يومٍ شاقّ يكاد يسقط من التعب، فإنه يتوقع من زوجته أن تخفف عنه الضغوط، وتتودَّد له، وتتحبَّب إليه، وترعاه نفسياً وعاطفياً. أما إذا جاء إلى البيت ليعاني ضغطاً إضافياً فإنه سينهار؛ إذ صار بيته معززاً لهمومه.

وصف الله تعالى نساء الجنة بقوله: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧﴾ [الواقعة: ٥٦/٣٧]، عُرباً: جمع عروب، وهي المرأة المتحبِّبَة إلى زوجها، المتودِّدة المتقرِّبة إليه بالأقوال والأفعال، وعكسها الرَّجِلَة، وهي التي تُزَمجِر وتصرُخ، وتقطِّب الحاجبين، وتهجر الزوج... عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**لَعَنَ رسولُ الله ﷺ الرَّجِلَةَ مِنَ النساء**»[١]. و (أتراباً): أي متقاربات في الأعمار. فمَن أرادت أن تكون من نساء

(١) أخرجه أبو داوود.

الجنة فلتتخلَّق بأخلاقهن. وقد سبق قول النبي ﷺ: «**ألا أخبركم بخير نسائكم: كلّ ودود ولود، إذا غَضبَتْ أو أُسِيء إليها قالَتْ: هذه يدي في يدك، لا أكتحلُ بغَمضٍ حتى ترضى**»[١]. و(الودود): التي تتودد لزوجها، وتتحبب إليه، وتملأ بيتها سعادة، بلطفها، وكلامها الحسن، وبعاطفتها نحو زوجها.

وإذا شاهد الزوج داخل بيته امرأةً ودوداً لن يسوِّل له شيطانٌ أن ينظر خارج البيت، لكنْ إذا كانت المرأة شقيَّة، رَجِلةً، ناشزاً، سيئة الخلق، صعبة المِرَاس، وكان الرجل في ضيقٍ خارج البيت، فلا شك أنه سيبحث عن زوجةٍ أخرى يجد عندها راحته. «**إذا غضبت أو أسيء إليها قالت: هذه يدي في يدك، لا أكتحل بغمض حتى ترضى**»: إذا كان الرجل ودوداً وزوجته كافأته بالودِّ فهذا أمرٌ طبيعي، فهل جزاء الإحسان إلَّا الإحسان؟ أما أن تقول الزوجة لزوجها إن غضب، أو جاء إلى البيت متوتراً، مقطِّب الحاجبين، أو نهرها أو أساء إليها، أن تقول له: «**هذه يدي في يدك، لا أكتحل بغمض حتى ترضى**»، وتبقى تواسيه وتتألَّف قلبه وتتودَّد إليه حتى يرضى، فهذه زوجة لها رتبة عالية عند الله وعند الناس، وكلُّ زوجة تتعامل مع زوجها بهذه الطريقة فسيرعاها بعينيه؛ لأن الزوج يريد من زوجته العاطفة وإظهار المشاعر.

وقد تقدَّم ذكر حديث أسماء بنت يزيد الأنصارية رضي الله عنها، أنها أتت النبي ﷺ وهو بين أصحابه، فقالت: (بأبي أنت وأمي، أنا

---

(١) النسائي في: الكبرى، والطبراني.

وافدة النساء إليك، واعلم -نفسي لك الفداء- أنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سَمِعَتْ بمَخرجي هذا أو لم تسمع إلا وهي على مثل رأيي. إن الله بعَثَك إلى الرجال والنساء كافة، فآمنا بك وبإلهك، وإنَّا -معشر النساء- محصوراتٌ مقصوراتٌ، قواعدُ بيوتكم، ومفضى شهواتكم، وحاملاتُ أولادكم، وإنكم -معاشر الرجال- فُضِّلتُم علينا بالجُمَع والجماعات، وعيادة المريض، وشهود الجنائز، والحجّ بعد الحجّ، وأفضلُ من ذلك الجهادُ في سبيل الله عز وجل، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجًّاً أو معتمراً أو مرابطاً حفِظنَا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربَّينا لكم أولادكم، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟ فالتَفَتَ النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كلِّه، ثم قال: «**هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسَن في مسألتها عن أمرِ دينها من هذه؟**» فقالوا: يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا!! فالتَفَتَ النبي ﷺ إليها، فقال: «**انصرفي -أيتها المرأة- وأَعْلِمِي مَن خَلْفَك من النساء أنَّ حُسْنَ تبعُّل إحداكنَّ لزوجها، وطلبها مرضاته، واتِّباعها موافَقَتَه تعدل ذلك كلَّه**» قال: فأدبرت المرأة وهي تهلِّل وتكبِّر استبشاراً)[١].

هذا الحديث يعني أنَّ تودُّد المرأة لزوجها وتحبُّبَها له، وإبداءها لمشاعرها نحوه، وحنانها عليه...، هو كالجهاد في سبيل الله، وحضور الجُمَع والجماعات، وبذل الصدقة.

---

(١) البزار في: مسنده، والبيهقي في: الشعب.

السؤال الثالث: ما ثالث حاجة يريدها الزوج من زوجته؟

الجواب: الإجابة رقم (٤): الاحترام المتبادل.

هكذا كتب الأزواج في هذه الاستبانة؛ لأن المرأة ذات اللسان الطويل هي من أسوأ النساء؛ إذ تظن أنها إذا ردَّت على زوجها كلمةً، أو أشارت له بإشارة، أو لم تحترمه تكون بذلك رابحة، لقد خَسِرَتْ احترامه لها، وخَسرَتْ أسرتها، وخسِرَتْ في آخرتها أيضاً.

المرأة الصالحة هي التي تحترم زوجها في حضوره وغيبته، وامرأة السوء هي التي لا ترعى لوجوده أو كلمته حقاً.

ربما استأذنت زوجة زوجها للخروج من المنزل، فلم يأذن لها، وطلب منها أن تؤجل موعدها، فلمّا خرج إلى العمل قالت للأولاد: أنا ذاهبةٌ وسأعود قريباً، وإن اتصل والدكم فقولوا له إني أتوضأ. هذه امرأة ربّت أولادها على عدم احترام أبيهم، وغداً سيكذب هؤلاء الأطفال عليه وعليها بالطريقة نفسها التي كذبَتْ بها.

السيدة أسماء رضي الله عنها رُبِّيت في بيت أبيها أبي بكر رضي الله عنه وما أدراك ما أبو بكر: كان تاجراً كبيراً، نسَّابةً، ذا شرف ومال وسمعة حسنة، وكان صاحب رسول الله ﷺ، فعاشت أسماء في بيت فيه المال، والدين، والصلاح، والاحترام، والمحبة لها.

تزوجت السيدة أسماء صحابياً فقيراً، لم يكن غنياً مثل أبيها، ولا بشهرة أبيها، وليس له من العلم والعلاقات الاجتماعية الواسعة

التي لأبيها النسّابة أبي بكر ﷺ الذي كان يعرف بيوت قريش كلها، ويعلم الآباء والأبناء والأحفاد والأجداد.

زوَّج أبو بكر ﷺ ابنته أسماء ﷺ من الصحابيِّ الزبير بن العوّام ﷺ، وكان فقيراً، فكانت أسماء تحمل على رأسها نوى التمر إلى البيت، فتسوس فرس زوجها، وتسقيه، وتُعِدُّ عجين بيتها، وكانت أسماء تلوم نفسها بأنها لا تُحسِن الخَبز كما كانت جاراتها يخبزن، هي لا تلوم زوجها، بل تلوم نفسها، وهي بنت الغني، لكنها تحترم زوجها فتلوم نفسها بالتقصير.

أخرج البخاري ومسلم من حديث أسماء بنت أبي بكر ﷺ قالت: (تزوَّجني الزبير وما لَه في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضحٍ، وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه، وأستقي الماء، وأخرز غربه، وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز، وكان يخبز جارات لي من الأنصار، وكنَّ نسوة صِدْقٍ، وكنتُ أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي، وهي مني على ثُلُثَي فرسخ، فجئتُ يوماً والنوى على رأسي، فلقيتُ رسول الله ﷺ ومعه نفرٌ من الأنصار، فدعاني، ثم قال: «إخ إخ»، ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرتُ الزبير وغيرَتَه، وكان أغير الناس، فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت، فمضى، فجئتُ الزبير، فقلت: لَقِيَنِي رسولُ الله ﷺ وعلى رأسي النوى، ومعه نفرٌ من أصحابه، فأناخ لأركب، فاستحييتُ منه، وعرفتُ غيرتَكَ، فقال: والله لَحَمْلُكِ النَّوى كان أشدَّ عليَّ من ركوبك معه،

قالت: حتى أرسل إلي أبو بكر بعد ذلك خادماً يكفيني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني)[١].

هذه زوجة تحترم زوجها، وتصون نفسها، وتُرضي ربها، أما الزوجة التي لا تحترم زوجها، وتطعن به، وتتفاخر وتتعالى عليه بنسبها...، فهي تسيء إلى نفسها قبل أن تسيء إلى زوجها.

السؤال الرابع: ما آخر ما يريده الزوج من زوجته؟

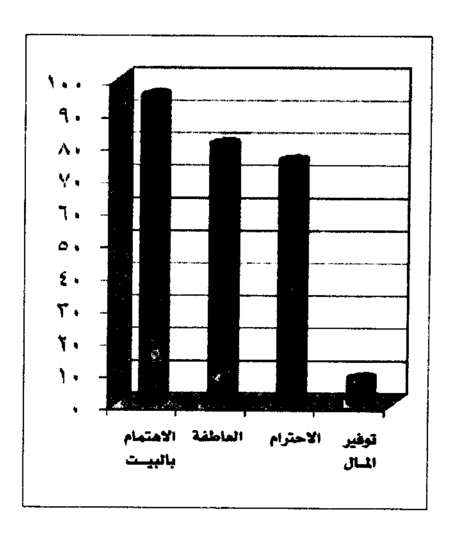
الجواب: الإجابة رقم (٢): **كسب المال.**

لا يفكِّر رجل سليم العقل والخُلُق أن يطلب من زوجته أن تكسب مالاً لتنفقه على البيت والأولاد، ثم يقعد هو في البيت من دون علم ولا عمل، لذلك كتب الرجال في الاستبانة أن آخر ما يريدونه من زوجاتهم كسب المال.

وبعد، فهذا رسم بياني يُظهِر أن أول ما يريده الزوج: الاهتمام بالبيت، وثاني ما يريده: العاطفة وإظهار المشاعر، وثالث ما يريده: الاحترام المتبادل، أما آخر ما يريده: فهو المال.

---

(١) متفق عليه.



لكن ماذا تريد الزوجة من زوجها؟

على الزوج أن يعرف ماذا تريد زوجته منه، وينتبه لذلك، ويُصلِح حاله إن كان مقصراً معها، والذي لم يتزوَّج بعد فعليه أن يهيئ نفسه لتأدية ذلك لزوجته.

السؤال الأول: ما أول ما تريده الزوجة من زوجها؟

الجواب: الإجابة رقم (٩): **تحمُّل المسؤولية.**

إذا تزوج الرجل صار مسؤولاً عن نفسه وزوجه وأولاده، بعد أن كان مسؤولاً عن نفسه وحسب، ولو أردنا اختصار الزواج بكلمة واحدة لكانت الكلمة (المسؤولية)، وأول ما أرادته الزوجات من

رجالهن تحمُّل المسؤولية، بمعنى أن يتحمل الزوج مسؤولية تربية أولاده، جنباً إلى جنب مع زوجته، وأن يتحمل مسؤولية رعاية زوجته، وأن يتحمل مسؤولية إدارة بيت وأسرة.

لقد أرادت الزوجات عندما كتبن: (تحمُّل المسؤولية) في الاستبانة أن يشعرن بوجود أزواجهن معهن في مواقف الحياة، في الشدة والرخاء، في الحزن والفرح، في الصحة والمرض، أمَّا أن يترُكَ الزوج الأعباء كلَّها إلى زوجته، ويغيب عن البيت معظم الوقت، فهذا تصرف خاطئ، وإن كان غيابه في العمل، أو المسجد. ويشقُّ هذا على الزوجة، ويُخِلُّ بوظيفة الزوج في رعاية بيته؛ قال النبي ﷺ: «**كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤول عن رعِيَّته...**»[(١)].

ولقد تقدَّم في محاضرة (التأهيل النفسي للمتزوجين) أن على كل شاب يريد الزواج أن ينظر قبل ذلك في نفسه: هل يستطيع تحمُّل المسؤولية؟ مسؤولية الزوجة، والبيت، ثم مسؤولية الأولاد؛ لأن تحمُّل المسؤولية أول أمرٍ تريده الزوجة من زوجها.

السؤال الثاني: ما ثاني ما تريده الزوجة من زوجها؟

الجواب: الإجابة رقم (٣): **الشعور بالأمن.**

تحبُّ الزوجة أن تَشعُر بالأمان في بيت زوجها، فلا تهدَّد بطلاق، ولا تنذَر بإخراج من البيت، ولا يقال لها: إنه بالإمكان الاستغناء عنها واستبدال غيرها بها في أية لحظة.

---

(١) متفق عليه.

إن الشعور بالأمن مطلوبُ كلّ زوجة من زوجها، فلا يحقُّ للزوج أن يهدِّد زوجته بالطلاق عند كلِّ حَرَكَة وسَكَنَة، فتشعر بأن حياتها الزوجية مهدَّدة، ولا يحقّ له أن يُرسِلها إلى بيت أهلها كلَّما استاء منها، أو استاء من البيت، أو ضجر من الأولاد، أو وقع بينهما خلاف... بل لابد له أن يُطَمْئِنها باستمرار ويخبرها بأن مكانتها عنده عالية، وبأنها لديه غالية، وأنه لن يتخلى عنها، ولن يتزوج عليها، إذ المرأة لديها خوف كبير وحساسية عالية من اقتران زوجها بغيرها، أو تَخَلِّيه عنها، وقد كتبت ذلك مئتا امرأة في الاستبيان، إنها تريد أن تشعر بالأمن والاستقرار.

في كتب الصحاح حديثٌ يسمَّى: (حديث أمِّ زَرْع)، كانت السيدة عائشة رضي الله عنها مع النبي ﷺ، فأخبرته بنبأ مجموعة من النسوة، قالت: (جلس إحدى عشرة امرأة في الجاهلية، فتعاهدْنَ وتعاقَدْنَ ألَّا يكتُمنَ من أخبار أزواجهن شيئاً) -ومن المعلوم أنه يحرم في شرعنا أن تُفشي المرأةُ أسرار زوجها، وإنما كان هذا المجلس في الجاهلية- (قالت الأولى: زوجي لحمُ جملٍ غثّ، على رأس جبل، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقل [تعني بهذا قلَّة خيره وبخله، وهو مع ذلك شامخٌ بأنفه، شرسٌ في خلقه، متكبر متعجرف].

قالت الثانية: زوجي لا أبثُّ خَبَرَه، إني أخاف ألَّا أَذَرَه، إن أَذكُره أذكُر عُجَرَه وبُجَرَه [تعني فيه عيوب كثيرة، وأخشى إن وَصَله حديثي أن يفارقني].

قالت الثالثة: زوجي العَشَنَّق، إن أنطِق أُطلَّق، وإن أسكُت أُعلَّق [تعني أنه ذو هيبة، وهي عنده لا مطلَّقة ولا معلَّقة].

قالت الرابعة: زوجي كلَيْلِ تهامة، لا حرّ ولا قرّ، ولا مخافة ولا سآمة [تصف زوجها بأنه لين الجانب خفيف الوطأة على الصاحب].

قالت الخامسة: زوجي إن دَخَل فَهِد، وإن خَرَج أسد، ولا يُسأل عما عَهد [أي نشيط شجاع كريم مسامح].

قالت السادسة: زوجي إن أَكَلَ لفّ، وإن شرب اشتفّ، وإن اضطجع التفّ، ولا يولج الكفّ ليعلم البث [أي كثير الأكل والشرب سيئ العشرة].

قالت السابعة: زوجي غَياياء -أو عَيَاياء- طَباقاء، كل داء له داء، شَجَّكِ، أو فَلَّكِ، أو جمَعَ كلّاً لكِ [أي أحمق، ضعيف الجماع، يضرب النساء] .

قالت الثامنة: زوجي المسُّ مسُّ أرنب، والريح ريح زَرنَب [أي جميل العشرة طيب الرائحة].

قالت التاسعة: زوجي رفيع العماد، طويل النِّجاد، عظيم الرَّماد، قريب البيت من النَّاد [أي سيد في قومه، شريف، كريم، حسن الخُلُق، طيب المعاشرة].

قالت العاشرة: زوجي مالِكٌ وَمَا مَالِكٌ، مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذلك، له إِبِلٌ كثيراتُ الْمَبَارِكِ، قليلاتُ الْمَسارح، إذا سَمِعْنَ صَوت الْمِزْهَرِ أَيْقَنَّ أَنَّهُنَّ هَوَالِك [أي ثري كريم، كثير الضيفان].

قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زَرْع، فما أبو زَرْع؟ أَنَاسَ من حُلِيٍّ أُذُنَيّ، وملأ من شحمٍ عضدي، وبجَّحَني فبَجِحَتْ إليَّ نَفْسي [أي ألبسني الحليَّ والذهب، وأغدق عليَّ من النعم، وفرَّحني ففرحت]، وَجَدَني في أهل غُنَيمة بِشِقّ، فجعلني في أهل صهيل وأطيط ودائس ومُنَقٍّ [أي كنت في قلة العيش وجهده فأتى بي إلى أهل خيل وإبل وزرع وماشية]، فعنده أقول فلا أُقَبَّح، وأرقُدُ فأتصبَّح، وأشرب فأتقنَّح، [أي يدللني، وأنام أول النهار لوجود الخدم، وأشرب فأرتوي]. أمُّ أبي زرع فما أمُّ أبي زرع؟ عُكُومُها رَدَاح، وبيتها فَسَاح [أي أم زوجها كثيرة الأثاث والمال، وسيعة الدار]. ابن أبي زرع فما ابن أبي زرع؟ مَضجعُه كَمَسَلِّ شَطْبَةٍ، ويشبعه ذراع الجَفْرَة [أي: جميل القد، قليل الأكل، شجاع]. بنتُ أبي زرع فما بنت أبي زرع؟ طَوعُ أبيها وطَوعُ أمِّها، وملءُ كِسائها، وغيظ جارتها. جارية أبي زرع فما جارية أبي زرع؟ لا تَبُثُّ حديثنا تبثيثاً، ولا تُنَقِّثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثاً، ولا تملأُ بيتنا تعشيشاً [أي أمينة نظيفة]. قالت: خرج أبو زرع والأوطابُ تُمْخَضُ [أي في الربيع]، فلقي امرأةً معها ولدان لها، كالفهدين يلعبان من تحت خصرها برمانتين، فطلَّقني ونَكَحَها. فنكحتُ بعده رجلاً سريًّاً، رَكِبَ شريًّاً، وأخذ خطِّيًّاً [أي خيِّرٌ فارس]، وأراح عليَّ نَعماً ثرياً، وأعطاني من كلِّ رائحة زوجاً، وقال: كُلي أمَّ زرع وميري أهلك. قالت: لو جمعتُ كلَّ شيء أعطانيه ما بلغ أصغرَ آنية أبي زَرْع.

قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ: **«كنت لك كأبي زرع لأمّ**

زرع»[١]. وفي رواية: («..**إلا أنه طلَّقها، وإني لا أطلِّقك**»، قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، بأبي وأمي، لأنتَ خيرٌ لي من أبي زَرْع لأمِّ زَرْع)[٢].

قال ابن حجر في (فتح الباري)[٣]: «وكأنه ﷺ قال ذلك تطييباً لها، وطمأنينة لقلبها، ودفعاً لإيهام عموم التشبيه بجملة أحوال أبي زرع؛ إذ لم يكن فيه ما تذمُّه النساء سوى ذلك، وقد وقع الإفصاح بذلك، وأجابت هي عن ذلك جواب مثلها في فضلها وعِلمها».

فههنا طمأن رسول الله ﷺ زوجه عائشة وأمنها من الطلاق بقوله ﷺ: «وإني لا أطلِّقك»؛ لأن الزوجة تحب أن تسمَع من زوجها كلاماً كهذا، يطمئِنُها ويُشعِرها بالأمن والأمان.

السؤال الثالث: ما ثالث ما تريده الزوجة من زوجها؟

الجواب: الإجابة رقم (٤): **الاحترام المتبادل.**

لئن كتب الأزواج أنهم يريدون من زوجاتهم الاحترام المتبادل فقد كتبت الزوجات أنهن يردن من أزواجهن الأمر نفسه، لأن الإنسان مخلوق مكرم، يحب من يحترمه ويعرف قدره، وينفر من مكان لا يحترَم فيه، ولا تُرعى فيه ذمته ومكانته .

(١) متفق عليه.

(٢) عزاه ابن حجر في: الفتح للطبراني في رواية له.

(٣) فتح الباري: ٩/ ٢٧٥.

فالزوج الذي يشتم زوجته ويستهزئ بها، أو الذي يستخف بحديث زوجته أو يعيرها بأهلها أو علمها أو عملها يذهب بحياته الزوجية نحو منزلق خطير، وقد قال النبي ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»(١).

السؤال الرابع: ما آخر ما تريده الزوجة من زوجها؟

الجواب: الإجابة رقم (٢): **توفير الطعام**.

كتبت الزوجات في الشريحة المدروسة: إنهنّ في آخر ما يردنه من أزواجهن توفير الطعام، وههنا أمرٌ مهمٌّ، فإن آخر شيء تريده الزوجة توفير الطعام، على حين أن الزوج كثيراً ما يمنُّ بتوفيره الطعام لأهل بيته، ويظن أن توفير الغذاء لعائلته أهم الواجبات.

وبناء على ذلك: فليس من المعقول أن يَصرِف الرجل نهاره كلَّه لأجل الحصول على الطعام، ولا يصرف ساعة واحدة من أجل تحمُّل المسؤولية داخل البيت، وليس من الصحيح أن يقضي الزوج معظم أوقاته خارج البيت باحثاً عن أرزاق أولاده ولا يرضى أن يقضي القليل من وقته داخل البيت باحثاً عن أخلاقهم.

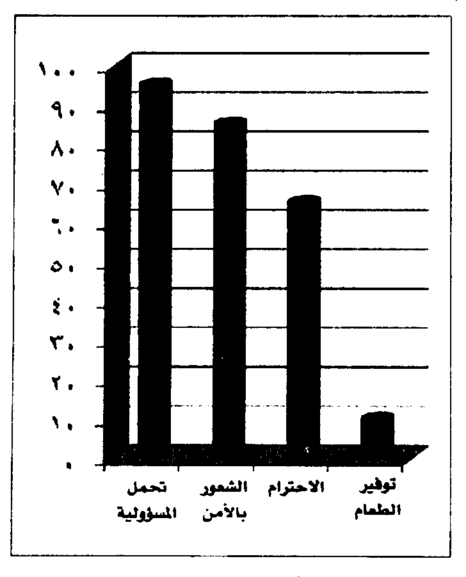
والصواب أن يجلس مع زوجته ليسألها عن حال الأولاد، عن دراستهم، وعن همومها وحالها...، أن يخرج مع زوجته وأولاده إلى نزهة أو زيارة قريب أو حضور مجلس علم...، أن يجالس

---

(١) أخرجه الترمذي.

أبناءه، ويتعرف أصحابهم، وآمالهم، وآلامهم، ليكون الزوج حاضراً في بيته لا مفقوداً فيه.

وبعد فهذا رسم بياني يُظهِر أن أول ما تريده الزوجة تحمّل المسؤولية، وثاني ما تريده الشعور بالأمن، وثالث ما تريده الاحترام المتبادل، وأما آخر ما تريده فهو توفير الطعام.



نسأل الله تعالى أن يوفِّق كلَّ زوجين، وأن يجعلنا ممَّن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

المحاضرة السادسة عشرة

قواعد مهمّة لاحتواء المشكلات الزوجية

في البداية لا بد من ذكر حقيقة مهمة، وهي أن الحياة الزوجية ليست راحة كلّها، وليست سكوناً كلّها، وليست ودّاً واتفاقاً كلّها، بل راحةٌ حيناً وتعبٌ حيناً آخر، وسرورٌ حيناً وحزنٌ حيناً آخر، واتفاق حيناً واختلافٌ حيناً آخر، ووئامٌ حيناً ومشكلات حيناً آخر... وليس في العالم كله زوجان يخلوان من الاختلاف كلياً، ولا تجد زوجين تسير حياتهما دائماً في اتفاق وودٍّ ووئام، إذ لا بدَّ من الاختلاف، ومن ثَمّ لا بد من المشكلات.

والاختلاف سنة الله تعالى في هذه الحياة؛ إذ قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١/١١٨-١١٩]. فالله جل جلاله قادر على جعل ميول الناس واحدة، ورغباتهم متطابقة، وآمالهم متماثلة، لكنه جل جلاله لم يفعل؛ لأن الحياة بهذه الصورة وبهذا الشكل تغدو قبيحة جداً، فتصور لو كان البشر كلهم يحبون اللون نفسه، والطعام نفسه، واللباس نفسه، وكان صوتهم واحداً، وشكلهم واحداً، ولسانهم واحداً، وحركاتهم واحدة، ونظراتهم واحدة، ويفكرون بالطريقة نفسها... لو كان الأمر كذلك لخربت الدنيا، لهذا

جعل الله تعالى الاختلاف، وسنَّه قانوناً في هذه الحياة وجمَّله؛ لأنه يعطينا التكامل إن استطعنا إدارته بوعي وحكمة.

فكيف يمكن للزوجين احتواء الاختلافات والمشكلات الزوجية؟

كثيراً ما أقول: ليست المشكلة في ذات المشكلة، إنما المشكلة في طريقة التعامل مع المشكلة، وليس الخوف من الاختلاف الواقع بين الزوجين، لكن الخوف -كل الخوف- في طريقة تعامل الزوجين مع هذا الاختلاف.

ثم هناك حقيقة أخرى لا بد لكل شاب وفتاة أن يعلماها، وهي أنّ أصعب سنةٍ في الزواج هي السنة الأولى، على عكس المفهوم الشائع أن الشهر الأول هو شهر العسل، والسنة الأولى هي سنة السعادة، وذلك لأن المشكلات في السنة الأولى كثيرةٌ، وتظهر فيها الاختلافات بأنواعها، وفي السنة الثانية تتحسن طريقة التعامل مع المشكلة، إذ يتدرب الشاب على طريقة التعامل مع زوجته عند المشكلات، وكذلك الفتاة أيضاً، فالسّنة الثانية أفضل من الأولى، والسنة الثالثة أفضل، والرابعة أفضل.. وهكذا، كلَّما طالت الحياة بالزوجين وصلا إلى تفاهم في طريقة التعامل مع الحياة بمختلف مفرداتها.

وهذه بعض القواعد المهمة لاحتواء المشكلات الزوجية:

القاعدة الأولى:

(أصلح ما بينك وبين الله يصلح الله ما بينك وبين زوجك)

إذا رأى الزوج في بيته مشكلةً جديدة فليفزع إلى الله تعالى بالاستغفار والتوبة، فلعله عمل اليوم عملاً لم يكن يعمله قبل، ولعله اجترح اليوم ذنباً ما كان أذنبه أمس. كان بعض الصالحين يقول: (إني لأعرف حالي مع الله تعالى من خلق زوجتي). فإن رأى الزوج زوجته تصطنع المشكلات، وتتتبع أموراً ما كانت تتتبعها، ورآها تتصرف على غير عادتها، فلينظر في نفسه، لعله عمل عملاً لا يرضي الله. والعكس صحيح: إن رَأَت الزوجة من زوجها قسوةً أو إعراضاً أو مخاصمةً فلتفزع إلى الله بتوبة وإصلاح. جاء في الأثر: (من أصلَحَ جوانيه أصلح الله له برانيه)، وقال ﷺ: «**من جعل الهموم هماً واحداً كفاه الله ما أهمَّه من أمر الدُّنيا والآخرة، ومن تشعَّبَت به الهموم لم يبالِ الله في أي أودية الدُّنيا هلك**»[1].

القاعدة الثانية:

(ليست المشكلات الزوجية شراً كلُّها، بل ربما كان فيها خير)

قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢/ ٢١٦].

---

(١) أخرجه الحاكم في: المستدرك.

وقال سبحانه في سورة النساء: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩/٤]. لعلَّ أحد الزوجين -أو كليهما- يتضايق من مشكلة في البيت، ويتضجر منها، لكن الله تعالى يهيئ لهما من هذه المشكلة خيراً كبيراً من حيث لا يعلمان. وأوضح مثال على ذلك حادثة الإفك، حين أرجَفَ المنافقون على السيدة عائشة ﵂، اتَّهموها بالفاحشة مع صَفْوان بن المُعطِّلِ صاحب رسول الله ﷺ، وشاع الخبر في أرجاء المدينة، وتحدّث الناس بهذا الأمر المرعِب[1]، فأنزل الله تعالى براءتها في القرآن الكريم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ﴾ [النور: ١١/٢٤].

فالمقادير لا تجري إلا بخير، ولو اطَّلعتم على الغيب لاخترتم الواقع، فلا تُكثِر التَّذمُّر من مشكلة تطرأ في بيتك؛ لأن هذه المشكلة تخبئ وراءها خيراً كبيراً لك ولزوجك، إن اتقيتما وصبرتما، لكنكما لا تعلمانه، الله يعلمه ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦/٢]. وقد قال الصالحون: (وراء كلّ محنةٍ مِنحةٌ، ووراء كلِّ بليَّة عطيَّة، ووراء كلِّ عسر يسرٌ، ووراء كلِّ شِدَّة شَدَّة، ووراء كل ضيق فَرَج).

---

(١) ينظر الحديث عند البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عائشة ﵂، منعني طوله من إيراده هنا.

من فوائد المشكلات الزوجية

١- تكفير الذنوب

قال رسول الله ﷺ: «مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ[١]، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حَزَنٍ، وَلَا أذىً، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوكَةُ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ الله بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»[٢]. فالبلايا ممحاة للذنوب، وليست شراً كلّها.

٢- مضاعفة الأجور

ذَكَرَ الله تعالى امرأة فرعون في القرآن الكريم، فقال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتًا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحريم: ٦٦/ ١١]. ذُكِرَت في القرآن الكريم؛ لإيمانها العظيم، وصبرها، وتحمُّلها لمشكلات زوجها.

أقول: فرعون أسوأ زوج تُبتَلى به زوجةٌ، هو أكْفَر الكَفَرَة، وأظلَم الظَّلَمَة، ولَئِن تجرَّأ على رب العالمين، فلابد أنه كان يعتدي على أهل بيته، ويظلمهم ويسيء إليهم. لكن امرأته بإيمانها العظيم بالله تعالى، ثم بصبرها على زوجها صارت من سيدات نساء الجنة، وخلَّد الله اسمها في القرآن الكريم، وجعلها مثلاً

---

(١) النَّصَب: التعب، والوَصَب: المرض والسقم.

(٢) متفق عليه.

للذين آمنوا. قال رسول الله ﷺ: «سيدات نساء أهل الجنة: **مريم بنت عمران، ثم فاطمة بنت محمد ﷺ، ثم خديجة، ثم آسية امرأة فرعون**»[١].

فإن ابتُلِيَت امرأةٌ بزوج سيِّئ فلتذكر السيدة آسية. وإن ابتُلِيَ رجل بامرأة سيئة فليذكُر سيدَنا لوطاً عليه السلام، عندما كَفَرَت امرأته به، وتحالفت مع أعدائه عليه.

ذُكِر عن رجلٍ اسمه أبو عبد الله القرشي أنه كان من الصالحين، وكانت امرأته ذات خلق سيِّئ، فكان يصبر عليها، ويتحمَّل أذاها، ويحاول تهذيبها، لكنَّ المرأة بقيت على حالها السيِّئ، لا تتغيَّر ولا تتبدَّل. وفي يوم من الأيام ضاق صدره، ففرَّ من البيت هارباً؛ وخرج إلى الفلاة، وأوى إلى غارٍ فيه عابدان، جلس معهما يتعبَّد الله تعالى طيلة نهاره، ولمّا أمسَوا قام أحد العابدَين ودعا الله تعالى أن يرسِل لهم طعاماً ليأكلوا، فأرسل الله تعالى لهم رجلاً بوعاء فيه طعام يكفيهم، فشكَروا الله وجلسوا يأكلون. وفي مساء اليوم الثاني قام العابد الآخر، ودعا الله تعالى أن يرسِل لهم طعاماً ليأكلوا، فأرسل الله تعالى لهم رجلاً بوعاء فيه طعام يكفيهم، فأكلوا. ولما جاءت الليلة الثالثة قالوا لأبي عبد الله القرشي: قم فادعُ الله لنا أن يرزقنا الطعام، فقال لهم أبو عبد الله: إن حالي ليس كحالكم، ولا أستطيع أن أدعوَ كدعائكم، قالوا: لا بد أن تدعوَ لنأكل، وإلا فارحل عنا، فليس لك بيننا مقام، فألجؤوه للدعاء،

---

(١) أخرجه الطبراني في: الكبير والأوسط، والحاكم في: المستدرك.

وما إن أنزل يديه حتى أتى رجلٌ يحمل وعاءين فيهما طعام كثير. ذُهِل العابدان!! وقالا له: بماذا دعوتَ الله؟ فنحن نعبد الله منذ سنوات ولا يأتينا إلا وعاء واحد، وأنت لم تجلس معنا إلا يومين فأتاك وعاءان من الطعام!! أخبرنا بماذا دعوت!؟ قال أبو عبد الله القرشي: لم أزد على أني قلت: يا رب، أنا جاهل، وهؤلاء أولياء وصالحون، وأنا لست مثلهم، فأسألك بالدعاء الذي يدعوانك به أن تأتينا بطعام! ثم قال لهما: أخبراني الآن بماذا تدعوان؟ فقالا له: نسمع أن في هذه القرية القريبة رجلاً اسمه أبو عبد الله القرشي، وهذا الرجل مبتَلى بسوء خُلُق زوجته، وهو صابرٌ محتسب، وإنا لنقول: اللهم ببركة صبر أبي عبد الله القرشي على زوجته أنزل علينا طعاماً، فنأكل ببركة صبره عليها. فنظر أبو عبد الله القرشي إلى نفسه وقال: يا نفس، يسأل الصالحون الله تعالى بصبرك، وأنت تأبين الصبر؟! ثم عاد إلى بيته[1].

فالمشكلات الزوجية لها وجه إيجابي، لعلَّ الله تعالى يرفع بها مقام الرجل بصبره، أو يرفع مقام المرأة بصبرها. قال رسول الله ﷺ: **«أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثَل فالأمثل، يُبْتَلَى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صُلْباً اشتدَّ بَلَاؤُهُ، وإن كان في دينه رِقَّةٌ ابْتُلِيَ على قدْر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يَتْرُكَهُ يمشي على الأرض وما عليه خَطِيئَةٌ»**[2].

---

(١) هذه القصة لا أعلم إن كانت حقيقية، ولعلَّها تربوية.

(٢) أخرجه الترمذي وابن ماجه.

٣- التذكير بحقيقة الحياة الدنيا

فالدنيا دار تعب، وإنك لن تجد إنساناً حاز السعادة المطلقة في هذه الحياة؛ ترى رجلاً صحَّته جيدة، ورزقه وافر، لكنَّ امرأته سيئة. وترى آخَر امرأته صالحة، ورزقه وافر، لكنه مريض. وترى ثالثاً صحته جيدة وامرأته جيدة، لكن رزقَه ضيِّقٌ. وترى رابعاً صحته جيدة، وامرأته صالحة، ورزقه وافر، لكنه مبتلى بأولاده... وهكذا الحياة والأحياء.

طُبِعَت على كدرٍ وأنتَ تريدها صفواً من الأقذاء والأكدار
ومُكلِّف الأيام ضدَّ طباعها متطلِّبٌ في الماء جذوة نار

وللمشكلات فوائد أخرى لستُ بمعرض جمعها هنا.

القاعدة الثالثة:

(في حال حدوث مشكلة لا تلجأ إلى سبعة أمور: ١- الهجر وترك البيت. ٢- إدخال الأبناء في الخلاف. ٣- السِّحر والشعوذة. ٤-طلب الطلاق. ٥- الدُّعاء بالهلاك. ٦- التهديد بالزوجة الثانية. ٧- الضرب والسَّبُّ واللَّعن).

لا تجد منزلاً يخلو من المشكلات، فسيدنا محمد ﷺ خير خلق الله، وزوجاته الكريمات خير نساء الدنيا، وقع في بيوتهنّ خلاف، كالذي كان بينه ﷺ وبين السيدة عائشة رضي الله عنها[1]، وكذلك

(١) والحديث في مسند الإمام أحمد برقم (١٨٤١٨): (جاء أبو بكر يستأذن على النبيﷺ فسمع عائشة وهي رافعة صوتها على رسول اللهﷺ...).

اختلف سيدنا علي رضي الله عنه مع السيدة فاطمة رضي الله عنها[١].

ففي البيوت كلها خلافات: بيوت العلماء، والأطباء، والحرفيين، والأصحّاء، والمرضى...

فإن حَدَثَت المشكلة في البيت فلا تلجأ إلى سبعة أمور:

الأمر الأول: الهجر وترك البيت

من أكبر الأخطاء -إذا وقَعَت المشكلة- أن يترك الرجل بيته ويخرج، ثم لا يعود حتى ساعة متأخّرة من الليل، بحيث يعود بعد نيام الجميع، ظاناً أن المشكلة انتهت، والحقيقة أنها لم تنتهِ، وإنما هرب منها. ولعل المرأة تفعل مثل ذلك، تترك بيتها إذا عرضت مشكلة بينها وبين زوجها، وتمتنع عن التواصل معه، وتَدَع مقاليد الأمور لأمها وأبيها يحلّان المشكلة مع الزوج. ليحذر كل رجل وامرأة من أمثال هذه التصرفات؛ فالمشكلات لا تُحَل بمثل هذه الطرق، بل تزداد تعقيداً. فلا يصح ترك الزوجة بيتَها، بل المأمول منها امتصاص غضب الزوج، والإحسان إليه، إلى أن يهدأ فيتحاوران في المشكلة.

لا يستقيم ترك الزوج البيت، أو إخراج الزوجة منه، بل المرجو من الأزواج كلهم المحافظة على أسرار البيت داخله، وعدم إخراجها أو الخروج بها بعيداً عن بيت الزوجية.

ثم اعلم أن حل المشكلة الواقعة بين اثنين -زوج وزوجة- أسهل

(١) والحديث في الصحيحين: (إنَّ عليّاً خطب بنت أبي جهل، وعنده فاطمة...).

بكثير من حلها إذا انتشرت بين العائلتين، وشارك فيها أطراف أُخَر. وكم مرة تَخاصَم زوجان ثم أرادا الصلح؛ لكن طرفاً ثالثاً -كأمِّ الزوج أو أبيه، أو أمِّ الزوجة أو أبيها- منعه. والسبب أنهما أخرجا خلافهما أو خرجا به بعيداً عن بيتهما.

الأمر الثاني: إدخال الأبناء في الخلاف

كأن يقول الأب لأبنائه: أمُّكم فعلت كذا وكذا..، أو تحدِّث الأم أولادها بمشكلاتها مع أبيهم، أو يعلو صوتهما وشجارهما أمام الأبناء.

الأَوْلى حل المشكلات في الغرفة الخاصة، أو على انفراد، أو في وقتٍ يكون فيه الأولاد غائبين عن المنزل. أمّا إدخال الأبناء في الخلاف فيؤثر في نفسية الولد تأثيراً سلبياً، وربما حمله على ترك احترام الأبوين.

الأمر الثالث: السِّحر والشعوذة

تذهب بعض الزوجات عند حدوث مشكلة إلى عرَّافة لتكتب لها ورقة من أجل أن يحبّها زوجها، أو لتسقي زوجها شراباً وضعت فيه حجباً...، تظن بذلك أنها تنهي المشكلة، وربما فعل بعض الرجال ذلك. وكم وقع شرٌّ كبير من وراء هؤلاء السحرة؛ إذ السحر لا يقوم إلا على التعامل مع الجن الكفرة، والتقرب إليهم بأفعال كفر. فكلُّ مَن ذهب إلى ساحر فقد خالف سيدنا محمداً ﷺ في نص الحديث الصحيح: «**اجتنبوا السبعَ المُوبِقَات: الشركُ بالله، والسِّحْرُ، وقتلُ النفسِ التي حرم الله إلا بالحق، وأكلُ الربا،**

وأكلُ مالِ اليتيم، والتولّي يومَ الزَّحْف، وقذفُ المحصنات الغافلات المؤمنات»[١].

فليحذَر الزوجان أن يُضحكَ عليهما، ويُستخَفَّ بعقليهما ودينهما بأوراق مكتوب فيها طلاسم. فالمشكلة في البيت ليس سببها الجن والعفاريت، بل سببها جهل الزوج أو الزوجة، أو سوء خلق أحدهما، أو إساءة تصرفهما.. وعلاج المرض يكون بعلاج السبب، لا بالذهاب نحو السحر والحُجُب. قال رسول الله ﷺ: **«من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدّقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»**[٢]. وفي رواية: **«مَن أتى عرَّافاً فسأله عن شيء فصدَّقهُ لم تُقبَل له صلاة أربعين يوماً»**[٣].

الأمر الرابع: طلَبُ الطلاق

الطلاق -غالباً- هروب من المشكلة، وليس حلاً لها، والرجل الذي يلجأ إلى الطلاق لحلِّ المشكلة -من دون ضرورة- رجل عاجز؛ لأنه لو لم يكن عاجزاً لاستطاع حلَّها من دون اللجوء إلى الطلاق.

تزوج رجل امرأة ثم طلقها، وتزوج ثانية ثم طلقها، وتزوج ثالثة ثم طلقها، وتزوج رابعة فعندما أراد أن يطلقها استشار رجلاً، فقال

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه الطبراني في: الكبير، والحاكم في: المستدرك، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه مسلم.

له: لماذا تريد أن تطلق زوجتك؟ فقال له: النساء كلهن سيئات!! الحق أن مشكلة هذا الرجل ليست في النساء، بل فيه، إذ لم يكن مؤهَّلاً عقلياً ولا نفسياً ولا دينياً ولا أخلاقياً للزواج.

رجولة الرجل في تمسكه بحياته الزوجية، ومحافظته عليها، مع تصحيح الأخطاء فيها، أما لفظ الطلاق فيتقنه الأطفال كما يتقنه الرجال.

وبطولة المرأة في لزومها زوجها وأولادها، ومحافظتها عليهم، مع تصحيح الأخطاء، أما طلب الطلاق فهو ديدن المتسرعات الطائشات.

الأمر الخامس: الدعاء بالهلاك

قد تدعو امرأة على نفسها بالموت، وقد تدعو على زوجها به، وربما فعل هذا الرجل، والدعاء بالسوء مَنهيٌّ عنه شرعاً، قال رسول الله ﷺ: **«لا يَتمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الموتَ مِنْ ضُرٍّ أَصابَهُ، فَإِنْ كانَ لا بُدَّ فَاعِلاً فَلْيَقُلْ: اللَّهمَّ أَحْيِني ما كانَتِ الحْياةُ خَيْراً لي، وتَوَفَّني إذَا كانتِ الْوَفَاةُ خَيْراً لي»**[1].

والدعوة قد توافق ساعة إجابة، فيستجيب الله تعالى، ثم إذا دعت المرأة على زوجها بالهلاك -والعياذ بالله- أو دعا عليها بذلك، فهل تُحَلّ المشكلة؟! قال رسول الله ﷺ: **«لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»**[2].

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه مسلم وأبو داوود.

الأمر السادس: التهديد بالزوجة الثانية

كأن يقول الرجل لزوجته إنه سيأتي بضرة لها إن استمرت على حالها. تتأزم المشكلات بهذه الطريقة ولا تُحَلّ.

الأمر السابع: الضرب والسَّبُّ واللَّعن

ما كان رسول الله ﷺ طعّاناً ولا لعّاناً[١]، ومحرَّمٌ في شرعنا لعنُ المعيَّن، نعم، يجوز أن تقول: لعنة الله على الكافرين، ويجوز أن تقول: لعنة الله على الظالمين، ولكن يحرمُ أن تقول: لعنة الله على فلان بن فلان، أو أن يقول الرجل لزوجته: لعنة الله عليك، والعياذ بالله؛ لأن اللَّعن: هو الطرد من الرحمة، وإذا طُرِدت زوجتُك من الرحمة فسوف تَقلِب حياتك رأساً على عقب. ولعل زوجة تقول لزوجها: لعنة الله عليك، أو: الله يلعنك، والعياذ بالله، ثمّ بعد ذلك تطلب حلّ المشكلات؟

أقول: كيف ستُحَل المشكلات والزوج يلعن زوجته وهي تلعنه!!؟

ولما كانت حرمة المسلمين عظيمة قال النبي ﷺ: «**سُباب المسلم فُسوقٌ..**»[٢]. ولا ريب أن حرمة الأقارب أعظم، فكيف

---

(١) حديث: (لم يكن النبي ﷺ سبَّاباً ولا فحَّاشاً ولا لعَّاناً..) أخرجه البخاري، وحديث: «**إن الله تعالى لم يبعثني طعَّاناً ولا لعَّاناً ولكن بعثني داعية ورحمة..**» أخرجه البيهقي في: الشعب.

(٢) متفق عليه.

برجل يسب والد زوجته، فتسب أمَّه، ويسبُّ أخاها، فتسبُّ أخته...

إن حال هذا البيت يشبِه حال ساحات المصارعة ومشاحَنات الشوارع.

أما الضرب: فإن النبي ﷺ ما ضرب بيده امرأةً قط، عن عائشة ﵂ قالت: **(ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله..)**[١]، وقال: **«لا تَضْرِبوا إماءَ الله»، فجاء عمرُ ﵁ إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: ذَئِرنَ النساءُ على أزواجهن**[٢]**، فرَخَّصَ ﷺ في ضربهنَّ، فأطاف بآلِ رسول الله ﷺ نساءٌ كثير يَشْكُون أَزواجهنَّ، فقال رسولُ الله ﷺ: «لقد طاف بآل محمَّد نساء كثير يشكون أزواجهن، ليس أولئك بخيارِكم»**[٣]، فإن كان هناك رجل يضرب زوجته فليعلم أنه ليس من خيار هذه الأمة بشهادة رسول الله ﷺ. وفي الحديث: **«ما أكرم النساء إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم»**[٤]، وهذه شهادة ثانية من رسول الله ﷺ. فإذا ضرب زوجٌ زوجته أو أهانها، فسكتت الزوجة وحزنت، فليعلم أنه أخذ شهادة من رسول الله ﷺ بأنه لئيم.

هذه الشهادة من النبي ﷺ للرجال، فما بالك إذا كانت المرأة

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) ذَئِرَت المرأة على زوجها: إذا نَشَزَت واجترأت عليه.

(٣) أخرجه أبو داوود والحاكم.

(٤) أخرجه ابن عساكر في: تاريخه.

هي من تهين زوجها، أو تضرب زوجها، عياذاً بالله، قال رسول الله ﷺ: «لعن الله الرَّجلة[١] من النساء»[٢]، لعنها سيدنا محمد ﷺ نقلاً عن الله تعالى.

إنَّ المشكلة لا تُحَل بهذه الطريقة، قال رسول الله ﷺ: «يعْمِدُ أحدُكم فَيَجْلِدُ امرأتَهُ جَلدَ العبدِ، فلعلَّهُ يُضَاجِعُها من آخر يومه»[٣].

لذلك لا يُلجَأ إلى الضرب والشتم والإهانة في حلِّ المشكلة.

القاعدة الرابعة:

(واجه المشكلة بجلسة نقاش)

إذا كان هناك مشكلة بين الزوجين فلا بد أن تواجَه بجلسة نقاش بينهما، ولكن بشروط:

١- **أن يكون هذا النقاش على انفراد:** دون تدخل الأولاد والجوار والأهل...

٢- **بعيداً عن الغضب:** لأن الغضب يفسد الأمور، ويُسقِط الرجال، وهو عاطفة جيَّاشة تغطي العقل، فتمنع التفاهم والتخاطب. جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أوصني. قال له رسول الله ﷺ: «لا تغضب»، فاستَقَالَّها الرجل، ثم قال: يا رسول الله، أوصني. فقال رسول الله ﷺ: «لا تغضب» وفي المرة الثالثة قال

(١) أي: المترجِّلة التي تَتَشَبَّه بالرجال، في زيِّهم، أو مشيهم، أو رفع صوتهم...
(٢) أخرجه أبو داوود.
(٣) متفق عليه.

الرجل: يا رسول الله، أوصني. فقال رسول الله ﷺ: «ألا تفقه؟! لا تغضب»[1].

ولعل الغاضب يتكلم بكلام يندم عليه لاحقاً، وكثيراً ما يأتي العلماءَ والفقهاءَ أزواجٌ طلَّقوا زوجاتهم في حالة غضب، ثم ندموا أشدَّ الندم، وكثيرات هنَّ النساء اللواتي يصرخنَ في وجوه أزواجهنَّ في لحظة غضب، وبعد أن يهدأنَ يندَمنَ أشدَّ النَّدم.

حُدِّثتُ عن رجل ذي مكانة اجتماعية عالية، ضرب ولده على يديه في حالة غضب، لذنب قام به الولد، ومن شدة غضبه لم يضبط عدد الضربات، ولا قوتها، إلى أن استطاعت الأم سحب ولدها من بين ضربات أبيه. وفي صباح اليوم التالي لاحَظ الأبوان انتفاخَ كفي الغلام، مع ازرقاق واحمرار وألم شديد، فأخذاه إلى الطبيب الذي فاجأهما بقوله: إن الكفين بحاجة إلى قطع، وإلا انتشر التموُّت (الغرغرينا) في كامل العضو!! وبعد أن قُطعَت الكفَّان وانتهت العملية وصحا الغلام من التخدير قال لوالده: يا أبي، كيف سأكتب الآن وظائفي، كيف سأستخدم قلم الرصاص؟!

سؤال: كيف تستطيع أن تسيطر على الغضب؟

جواب: خمسة أمور تساعدك على السيطرة عليه:

أولاً- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم؛ قال تعالى: ﴿وَإِمَّا

(١) أخرجه بنحوه البخاري والترمذي.

يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف: ٧/ ٢٠٠].

وجاء في الأثر: (يقول الله تعالى: «**يا بن آدم، اذكرني حين تغضب، أذكرك حين أغضب، ولا أمحقُكَ فيمَن أَمْحَق**»)[(١)]. استعِذ بالله في لحظة الغضب، وبشكل دائم.

ثانياً- تغيير الحال؛ إذا كنتَ متحرِّكاً فقف، وإذا كنت واقفاً فاجلس -ولهذا لا تصح جلسة النقاش إذا كان الزوجان واقفين، بل لا بد من الجلوس والاطمئنان- وإذا كنت جالساً فاستلقِ. عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال لنا رسولُ الله ﷺ: «**إذا غضب أحدُكم وهو قائم فلْيجلسْ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع**»[(٢)].

ثالثاً- الوضوء؛ قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الغضبَ من الشيطان، وإنَّ الشيطان خُلِق من النار، وإنما تُطْفَأ النار بالماء، فإذا غضبَ أحدُكم فليتوضأ**»[(٣)].

رابعاً- السكوت؛ لا تتكلَّمْ وأنت غضبان، حتى لا تندم إذا ذهب غضبك، ودرِّب نفسك على الصمت كما تتمرن على الكلام.

خامساً- قال رسول الله ﷺ: «**من كظم غيظاً وهو قادرٌ على أن**

---

(١) عزاه في: (كنز العمال) لابن شاهين عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبنحوه عند الديلمي عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داوود.

(٣) أخرجه أحمد وأبو داوود.

يُنْفِذَه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيِّره من الحور العين يزوجه منها ما شاء»[١].

- سؤال: ما حكم طلاق الغضبان؟

- جواب: طلاق الغضبان يَقَع باتِّفاق الفقهاء؛ جاء في (الفقه الإسلامي وأدلته) للدكتور وهبة الزحيلي[٢]: (ولا يصح طلاق المجنون، ومثله المغمى عليه، والمدهوش: وهو الذي اعترته حال انفعال لا يدري فيها ما يقول أو يفعل، أو يصل به الانفعال إلى درجة يغلب معها الخلل في أقواله وأفعاله، بسبب فرط الخوف أو الحزن أو الغضب، لقوله ﷺ: **«لا طلاق في إغلاق»**[٣]، والإغلاق: كل ما يسد باب الإدراك والقصد والوعي، لجنون أو شدة غضب أو شدة حزن ونحوها...). يفهم مما ذكر أن طلاق الغضبان لا يقع إذا اشتد الغضب، بأن وصل إلى درجة لا يدري فيها ما يقول ويفعل ولا يقصده. أو وصل به الغضب إلى درجة يغلب عليه فيها الخلل والاضطراب في أقواله وأفعاله، وهذه حالة نادرة. فإن ظل الشخص في حالة وعي وإدراك لما يقول فيقع طلاقه، وهذا هو الغالب في كل طلاق يصدر عن الرجل؛ لأن الغضبان مكلف في حال غضبه بما يصدر منه من كفر وقتل نفس وأخذ مال بغير حق وطلاق وغيرها).

---

(١) أخرجه الترمذي وأبو داوود وابن ماجه.

(٢) ٧/ ٣٦٤.

(٣) أخرجه أبو داوود، والحاكم.

٣- لا تذكر الخلافات الماضية

ثالث شروط جلسة النقاش ألَّا تُذكر الخلافات القديمة، وألا تحصي، قال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة، لا تحصي فيحصي الله عليك**»[١].

أَسَرَّ النبي ﷺ إلى بعض زوجاته حديثاً، وأمرها ألَّا تخبر أحداً بحديثه، فأخبرت به[٢]، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾ [التحريم: ٦٦/٣]. يعني أن النبي ﷺ لَمَّح ببعض الحديث لزوجته ولم يذكره كله: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾، ومن ذلك ورد في الأثر: «ما استقصى كريمٌ قط»[٣]، أي إن الكريم لا يسجِّل العيوب كلها، ليأتي عند المشكلة بذكرها كاملة.

أخبرني رجل فاضل، قال: (في صباح عرسي جاء والدي إلى البيت، وقال لي: يا بني، اجلب لي ورقة وقلم رصاص وممحاة، قال: فنظرتُ إليه، وقلت له: من أين سأجلب الآن وفي هذا الوقت قلم رصاص وورقة وممحاة؟! فقال الأب: يجب أن تأتيني

---

(١) أخرجه أبو داوود والنسائي.

(٢) والحديث عند البخاري برقم (٦٣١٣)، ومسلم برقم (١٤٧٤).

(٣) أخرجه الدينوري في: المجالسة وجواهر العلم، ١/ ٢٨٧ من حديث سفيان بن عيينة، وعزاه السيوطي في: جامع الأحاديث، والمتقي الهندي في: كنز العمال لابن مردويه من حديث علي رضي الله عنه.

بها، قال: فلم أجد في البيت قلم رصاص أو ممحاة، ومن يخطر بباله أن يُخرِج مع جهاز عرسه قلم رصاص، فنزلتُ إلى البَقالَة وأحضرت قلم رصاص وممحاة، قال والدي: اكتب على الورقة أيَّ شيء تريده، فكتبت جملةً، فقال لي: امحُ ما كتبتَ، فمحوتها، ثم قال لي: اكتب جملة أخرى، فكتبت وقلت: يا أبي، أخبرني ماذا تريد؟!! فقال الأب: امحُ ما كتبتَ، قال: فمحوتُ، وأعاد أبي الكرَّة، فقلتُ له: أخبرني ما الذي تريد أن تقول يا أبتِ؟!! فقال الوالد: يا بني، الزواج يحتاج إلى ممحاة تمحو بها أخطاء زوجتك، فإذا محوتَ دام الودُّ والحب بينكما، أما إذا سجَّلْتَ كلَّ شيء على زوجتك وحفظته، فسيمتلئ دفتر الحياة بالسواد سريعاً).

نعم، في جلسة النقاش لا تذكر القصص والأخطاء القديمة.

ثم اعلم أن الصفة التي تعامل بها الخَلْق يعاملُك بها الحقّ، إذا عفوتَ عن العباد عفا الله عنك، وإذا تتبَّعت عثرات العباد تتبَّع الله عثراتك. قال رسول الله ﷺ: «**اللهم مَن ولي مِن أمرِ أمتي شيئاً فشقَّ عليهم فاشقُقْ عليه..**»[1].

٤- تكلَّم ودَعِ الآخرين يتكلمون

دَع زوجتك تتكلم، ودعي زوجك يتكلم، فالكثير من الناس يريد عند النقاش أن يتكلم وحده، ويريد من الآخرين أن يسمعوا ولا يتكلَّموا. قال بعض العرب: (لا تنكحوا من النساء ستة:

---

(١) أخرجه مسلم وأحمد.

لا أنَّانة، ولا منَّانة، ولا حنَّانة، ولا تنكحوا حدَّاقة، ولا برَّاقة، ولا شدَّاقة)، والشدَّاقة هي كثيرة الكلام[١]. فلا بد من أن يتكلم الزوجان ويستمع أحدهما للآخر.

القاعدة الخامسة:

(الوقت كفيل بحلِّ عددٍ من المشكلات)

فليس من الضروري أن تُحَلَّ المشكلةُ الآن، بل نضع حلولاً مقترحة عاجلة أو آجلة، إذ غالباً ما يتغيَّر رأي أحد الزوجين، أو تتغير فِكرتهما عن المشكلة. لنَدَع الوقت يأخذ دوره، ونبين وجهة نظرنا، ونسمع وجهة نظر الآخر، ولنذكر أن الله تعالى خلق السماوات والأرض في ستة أيام، مع أنه -جل جلاله- قادر على خلقهن بكلمة: (كن)، ونصر الله تعالى نبيَّه محمَّداً ﷺ بعد ثلاث وعشرين سنة من البعثة، مع أنه -جل جلاله- قادر على أن ينصره من أول دقيقة، لكن علَّمنا -جلّ وعلا- بذلك أن الأمور تجري بمقادير.

إذن، فالوقت مهمٌّ لحلِّ عدد من المشكلات. فلا يصح أن نقول: إنه يجب أن تُحَلَّ المشكلات كلُّها في هذه الجلسة، أو أن نفترق، بل إذا حُلَّ نصف المشكلة أو ربعها قبِلنا، وتركنا الوقت يأخذ دوره لحلِّ الباقي. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٦٥]، أي إذا لم يأتِ الأرضَ وابلٌ

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي: ٢/ ٣٨.

وهو المطر الشديد، فَطَلٌّ وهو المطر القليل. فلا يصح أن نقول: إما أن تمطر المطر الكثير أو لا تمطر أبداً!!

أيها الزوجان: لا تضعا الخيارات الصعبة الفاصلة، ويُلزِم أحدُكما بها الآخر، بل ابحثا عن خيارات وحلول وسطيّة.

القاعدة السادسة:

(التعايش مع المشكلة أحد أنواع الحل)

فأحياناً تجد الأمر مغلَقاً، والحلَّ مستحيلاً، فعليك أن توطِّن نفسك للتعايش مع المشكلة، وأنتَ مأجورٌ على صبرك.

هناك أمراضٌ لا دواء لها، كمرض السكري مثلاً، تجد المريض يتعايش مع هذا المرض، ويتقبل الحياة كما هي، وكذلك إذا رأى أحد الزوجين من الآخر أمراً لا يحبه، ولا يتقبَّله، ولم يستطع تغييره فليدرِّب نفسه على التعايش والتأقلم معه - مادام الأمر ليس حراماً ولا كفراً بواحاً، ولا هو من أسس الحياة الزوجية- وينال بذلك أجرَ الصَّبرِ.

على ألّا تنسى أن باباً لا يغلق دونك في ليل ولا في نهار، يأتيك منه الفرج من حيث تدري أو لا تدري، إنه باب الدعاء والالتجاء إلى الله.

القاعدة السابعة:

(استشر ثقةً بعيداً)

استشر مَن تثق بدينه وعلمه وأخلاقه، تثق بخوفه من الله، وبخبرته الحياتية.

ومن المهم أن يكون بعيداً عن أسرتك، فلا أنصح زوجاً أن يستشير والده أو والدته في حلِّ مشكلة بينه وبين زوجته؛ لأن العاطفة ستتدخل، وكذلك الفتاة، لا يُنصَح أن تستشير أمها بمشكلة بينها وبين زوجها، بل لتستشر امرأة بعيدةً، موثوقةً، عالمة عابدة ولها خبرة في الحياة.

فإن كان في العائلة كبير -كجدٍّ أو عمٍّ- يوثَق بعقله وخبرته فيُستَشار.

ومن المتفق عليه ألّا يُستَشار الرجل الفاسق غير الثقة الذي لا يخاف الله ولا يرعى حرماته.

هذه سبع قواعد مهمَّة في احتواء المشكلات الزوجية:

١- أصلح ما بينك وبين الله يصلح الله ما بينك وبين زوجك.

٢- ليست المشكلات الزوجية شراً كلُّها، بل ربما كان فيها خير.

٣- في حال حدوث مشكلة لا تلجأ إلى سبعة أمور.

٤- واجه المشكلة بجلسة نقاش.

٥- الوقت كفيل بحلِّ عددٍ من المشكلات.

٦- التعايش مع المشكلة أحد أنواع الحل.

٧- استشر ثقةً بعيداً.

والله أعلم.

نسأل الله تعالى أن يحفظنا ويحفظ أزواجنا ويحفظ أهلينا ويسلِّمنا.

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٢٥/ ٧٤].

آمين.

المحاضرة السابعة عشرة

نقاط في ميزانية الأسرة

يرعى الإسلام مصالح الحياة الدنيا كما يرعى مصالح الحياة الآخرة، إنه دينٌ يصحح العقيدة، ويرسم الشريعة، ويهذّب الأخلاق.

وفي شريعة الإسلام حديث طويل عن المعاملات المالية، فلا يخفى على مُطَّلع أو باحث في الفقه الإسلامي أن المال والمعاملات المالية قد أخَذَت من مادة الفقه الإسلامي خُمُسَها، حيث إنها خمسة أقسام:

القسم الأول: العبادات.

والقسم الثاني: المعاملات المالية.

والقسم الثالث: ما يتعلق بنظام الأسرة.

والقسم الرابع: القضاء والحدود والجنايات.

والقسم الخامس: السياسات الشرعية، والعلاقات الدولية، والحروب والسلام.

فخُمُس المادة الشرعية متعلقٌ بالمال، لذلك وجب على المسلم أن يضبط عباداته ويضبط معاملاته المالية ولاسيما في أسرته.

ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى الاعتناء بميزانية الأسرة؛ ذلك لأن الدخل الشهري لمعظم شباب اليوم دخلٌ متوسط أو أقل، وهذا يعني أن الشاب لا بد أن يُحسِن إنفاق هذا الدخل حتى لا يحتاج إلى مد يده لأحد من الناس، وأن الفتاة بحاجة إلى جهد مضاعف لتحسن تدبير المال، وما أحوج شباب اليوم إلى زوجات مُدَبِّرات، نَشَأن في بيوتٍ تحسِن التدبير، فلا يكفي أن تحبه ويحبها، وأن تغمره بعاطفتها أو يغمرها بها، بل لا بد مع ذلك من حسن كسب المال وحسن إنفاقه.

تتفرَّق بعض الأسر بسبب سوء استخدام المال، إمَّا مِن قِبَل الزوج بسبب سوء كسبه، أو مِن قِبَل الزوجة بسبب سوء إنفاقها، لذلك كانت محاضرة (ميزانية الأسرة) مهمَّة في هذه الدورة.

تختلف نفقات الشاب بعد زواجه عما قبله، وكذلك الفتاة؛ تختلف نفقاتها في بيت زوجها عما كانت عليه في بيت أهلها، وتخطئ الزوجة كثيراً عندما تقارن زوجها بأبيها من الناحية المادية، فعمر أبيها ستون سنة مثلاً، وما يملكه من المال -غالباً- يكون أكثر مما يملكه الزوج الذي لم يتجاوز الثلاثين من العمر، وما جمعه الأب من خبرات الحياة يفوق -غالباً- ما يحمله الزوج من هذه الخبرات، لذلك تخطئ الزوجة عندما تطلب من زوجها أن ينفق على بيته كما ينفق أبوها على بيته، والصواب أن تذكر أنّ أباها عندما كان في عمر زوجها كان دَخْلُه مشابهاً لدخل زوجها اليوم، وقد تحسَّن الآن دخله بحسن تدبيره وصبر أمها، وكذا سيكون حال زوجها بعد ثلاثين سنة إن أحسن التدبير، وصبرت كما صبرت أمها، أما الآن فلا مقارنة بين بيت الزوج وبيت الأهل.

وكذلك يخطئ الزوج كثيراً إذا قارن زوجته بأمّه في تدبيرها المنزلي، فعمر الأم خمسون سنة مثلاً أو أكثر، وقد خَبِرَت الحياة، أما الزوجة فلا تبلغ نصف عُمر الأم غالباً، مما يعني أن خبرتها الحياتية لا تبلغ نصف خبرة الأم.

في المحاضرة ثماني نقاط:

النقطة الأولى: الزوج مسؤولٌ عن الإنفاق، والزوجان مسؤولان عن حُسن التدبير

تقع مسؤولية نفقة البيت -شرعاً وقانوناً وعرفاً- على عاتق الرجل، ولئن أنفَقَت الزوجة شيئاً من المال في البيت فإنما تُنفِقه على سبيل الهدية، ولها ألّا تدفَع شيئاً من نفقات البيت، ولا يليق بمكانة الزوج ورجولته أن يأخذ دخل زوجته أو مصروفها من أبيها لينفقه على بيته، فإن فعلت الزوجة ذلك طواعية منها فذلك كَرَمُ خُلُقٍ، فالزوج هو المسؤول عن الإنفاق، وسوف يُعانُ عليه بإذن الله، والزوجان معاً مسؤولان عن حُسن التدبير للمال. قال الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٤/ ٣٤]. توضح الآية أن الله تعالى أناط القوامة بالرجل لسببين اثنين:

السبب الأول: الإنفاق.

السبب الثاني: أنه سبحانه خصَّ الرجل بصفات تصلُحُ للقوامة.

وقال الله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ

فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الطلاق: ٦٥/٧]، فإن كنتَ غنياً فأنفق من سَعَتك، وإن كنتَ فقيراً فأنفق مما عندك، والله لا يكلِّفك إلا طاقتَك، لكن في كلا الحالين تجب -أيها الرجل- النفقة عليك. قال رسول الله ﷺ في بيان حقوق الزوجات على الأزواج: «**وَلَهُنَّ عليكم رِزْقُهُنَّ وكسوَتُهُنَّ بالمعرُوف**»[1]. يجب على الرجل شرعاً أن ينفق على إطعام زوجته، وعلى شرابها، وعلى كسوتها، وعلى سُكناها بالمعروف. قال النبي ﷺ: «**حقهنَّ عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن**»[2].

النقطة الثانية: الزوج مأجورٌ على الإنفاق، والزوجان مأجوران على حسن التدبير

ينال الزوج بإنفاقه أجراً عظيماً في الآخرة، وقد سمعتُ أن الزوجين في الغرب إذا ذهبا إلى مطعم ليأكلا، ثم طلبا فاتورة الطعام، راح كلٌّ منهما يدفع ثمن الطعام الذي أكله بمفرده، ولا يتدخل بثمن طعام زوجه.

أما في الإسلام فالرجل ينفق على زوجته، وينفق على أولاده ينتظر أجراً من الله على هذه النفقة. قال رسول الله ﷺ: «**أفضلُ دِينار ينفقُه الرجل: دينار يُنْفِقهُ على عياله، ودِينار يُنفِقُه الرجل على**

(١) أخرجه مسلم وأبو داوود.

(٢) أخرجه الترمذي.

دَابته في سبيل الله، ودينار يُنْفِقُه على أصحابه في سبيل الله». قال أبو قِلابة -أحد رواة الحديث-: بدأ بالعِيال، وأيُّ رجل أعظم أجراً من رَجل يُنْفِقُ على عيال صغار، يُعِفُّهم الله ويَنفَعهم به، ويغنيهم ويعينهم الله به؟!(١).

من أعظم الصدقات أن يأتي الرجل بحاجيات بيته، وطعام أهله، أن يقدِّم لزوجته مالاً لتشتري لنفسها ثوباً جديداً، أن يَتَبَنَّى دراسة ابنه، أن يرعى ابنته في نفقتها قبل زواجها، أن يجهِّز ابنته للعرس... قال رسول الله ﷺ: «وَلَسْتَ بِنَافِقٍ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ الله إِلَّا آجَرَكَ الله بِهَا حَتَّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ»(٢)، فإن كنت مأجوراً على اللقمة تجعلها في فم امرأتك فما بالك بطعام سائر يومها؟!

فالرجل مأجورٌ على نفقته، والمرأة مأجورةٌ على حسن التوفير والتدبير، مأجورة كلَّما حافَظَتْ على النعمة داخل البيت، كلَّما طَهَت الطعام، وخاطت الثياب...، كلما أحسنت تدبير المال.

النقطة الثالثة: الإسراف ممقوتٌ، والبخل مذمومٌ، والمشروع ما بينهما

لا يحسُن بالزوج أن يسرف في نفقة البيت، ولا أن يبخل على أهل بيته، بل أن يتوسط بينهما. قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ٢/ ١٤٣].

---

(١) أخرجه مسلم والترمذي.

(٢) البخاري.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ١٧/ ٢٩].

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾، أي لا تكن بخيلاً شحيحاً.

ينفق بعض الرجال ما شاء على نفسه، فإذا أراد الإنفاق على أهل بيته ضيَّق وقتّر، يعيش أولاده الشدة، وهو يعيش البهجة والرخاء، وتعيش زوجته في قلة، ويحيا في بحبوحة!! قال رسول الله ﷺ: «**خَلَقَ الله جنة عدن بيده، وخَلَقَ فيها ثمارها، وشقَّ فيها أنهارها، ثم نظر إليها، فقال: تكلَّمي، فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾** [المؤمنون: ٢٣/ ١]، **فقال: وعزتي وجلالي، لا يجاورني فيكِ بخيل**»[1]. قال رسول الله ﷺ: «**السَّخِيُّ قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجَنَّةِ، بَعِيد من النار. والبَخِيلُ بَعِيد من الله، بَعِيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار**»[2]. فالرجل البخيلُ غير محبوب في بيته ولا خارجه، «**وأي داء أدوى من البخل**»[3]. ثم بعد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ١٧/ ٢٩].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٢٥/ ٦٧]. وقال: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ

---

(١) أخرجه الحاكم والطبراني وابن أبي شيبة.

(٢) أخرجه الترمذي والطبراني والبيهقي.

(٣) البخاري في: الأدب المفرد، والحاكم.

زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ [الأعراف: ٧/ ٣١].

فالإسراف مذموم، والبخل ممقوت، والشرع وَسَطٌ بينهما.

النقطة الرابعة: المحافظة على قليل النعمة كما نحافظ على كثيرها

عن عائشة ﵂ قالت: دخل عَلَيَّ رسول الله ﷺ، فرأى كسرة خبز مُلقاة، فمشى إليها، فمَسَحَها، وقال: «**يا عائشة، أحسني جوار نِعَمِ الله، فإنها قلَّما نَفَرَت عن أهل بيت فكادَت أن ترجِعَ إليهم**»[(١)].

هذه العادة موجودة عندنا، فنحن إذا رأينا كسرة خبز في الطريق رفعناها، ولكن العجب من بعض النساء في بيوتهن يلقين بقايا الطعام في القمامة، ويتركن أضواء المنزل منارة من دون حاجة، ويتكلمن على الهاتف الساعات بغير ضرورة، ثم ترى إحداهن ترفع كسرة الخبز عن الأرض!!

كان النبي ﷺ إذا أَكَلَ طعاماً لعِق بأُصبعه آخر ما في الإناء، وكان يقول: «**إذا أكَلَ أحدُكم طعاماً فلا يمسح أصابعه حتى يَلْعَقَها أو يُلْعِقَها**»[(٢)]، وهذا تدبير من النبي ﷺ يعلِّمنا فيه كيف نحافظ على قليل النعمة.

---

(١) أخرجه الطبراني والبيهقي.

(٢) متفق عليه.

ربما طَهَت امرأة في بيتها طعاماً يكفي قبيلة، ولا يوجد في المنزل غير خمسة أشخاص، يأكلون منه في اليوم الأول، والثاني، ثم في اليوم الثالث يملُّونه فيرمون به. ولعل أخرى تترك الطعام خارج الحافظة (البراد)، فتجده عند الصباح قد تَلِف، فترميه.

مطلوب في ميزانية الأسرة المحافظة على قليل النعمة كما نحافظ على كثيرها. فقطعة الثياب التي صغرت على الولد لِمَ ترميها الأم؟! لو أنها ترَكَتها لأخيه الصغير فلبسها حين تصلُح له، أو بحثت في عائلتها عمَّن تناسبه فتهديه إياها لكان خيراً لها؟! يقول أهل الشام في أمثالهم الشعبية: (الرجل جنّى والمرأة بَنَّى)، أي: الرجل يجني المال والمرأة تبني بهذا المال. لذلك مطلوب من النساء أن يبذلن جهداً في المحافظة على النِّعم وتدبيرها كما يبذل الرجال جهدهم خارج البيت في جَنْيِها، وبذلك يتحسن الأداء المالي للأُسرة.

النقطة الخامسة: التنفير من الاستدانة

إياكَ أن تتعوَّد -أيها الرجل- على الدَّيْن، وإياكِ -أيتها المرأة- أن تدفعي زوجك نحو الدَّين، وطِّني نفسك أن يكون الخَرْج متناسباً مع الدَّخْل، وإنَّ من جملة الدَّين في هذه الأيام الشراء بالتقسيط. قال النبي ﷺ: **«يُغْفَرُ للشهيد كلُّ ذَنْب إلا الدَّيْنَ»**[1]، وقاس العلماء على الدين سائر حقوق العباد.

وكان النبي ﷺ أول أمره لا يُصلي على رجلٍ مات وعليه دَين لم

(١) أخرجه مسلم.

يترك له وفاءً[١]. عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: (كنا جلوساً عند النبيِّ ﷺ، إذْ أُتِيَ بجنازةٍ، فقالوا: صَلِّ عليها، فقال: **«هل عليه دَيْنٌ؟»** قالوا: لا، قال: **«هل ترك شيئاً؟»** قالوا: لا، فصلى عليه، ثم أُتيَ بجنازةٍ أخرى، فقالوا: يا رسولَ الله، صَلِّ عليها، قال: **«هل تَرَكَ شيئاً؟»** قالوا: لا، قال: **«فهل عليه دَين؟»** قالوا: ثلاثةُ دنانير، قال: **«صَلُّوا على صاحبكم»**، فقال: أبو قتادة: صلِّ عليه - يا رسولَ الله- وعلَيَّ دَيْنُه، فصلَّى عليه)[٢]. وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: (صلى رسول الله ﷺ ذات يوم، فلما أقبل قال: **«ههنا من بني فلان أحد؟»** فسَكَت القوم، وكان إذا ابتغاهم بشيء سكتوا، ثم قال: **«ههنا من بني فلان أحد؟»** فقال رجل: هذا رجل، فلان، فقال: **«إن صاحبكم قد حُبِسَ على باب الجنة بدين كان عليه»**، فقال رجل: عليَّ دينه، فقضاه)[٣].

الدَّين هَمٌّ في الليل، وذلٌّ في النهار، يهمّك في الليل وفاءُ حقوق العباد، وتختبئ في النهار من الدائنين. إذن، لا تتعود الدَّين ما لم تكن ضرورة قصوى، كحال شاب له عمل وظيفي، ودخْله (١٢٠٠٠) ليرة سورية، وهو يريد أن يشتري بيتاً، وليس عنده وارد سابق من أبيه أو من أمّه، فلا مانع من أن يستدين لشراء بيت، وكذلك الأمور الضرورية الأخرى كأثاث البيت.

---

(١) أخرجه النسائي في: الكبرى.

(٢) أخرجه البخاري والنسائي.

(٣) أخرجه الحاكم.

أما أن يستدين الرجل للكماليات والتحسينيات فهذا أمر لا يرضاه الشرع ولا يستحسنه العقل، كمن استدان نفقات رحلة سياحية، أو اقترض لتغيير هاتفه المحمول...، ونحو ذلك.

وإن أَكَلَ المدين أموال الدائنين ظلماً فقد أصابه قول رسول الله ﷺ: «**من أَخَذَ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله**»[١].

كان في الشام سجن يسمى (سجن الأموات): إذا مات رجل عليه دين لم يلحدوه قبره، بل غسّلوه وكفّنوه ووضعوه في كوَّة في جدار المقبرة من جهة الطريق، حتى إذا مرَّ الناس به وشاهدوا حاله سألوا عن شأنه؟ فقيل لهم: عليه دَين، ولا نستطيع أن ندفنه؛ لأن المدين لا يدخل الجنة حتى يُقضَى دينه، فيتصدق الناس عليه حتى يقضى عنه الدين، وعند ذلك يأخذونه ويدفنونه في قبره.

عن محمد بن جحش رضي الله عنه قال: (كنا جلوساً عند النبيِّ ﷺ فرفع رأسه إلى السماء، ثم وضع يده على جبهته، ثم قال: «**سبحان الله ماذا نَزَل من التَّشْديد!!**» فسكتْنا وفَزِعْنا، فلما كان من الغَدِ سألتُه: يا رسول الله، ما هذا التشديد الذي نزل؟ فقال: «**والذي نفسي بيده، لو أن رجلاً قُتِلَ في سبيل الله، ثم أُحْيِيَ، ثم قُتِلَ، ثم أُحْيِيَ، ثم قُتِلَ وعليه دَيْنٌ، ما دخل الجنة حتى يُقضَى عنه دَينُه**»)[٢].

---

(١) أخرجه البخاري وابن ماجه.

(٢) أخرجه النسائي.

ثم إني أخاطب أيضاً آباء البنات الذين يتقدَّم الخاطبون لبناتهم، فيطلبون من الخاطب مهوراً عاليةً، يعجز عن جَمعِها الشاب، ويقولون له: لا بأس، سنجعل المهر غير مقبوض، وما هو إلا (حبر على ورق!!). أقول: المهر في الشرع لا يكون حبراً على ورق، بل هو حق للمرأة يؤديه إليها زوجها ساعة العقد، فإن كان معسراً حينها بقي المهر ديناً لازماً في ذمته، ولها أن تطالبه به متى شاءت، ولو أنها لم تطالبه به فإنه ملزَم شرعاً وقانوناً بأدائه عاجلاً أم آجلاً[1].

ويلحق بالدين الشراء بالتقسيط، وإياك أن تخضع للدعايات المتكررة التي تدعو إلى استبدال أثاث جديد للمنزل بأثاثه القديم تقسيطاً، بل قل ما قال رسول الله ﷺ: «**لا أشتري شيئاً ليس عندي ثمنه**»[2]، وهذه قاعدة اقتصادية مهمة جداً.

النقطة السادسة: المحافظة على الأصول الثابتة

من الأخطاء الكبيرة عند بعض الأُسَر تبديد الأصول الثابتة التي تملكها، فالبيت أصلٌ ثابت؛ لأنه مكان السكن، والمتجر أصلٌ ثابت؛ لأنه مكان العمل، وأمثال هذه الأمور لا تباع لأجل تمويل مشروع تجاري مهما كان مردوده.

---

(١) قال د. وهبة الزحيلي في: الفقه الإسلامي وأدلته: «نص القانون السوري (م:٥٣) على أنه: يجب للزوجة المهر بمجرد العقد الصحيح، سواء أسمي عند العقد أم لم يسمَّ أم نفي أصلاً».

(٢) أخرجه أبو داوود.

يغرَّر بالشباب اليوم حين يقدَّم لأحدهم فكرة مشروع ذي أرباح سريعة مغرية، وربما باع أحدهم بيته ليثمّر ثمنه في ذلك المشروع، واستأجر بيتاً للسكنى، وإذا به يصعق بعد حين بعدم نجاح المشروع، وخسارة جزء كبير من رأس المال، وربما خسارته كلَّه، فيندم في ساعة لا ينفع فيها ندم إذ باع بيته وخسر ثمنه وسكن في بيت بالأجرة.

فالأصول الثابتة لا تباع للتجارة، إلا أن توضع في أصول ثابتة مثلها أو خير منها. قال رسول الله ﷺ: «**لا يُبارَك في ثمن أرض ولا دار لا يُجعَلُ في أرضٍ ولا دار**»[1]. أي إذا أردتَ بيع بيتك فضع ثمنه في ثمن بيت آخر، وإلا لم يُبارَك لك في هذا المال. وقال النبي ﷺ: «**من باع منكم داراً أو عقاراً فليعلم أنه مالٌ قَمِنٌ**[2] **ألَّا يبارَك له فيه، إلا أن يجعله في مثله**»[3].

وهذا مثال آخر:

يريد رجلٌ أن يستبدل ببيته بيتاً أكبر، فيأتيه مَن يشتري البيت بالثمن المناسب، وبعد أن يتفقا على البيع ويَكتبا العقد ويستلم البائع العربون، يطلب مهلة ثلاثة أشهر للتسليم يبحث خلالها عن البيت الأكبر، لكنه يفاجأ بعد شهر من البحث بارتفاع الأسعار، وربما يحل وقت التسليم دون أن يجد البيت المنشود، فتجده نادماً

---

(١) أخرجه أحمد.

(٢) قَمِن: جدير.

(٣) أخرجه أحمد وابن ماجه.

لأنه خسر بيته الأول، ولم يستطع أن يشتري بيتاً أحسن منه، ولربما اضطر إلى شراء بيت مساوٍ لبيته الأول، أو هو أصغر منه.

كان المفروض على هذا الرجل أن يجد أولاً البيت البديل المناسب، ثم يلجأ إلى بيع بيته.

أُخبِرتُ أن أحد التجار باع بيته بعشرين مليون ليرة سورية لكي يمول بثمنه صفقة تجارية، على أمل أن يتضاعف هذا المبلغ بعد وقت قصير، ولكنّ الصفقة خسِرت، وبقي هذا التاجر في الشارع من دون بيت يأوي إليه؛ لأنه فرَّط في أصلٍ ثابت.

لذلك كان من أهم نقاط ميزانية الأسرة: المحافظة على الأصول الثابتة.

النقطة السابعة: ترك التَّرف

الترف هو الإغراق في التنعُّم، كأن يضع شاب ساعة من ذهب، أو يكتب بقلم من ذهب، أو يضع خاتماً من ذهب، أو يستخدم أواني الذهب والفضة أو يعرضها في بيته...، وهذا كلُّه حرام. قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الذي يأكل ويشرب في آنية الفضة والذهب إنما يجرجر في بطنه نار جهنم»**[1]. قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: **«نهانا النبي ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة، وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج، وأن نجلس عليه»**[2]. عن عليّ بن

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

أبي طالب ﷺ قال: (رأيتُ رسولَ الله ﷺ أخذ حريراً فجعله في يمينه، وذهباً فجعله في شماله، ثم قال: «**إنَّ هذين حرام على ذُكورِ أُمَّتي**»)[1].

لا يريدنا ربُّنا أن نكون من المترفين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٣٤﴾ [سبأ: ٣٤/٣٤]. وغالب الذين عادَوا الرسُل وحاربوهم هم من المترَفين المتخمين، الغارقين في لذائذ الدنيا. والترف لا يأتي بخير، والمترفون في الغالب لا ينجحون، لأنهم لا يستطيعون تحمُّل المسؤولية، ولا هم اعتادوا عليها، فلا تربِّ نفسك وأبناءك على الترف.

ويختلف معيار الترف من إنسان لآخر، فالشخص الذي يملك مئة مليون له ترفه الخاص، والشخص الذي يكون دخله عشرة آلاف ليرة له ترف يتناسب مع دخله، فمن كان دخله الشهريّ عشرة آلاف واشترى هاتفاً محمولاً بثلاثين ألف ليرة فعمله عمل المترفين، ومن كان دخله الشهريّ عشرة آلاف وتراه لا يشتري الملابس إلا ذات الأسماء التجارية العالمية المشهورة فعمله عمل المترفين.

شاب دخله الشهريّ عشرة آلاف لا يأكل إلا الوجبات الجاهزة!!

موظفة دخلها ستة آلاف ليرة، تنفق شهرياً أربعة آلاف ليرة على مساحيق التجميل والعطور!!

---

(١) أخرجه أبو داوود والنسائي.

موظف دخله الشهري ثمانية آلاف ليرة، ينفق شهرياً ثلاثة آلاف على التبغ!!

كل هذه الأفعال أفعال المترفين؛ إذ ليس الترف أمراً مقصوراً على مالكي الملايين، بل تجد أناساً بسطاء لكنهم مترفون.

فتركُ الترف مبدأ لا بد من التزامه في الأسرة.

النقطة الثامنة: ثماني نصائح في التسوق

تقام في العالم اليوم دورات مبيعات، يتدرب الموظف فيها على تسويق المبيعات، وهدف دورات المبيعات إقناع المرء بشراء السلعة ولو لم يكن بحاجة إليها، فليحذر كلُّ رجل وامرأة عند ذهابهما إلى السوق أن يشتريا سلعة لا حاجة لهما بها، وهذي ثماني نصائح تنفعك كثيراً في التسوق:

١- اكتب الأشياء التي تريد شراءها قبل الذهاب إلى السوق، ورتِّبها حسب الأهمية؛ لأن الذي ينزل إلى السوق كلَّما وقعت عينه على شيءٍ جميل أراد شراءه، وربما نسي شراء حاجته الأساسية التي نزل من أجلها.

٢- خصِّص مبلغاً معيَّناً للتسوق.

٣- اختر وقتاً مناسباً للتسوق كوقت التخفيضات، ومكاناً مناسباً للتسوق كأسواق بيع الجملة.

٤- لا تشترِ ما هو فوق الحاجة ولو كان زهيد الثمن.

٥- لا تلتفت كثيراً إلى الإعلانات المغرية، بل عليك التركيز على ما كتبتَه في ورقتك، وهذا خاصة للنساء؛ لأن ٨٠٪ من الإعلانات التجارية موجَّهة للنساء.

٦- السوق ليس متَنَزَّهاً، ولا مكاناً للترفيه وتضييع الأوقات ولعب الأطفال.

٧- لا تنسَ دعاء دخول السوق: **«لا إلهَ إلا الله وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، لَهُ المُلكُ ولَهُ الحَمْدُ، يُحيي ويُمِيتُ، وهوَ حيٌّ لا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الخيرُ، وهوَ على كلِّ شيءٍ قَديرٌ»**[1]. **«بسم الله، اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرِّها وشرِّ ما فيها، اللهم إني أعوذ بك من يمينٍ فاجرة أو صفقة خاسرة»**[2].

٨- لا تذهب إلى السوق وأنت جائع. فالجائع يشتهي ما يراه من الطعام، وإغراؤه بما يؤكل سهل.

ختاماً، فهذه مجموعة أحاديث نبوية وآثارٍ اقتصادية تعلِّمنا التعامل مع المال.

قال رسول الله ﷺ: **«ما عالَ من اقتصد»**[3].

عالَ: افتقر، أي: لا يفتقر من اقتصد وأحسن إنفاق المال والتصرف به.

---

(١) أخرجه الترمذي.

(٢) أخرجه الحاكم.

(٣) أخرجه أحمد والطبراني.

قال رسول الله ﷺ: «**إن الهديَ الصالح، والسَّمتَ الصالح، والاقتصاد، جزءٌ من خمسة وعشرين جزءاً من النبوّة**»[١].

الهديُ الصالح والسَّمت الصالح: السيرة الحسنة، والخلق الحسن.

كان النبي ﷺ يدعو فيقول: «**اللهم أسالك القصد في الفقر والغنى**»[٢].

قال سيدنا أبو بكر رضي الله عنه: «**إني لأُبغِض أهلَ بيتٍ ينفقون رزق أيامٍ في يومٍ واحد**».

قال سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لابنه: «**يا بني، كُلْ في نصف بطنك، ولا تطرح ثوباً حتى تستخلِقَه**[٣]**، ولا تكن من قومٍ يجعلون ما رَزَقَهم الله في بطونهم وعلى ظهورهم**»[٤]، أي: ينفقون جميع دَخْلِهم على المطعم والملبس.

وبعد، فهذه ثماني نقاط في ميزانية الأسرة:

النقطة الأولى: الزوج مسؤولٌ عن الإنفاق، والزوجان مسؤولان عن حُسن التدبير.

النقطة الثانية: الزوج مأجورٌ على الإنفاق، والزوجان مأجوران على حسن التدبير.

---

(١) أخرجه أبو داوود.

(٢) أخرجه بنحوه أحمد والحاكم.

(٣) أي: حتى يصير رثاً بالياً.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة مختصراً.

النقطة الثالثة: الإسراف ممقوتٌ، والبخل مذمومٌ، والمشروع ما بينهما.

النقطة الرابعة: المحافظة على قليل النعمة كما نحافظ على كثيرها .

النقطة الخامسة: التنفير من الاستدانة.

النقطة السادسة: المحافظة على الأصول الثابتة.

النقطة السابعة: ترك التَّرف.

النقطة الثامنة: ثماني نصائح في التسوق.

نسأل الله تعالى أن يبارك لنا في أرزاقنا الدينية والدنيوية، اللهم اجعل مع البركة بركة، اللهم اجعل مع البركة بركتين.

المحاضرة الثامنة عشرة

الطلاق

لا بدَّ لكلِّ شابٍّ وفتاة مقدِمَين على الزواج أن يتعلّما أحكام الطلاق وما يتعلق به مع تعلُّمهما أحكام الزواج؛ لأنَّ قائد الطائرة الذي يتعلَّم كيف يطير بالطائرة، يتدرَّب كذلك على الهبوط بها.

فإذا تعلم الشاب الزواج ولم يتعلم الطلاق يقع ويوقع أهل بيته في مشكلات، ويتكلَّم عددٌ من الشباب بكلمات تتعلَّق بالطلاق ويترتَّب عليها أحكامه ثم يقول: لم أعرف أن هذا طلاقٌ!! وعدد من النساء يدفعن أزواجهن إلى التلفُّظ بكلمات لها صلة بالطلاق، أو هي تتصرف تصرفاتٍ تستوجب بها طلاقاً ثم تقول: لم أعرف أن هذا الأمر يسبب الطلاق. لذلك كان الواجب على كلِّ شابٍّ مقبل نحو الزواج أن يتعلَّم أحكام الزواج والطلاق وما يتعلق بهما.

ولئن كان الطلاق -من دون مبرر- ممقوتاً في السماء والأرض، إلَّا أن الكيَّ يبقى نوعاً من أنواع الطِّب، ويبقى البترُ نوعاً من أنواع العلاج، ويبقى قلعُ الضرس حلاً من الحلول المعروضة على الطبيب، وإن كان آخرها.

ويتعلّم الطبيب الجراح كيف يبتر العضو، مع أن أصل الطب

المحافظة على الأعضاء، لكنه يتعلم ذلك -وإن كانت عملية البتر شديدة، وشاقة، وصعبة، وتشكل أذىً نفسياً للطبيب وللمريض- لإزالة آفة انتشرت، لم يتمكن من إزالتها إلا بالبتر، حرصاً على سلامة باقي الجسم؛ لأن بقاء العضو المتَمَوِّت متصلاً بالجسد قد يجرّ الموت إلى باقي الجسد.

حدثني طبيب جراح، قال: مرةً واحدة في عمري اضطررت إلى بتر قدم مريض، قال: لكن بقيت أسبوعاً كاملاً بعدها لا أستطيع استقبال المرضى في العيادة، واهتزت المشفى كلُّها لذلك، ولكن لم يكن بدٌّ من بتر القدم، وإلا انتقل التموُّت الحاصل في القدم إلى كامل الجسم.

وحدثني طبيب عينيَّة بأنهم في حالات معيَّنة يلجؤون إلى قلع عين، ومع أن مهمة الطبيب أن يحافظ على العين من أقل ما يصيبها من الأذى، لكن في حالات خاصة لا بد من قلعها، وأخبرني بأنه يتزلزل عند إجراء هذه العملية، لكنه مضطر إلى ذلك.

وكذا الطلاق -وإن كان يجرُّ الأسى والألم إلى الزوج أو الزوجة أو الأولاد- لكنه يبقى حلّاً إذا كانت الأبواب مغلقة، والحلول معطَّلة، واستحالت حياة الزوجين معاً، فيكون آخر الطب، لذلك كانت هذه المحاضرة (الطلاق)، وهذه فقراتها:

١- أحاديث شريفة في الطلاق

قال رسول الله ﷺ: «**أيُّما امرأة سأَلَتْ زوْجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحةُ الجنة**»[1].

جاء في كتاب (تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي) في شرح الحديث: «**من غير بأس**؛ أي من غير شدة تلجئها إلى سؤال المفارقة، **فحرام عليها رائحة الجنة**؛ أي ممنوع عنها، وذلك على نهج الوعيد والمبالغة في التهديد، أو وقوع ذلك متعلق بوقت دون وقت، أي لا تجد رائحة الجنة أول ما وجدها المحسنون، أو لا تجد أصلاً، وهذا من المبالغة في التهديد، ونظير ذلك كثير، قاله القاضي. قال القاري: ولا بدع أنها تحرم لذة الرائحة ولو دخلت الجنة».

وقال رسول الله ﷺ: «**المختلعات هن المنافقات**»[2].

جاء في شرح الحديث: «**المختلعات**: بكسر اللام أي اللاتي يطلبن الخلع والطلاق عن أزواجهن من غير بأس، **هن المنافقات**؛ أي العاصيات باطناً والمطيعات ظاهراً».

فالمرأة التي تطلب الطلاق لأن بيت الزوج صغير، أو لأنها وجَدَت في بيت زوجها شيئاً من العناء في تحمُّل المسؤولية، والاستيقاظ باكراً، وإعداد الطعام، وهو ما لم تألفه عند أهلها،

---

(١) أخرجه أبو داوود والترمذي وابن ماجه.

(٢) أخرجه الترمذي وأحمد.

فطَلَبت لذلك من زوجها طلاقاً؛ داخلة في معنى هذين الحديثين. والله أعلم.

ولسائلٍ أن يسأل: لِمَ هذا الأمر يوجب للمرأة مثل هذا العقاب الشديد؟

فالجواب: لأنها بذلك تخالف سنَّة الله في الأرض، فقد أراد الله تعالى إعمار الأرض بالزواج، واستمرار النسل البشري، وتريد هذه المرأة إفساد ما في الأرض بقطع رابطة الزوجية، وإن كانت على المستوى الفردي الخاص، لذلك كان فعلها كبيراً، وتوعَّدها رسول الله ﷺ بهذا العقاب.

قال رسول الله ﷺ: **«إن الله تبارك وتعالى لا يحب الذواقين ولا الذواقات»**[1]. وقال رسول الله ﷺ: **«لعن الله كلَّ ذوَّاق مِطلاق»**[2].

يلعن الله كلَّ شاب يخطب فتاة ثم يعقد عليها ويجلس معها، ويذهب معها، ويحادثها، ولعلَّه يخلو بها، ولعلَّه يدخل بها، ومن ثم يقول: لا أريد هذه الفتاة، أريد أن أطلِّقها!! ثم يلتفت إلى غيرها كذلك، ثم إلى غيرها...، وهكذا.

هذا اللَّعن هو الطرد من الرحمة، وأيُّ رحمة تصيب رجلاً ظالماً يؤذي النساء بطلاقهن من دون مبرر؟! أيُّ رحمة تنال رجلاً طلَّق

---

(١) أخرجه البزار والطبراني.

(٢) ذكره السرخسي في: المبسوط، ٧/ ١٢٧.

زوجته في هذا الشهر، ثم أعادها في الشهر الثاني، ثم طلقها في الشهر الثالث وهكذا...

يقول أهل الشام في مَثلهم الشعبي: «الزواج لصقة بيطارية»، أي: لا انفكاك منه، فعلى الشاب أن يُحسِن الاختيار من البداية، فإن تزوج ووجد زوجته على غير ما يحب ويشتهي وجب عليه الصبر والتحمّل، فإن عجز عنه فقد أباح له الشارع التعدد أو الطلاق. أما أن يلجأ إلى الطلاق مباشرة فليس هذا من شيم الكرام.

تُرى هل رأيت أحداً يرتاح في عمله راحة تامة؟ أعتقد أن الجواب: لا. فهل نترك أعمالنا لأننا غير مرتاحين فيها؟!

هل هناك من طالب في مدرسته أو جامعته لا يجد مشقة؟ أعتقد أن الجواب: لا. فهل يتركون دراستهم لهذه المشقة؟!!

أيجد أحد في بيته مواصفات البيت المثالي كلِّها؟ أعتقد أن الجواب: لا. فهل نترك منازلنا لأنها غير مثالية؟!!

هل من أحد على وفاق تام مع زوجته؟ أعتقد أن الجواب: لا. فهل نترك زوجاتنا لأجل ذلك؟!!

إن الحياة الدنيا مطبوعة على الكَدَر:

طُبِعَت على كَدَرٍ وأنت تريدها صفواً من الأقذاء والأكْدَار

ومكلِّف الأيام ضدّ طباعها متلمّسٌ في الماء جذوةَ نارِ

فلا يَصحُّ أن يطلب الزوج من زوجته أن تكون كما يحبّ مئة

بالمئة، وكذلك لا يصح للزوجة أن تطلب من زوجها أن يكون كما تحبّ مئة بالمئة، ولابد لهما من الصبر والتحمُّل.

وبناء على ما مضى نقول: من أحبَّ أن يتزوَّج وكان قادراً على الصبر وقبول الآخر فليتزوج، ومن كان لا يصبر ولا يستطيع تحمُّل المشاق فعليه أن يتمهَّل حتى تتهذب أخلاقه، ويستطيع أن يقبل زوجته كما هي.

أما أن يتزوج رجل وهو يبيِّت الطلاق! أو ينوي أن يجرِّب الأمر في شهرين، فإن لم يناسبه طَلّق! فهذا مخالفٌ للشرع؛ لأن الزواج في أصله عقدٌ على التأبيد.

وكذلك أهل الفتاة الذين ينوون تجربة الزوج خلال شهرين أو ثلاثة، ثم يتمُّون مراسم الزواج إن أعجبهم الأمر أو يطلبون طلاق ابنتهم إن لم يعجبهم، فإنهم آثمون.

قال رسول الله ﷺ: «**أَبْغَضُ الحلال إلى الله الطَّلاقُ**»[1].

إن قال أبٌ لابنه: يا ولدي، إن أبغض شيء إلي أن تفعَلَ كذا، وجاء الولد وفعل ذلك الشيء أمام والده، أبارٌّ هو أم عاق؟ أيستوجب الرضا أم يستوجب الذم؟ وإذا كان الشرع يقول: إن أبغض المباحات فيه الطلاق، وتلفَّظ شاب بكلمات الطلاق بسببٍ وبغير سبب، وهو يظن نفسه أنه بهذه الكلمة يُثبِت رجولته، فما تصنيف هذا العبد عند الله؟!

---

(١) أخرجه أبو داوود وابن ماجه.

قال رسول الله ﷺ: «**ما أحلَّ الله شيئاً أَبغَض إليه من الطلاق**»[1].

الطلاق حلالٌ في مواطن محدَّدة، لضرورة مُلِحَّة، أو لحاجة مُلجِئة، وهذه مجموعة نصوص شرعية متعلِّقة بالطلاق؛ لأجل أن يعلم الذاهب نحو الزواج أن زواجه على التأبيد، وأن الطلاق ممقوتٌ إن لم يكن في محلّه.

فلتجتهد أن تصبر، وأن تتحمَّل، وأن تلغي خيار الطلاق من حياتك، وأن تبحث في حلولٍ أخرى.

فالأصل في الزواج عدم الطلاق، ويبقى الطلاق تشريعاً استثنائياً، وحَلّاً لحالات خاصة جداً، فليس هو انتقاماً، ولا تشفيّاً، ولا إظهاراً للرجولة، ولا هروباً من مواجهة المسؤولية، مَثَل المطلِّق مَثَل الطبيب عندما يقرر قطع القدم، فيدرس الحالة يوماً ويومين، ويأخذ الصور والتحاليل، ويستشير أطباء استشاريين، وتتمّ الاستشارة أكثر من مرَّة، فإذا وصلوا إلى قرار البتر أخبروا المريض بذلك وتدارسوا معه الحالة الملجئة للبتر، ومن ثم يتم العمل الجراحي.

وكذلك الطلاق، أمرٌ يحتاج إلى طول تفكير وتدبُّر، وترتيب واستشارة، وهذا الأصل الشرعي فيه. أما أن يستخدمه السفهاء لأشياء تافهة لا قيمة لها، ولا يستشيرون ولا يراجعون من يوثَق

---

(١) أخرجه أبو داوود.

بعقله وعلمه، فهؤلاء مؤاخذون ويرتكبون إثماً، رجالاً كانوا أو نساءً.

٢- تعريف الطلاق

الطلاق لغةً: حلُّ القيد، فتقول: أطلقت الأسير، أي: حلَلْتُ قَيْدَه، وتقول أطلقت يدي، أي: حللتُ القيد عنها وجعلتُها مرسَلة.

وهذا المعنى اللغوي للطلاق يفيد أن الزواج قيد، ولأجل ذلك يقولون: الزواج (قفص ذهبي)، ومن ذلك سُميَ خاتم الخطبة: (المحبس).

نعم، إن الزواج يقيِّد الرجل والمرأة، وليعلم كلُّ شاب ذاهب إلى الزواج أن الزواج قيدٌ، وليس حباً وعشقاً وغراماً.. وحسب. ولتعلم الفتاة أن الزواج قيد، فلا تحسبن الأمر حفلة عرس، وصالة فاخرة، وثوباً جميلاً.. وحسب.

لما قال النبي ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان**»[1]، قال شراح الحديث: العوان الأسيرات؛ إذ المرأة أسيرة في بيت زوجها، مقيَّدة؛ لا تخرج إلا بإذنه، لا تأكل حتى يأتي من عَمَله، ولا تنام حتى ينام، ترعى أولاده، تكنس داره، ترتب ثوبه...

وبالمقابل؛ الزوج أسير لزوجته، يعمل طيلة نهاره لأجل بيته، وليس له أن يعتذر عما يحتاج إليه بيته، أو أن يتأخر بالعودة من غير ضرورة، وإذا أكل خارج البيت فكَّر: أأكَلَت زوجته أم لم تأكل،

---

(١) الترمذي وابن ماجه.

وإذا جاء مساءً بعد عمله الشاق حَمَلَ معه الطعام وحاجات البيت، وإذا طرأ طارئ في بيته نفر -ولو في ساعة استراحته- لذلك الطارئ.

الزوج مقيد في زواجه، والزوجة مقيدة، وكل هذا له أجر.

هذا ما أوحاه لي المعنى اللغوي للطلاق.

الطلاق شرعاً: (حلُّ عقدِ النكاح بلفظٍ مخصوص). كقول الرجل لزوجته: أنتِ طالقٌ، أو قال في غيبتها: هي طالق، أو كان جالساً مع أصحابه وقال: زوجتي طالق، أو كان في سفر وقال: فلانة -وسمى زوجته- طالق، أو طلقها على الهاتف...، في كل ذلك تطلُق الزوجة.

إذن الطلاق حلُّ عقدِ النكاح بلفظٍ مخصوص.

٣- لا إقالة في الطلاق

بعض العقود في الشرع فيها إقالة، وبعضها لا إقالة فيه، فإذا اشتريتُ سلعة مثلاً، وتبيَّن لي بعد أن تركتُ البائع أن هذه السلعة لا تناسبني، أعود إلى البائع وأخبره أني أوَدّ أن أرُدّها، فيأخذها ويرد إليَّ مالي، وهو مخيَّر، إما أن يوافق وإما أن يرفض، فطلبي منه يسمى: (استقالة)، وللبائع أن يقبل ذلك فيؤجر، أو لا. قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ أقَالَ مُسلِماً أقالَهُ الله عَثْرَتَهُ»**[1]، وفي لفظ: **«من أقال نادماً أقاله الله تعالى يوم القيامة»**[2]، وفي لفظ آخر: «من

---

(١) أخرجه أبو داوود.

(٢) أخرجه البيهقي.

أقال نادماً بيعته أقال الله عثرته يوم القيامة»[١]. هناك إقالة مشروعة في عقد البيع، وإقالة في الشراء، وإقالة في الاستئجار... لكن لا إقالة في الطلاق، فإذا تلفظ الزوج بكلمة الطلاق وقع الطلاق وترتبت عليه آثاره.قال رسول الله ﷺ: «**لا قيلولة في الطلاق**»[٢].

٤- أركان الطلاق

الطلاق له ركنٌ واحد، والركن هو ما يقوم به العمل، فالصلاة -عند الشافعية- لها ثمانية عشر ركناً، فإذا ذهب ركنٌ واحد بَطلَت الصلاة.

أما الطلاق فله ركنٌ واحد، وهو: لفظ الطلاق.

فإذا نطق الزوج بكلمة الطلاق فقد وقع الطلاق، لذلك علينا أن نتدرب على حفظ ألسنتنا قبل الزواج وبعده.

وأخص الشباب، فلا بد أن يتدربوا على كظم الغيظ، وعلى ضبط اللسان، حتى لا يندموا بعد التلفظ بكلمة الطلاق، فإنها متى خَرَجَت أحرَجَت.

الكلمة في الإسلام قوية جداً: بها تدخل الدين، وبها تخرج منه، وبها تتزوج، وبها تُطلِّق... قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة جِدُّهُنَّ جِدٌّ، وَهَزْلُهُنَّ جدّ: النِّكاحُ، والطَّلاقُ، والرَّجْعَةُ**»[٣].

---

(١) أخرجه ابن حبان.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في: سننه.

(٣) أخرجه الترمذي وأبو داوود وابن ماجه.

فهذه الثلاثة لا هزل فيها ولا مزاح، وأمر الزواج والطلاق خطير جداً؛ لأنه شرعٌ وميثاق سماويّ، قال الله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٤/ ٢١] فلا يُلعَب به ولا يُمزَح.

والرجعة هي أن يراجع الرجل زوجته بعد أن طلَّقها طلقة واحدة، فإذا قال لها: راجعتك، فقد رجَعَت إلى ذمته، ولا يجوز أن يكون مازحاً في ذلك للحديث المتقدم.

إذن، للطلاق ركنٌ واحد، وهو: التلفظ بما يوقِع الطلاق.

٥- ألفاظ الطلاق

ألفاظ الطلاق عند العلماء قسمان:

١- ألفاظٌ صريحةٌ في الطلاق.

٢- ألفاظُ كنايةٍ عن الطلاق.

أما اللفظ الصريح فلا يحتاج إلى النية؛ وهو:

الطلاق، بقوله لزوجته: أنت طالق.

أو الفراق، بقوله لزوجته: فارقتُكِ.

أو السَّراح، بقوله لزوجته: سرَّحتُكِ.

فهذه الكلمات الثلاث لا تحتاج إلى نية، فتطلق المرأة عند التلفظ بإحداها.

أما لفظ الكناية فيحتاج إلى نية، كأن يقول الزوج لزوجته:

"اذهبي إلى بيت أهلك"، و"لا تُرِيني وجهَك"، و"أنا لا أريدك"...، فهذه ألفاظٌ تحتَمِل الطلاق، وتحتَمِل غيره، فيُسأَلُ عن نيته في هذه الحال، ثم يبنى الحكم على ذلك، ولا يعلم بنية المرء غير الله، أما العالِم المستفتَى فيحكُم على نحو ما يسمع، فإذا كانت نية الرجل الطلاق وادعى غير ذلك وأُفتيَ له على نحو ما قال، ورُدَّت له زوجته فيُخشى أن يكون لقاء الزوجين محرماً غير شرعي! والأولاد بعد ذلك أولادٌ بالحرام؛ ذلك لأنه يتعامل مع رب العالمين، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

كُتبَ لسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ من العراق: إنّ رجلاً قال لامرأته: (حَبْلُكِ على غارِبِكِ)، فهل طَلُقَت زوجته أو لم تَطلُق؟ فكتب سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ إلى أمير العراق: (مُره يوافيني بمكة في موسم الحج). فلما أتى الرجل رأى سيدنا عمر ﷺ يطوف بالبيت، فسلَّم عليه، فقال له سيدنا عمر: من أنت؟ قال: أنا الذي أمرتَ أن أُجلبَ إليك بسؤالي بقولي لامرأتي: (حَبْلُكِ على غارِبِكِ)، فقال سيدنا عمر: أسألك برب هذه المشاعر، ما أردتَ بقولكَ ذاك؟ فقال الرجل: لو استحلفْتَني في غير هذا المكان ما صَدَقْتُك، اللهمَّ قد أردتُ طلاقها، فقال له سيدنا عمر ﷺ: هو ما أردتَ[١].

أقول: وفي هذا الأثر فائدة مهمة، ففتاوى الطلاق لا تُنقَل، بل لا بد للزوج نفسِه من أن يتحدث إلى المفتي ويبين له التفاصيل.

---

(١) مالك في: الموطأ.

ولا يجوز لغير المختص أن يفتي بأمر الطلاق حتى لا يكون متطاولاً على الشرع، ولا مسيء الأدب مع الشارع.

أما صحابة سيدنا محمد ﷺ فكان السائل يأتيهم فيقول كل منهم: اسأل غيري. فعن خالد بن أسلم، قال: كنا مع ابن عمر رضي الله عنهما، فسأله أعرابي: أَتَرِثُ العمَّة؟ فقال: لا أدري، قال: أنت لا تدري؟! قال: نعم، اذهب إلى العلماء، فاسألهم. فلما أدبر الرجل قَبَّلَ ابنُ عمر رضي الله عنهما يدهُ، فقال: نِعْمَ ما قال أبو عبد الرحمن، يعني نفسه، سُئل عمَّا لا يعلم، فقال: لا علم لي بها[1].

مسألة: كلمة: (عليه الحرام) ما حكمها؟

قال بعض العلماء: هذه من ألفاظ الكناية؛ لأن الألفاظ الصريحة للطلاق: (الطلاق، السَّراح، الفراق)، فيُسأل الرجل عن نيته أهي طلاق أم لا؟

وقال آخرون: العرف يقتضي أنها طلاق؛ لأنها تعني أن زوجته عليه حرامٌ، وهذا اللفظ كالطلاق والسراح والفراق، فلا يُسأل عن نيته.

إذن فلننتبه ألَّا يتكلم أحدنا بهذه الكلمات؛ فهي لا تليق بذوي العقل والفهم.

---

(١) أخرجه الحاكم بنحوه.

٦- أحكام في الطلاق

- طلاق المجنون

لا يقع طلاق المجنون؛ لأن القاعدة تقول: (إذا أَخَذَ ما أوهَبَ أسقَطَ ما أوجَب).

- طلاق المدهوش

المدهوش الذي يتكلَّم بكلمة لا يريدها، وتخرج عن غير سيطرة عقلٍ من المتكلِّم نتيجة صدمة، كأن يفزع مثلاً من صوتٍ عالٍ جداً، أو صوت انفجار، فيندهش، فيجري على لسانه لفظ الطلاق، فهذا الطلاق لا يقع.

- طلاق الغضبان

جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية: (الغضب: حالة من الاضطراب العصبيّ، وعدم التّوازن الفكريّ، تحلّ بالإنسان إذا عدا عليه أحد بالكلام أو غيره.

والغضب لا أثر له في صحّة تصرّفات الإنسان القوليّة، ومنها الطّلاق، إلّا أن يصل الغضب إلى درجة الدّهش، فإن وصل إليها لم يقع طلاقه، لأنّه يصبح كالمغمى عليه.

والمدهوش هو من غلب الخلل في أقواله وأفعاله الخارجة عن عادته بسبب غضب اعتراه.

وقسّم ابن القيّم الغضب أقساماً ثلاثةً نقلها عنه ابن عابدين وعلّق عليها فقال: طلاق الغضبان ثلاثة أقسام:

أحدها: أن تحصل له مبادئ الغضب بحيث لا يتغيّر عقله، ويعلم ما يقول ويقصده، وهذا لا إشكال فيه، أي يقع طلاقه بلا خلاف.

الثّاني: أن يبلغ النّهاية، فلا يعلم ما يقول ولا يريده، فهذا لا ريب أنّه لا ينفذ شيء من أقواله، أي: لا يقع طلاقه، لأنه صار لا يفرق بين النار والماء، ولا بين الأرض والسماء، قال رسول الله ﷺ: «**لا طلاق في إغلاق**»[1].

الثّالث: من توسّط بين المرتبتين بحيث لم يصر كالمجنون، فهذا محلّ النّظر. والجماهير على وقوع طلاقه).

هذا، ومعظم أحوال الناس في الغضب تندرج في القسم الثالث، فيقع طلاقهم، فليُتنبّه.

- طلاق السكران

يقع طلاق السكران، عقوبةً له على تعدِّيه في ارتكاب المحرمات.

- طلاق الهازل (المازح)

يقع طلاق الهازل -كما مرّ في حديث رسول الله ﷺ: «**ثلاثة**

---

(١) أخرجه أبو داوود، وقال ابن تيمية: (والإغلاق انسداد باب العلم والقصد عليه، يدخل فيه طلاق المعتوه والمجنون... والغضبان الذي لا يعقل ما يقول؛ لأن كلّاً من هؤلاء قد أغلق عليه باب العلم والقصد، والطلاق إنما يقع من قاصد له، عالم به. والله أعلم).

جِدُّهُنَّ جِدّ، وَهَزْلُهُنَّ جدّ: النكاحُ، والطَّلاقُ، والرَّجْعَةُ»[١]؛ إذ لا هزل ولا مزاح في الزواج والطلاق.

- طلاق المُكرَه

كأن يُهدَّد رجلٌ بالقتل مثلاً حتى يطلِّق زوجته، فطلاقه غير واقع في هذه الحال، فمن أكرِه على طلاق زوجته لم يقع طلاقه باتفاق جمهور الفقهاء، وإن كان الأفضل له أن يتلفظ بألفاظ الكناية، أو استخدام المعاريض.

٧- الطلاق الشرعي

وضَع الشرعُ للطلاق ضوابط، فكما علَّمنا الشرعُ كيف نقيم الصلاة، وكيف نؤدي الزكاة، وكيف نعقد عقد الزواج...، علَّمنا كيف يكون الطلاق، وكيف نضبطه بضوابطه.

للطلاق الشرعي ثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن يكون الطلاق لحاجةٍ مقبولة.

أي يوجد مبرر قوي وسبب وجيه للطلاق، كعجز الرجل عن نفقة زوجته وليس لهذه الزوجة دخلٌ، فلها أن تطلب الطلاق من زوجها تخفيفاً عنه وعنها، وهذه حاجةٌ محترَمة شرعاً.

وكذلك إذا كانت الزوجة ناشزاً، أي لا تطيع زوجها، وتصارعه الرأي، فلهذا الزوج أن يطلقها شرعاً، إن لم تتقوم ولم يستطع تحمُّل نشوزها. أما إذا أغضَبَتْه مرَّةً من المرات مثلاً فليس له أن

---

(١) تقدم تخريجه.

يطلِّقها؛ لأن الحياة لا تسير مفرداتها كلُّها بما يتوافق مع المزاج البشري.

إنك لتعجَب من فتاة لم يمضِ على زواجها عدَّة أشهر تطلب طلاقاً من زوجها لأتفه الأسباب وأصغرها!!

هذه أمثلة للحاجة المقبولة المبررة للطلاق، وأرى -والله أعلم- أن حكم اثنين من ذوي الحجا من أسرتي الزوجين بقبول سبب الطلاق يجعله مقبولاً، وإلا فلا.

الشرط الثاني: أن يكون الطلاق في طهرٍ لم يجامعها زوجها فيه.

الطلاق له وقت معيَّن، فإذا كانت المرأة في عادتها الشهرية يَحرُمُ طلاقها، وإذا طلَّقها زوجها أثِم مع أن الطلاق يقع. طلَّق ابنُ عمر ﵄ امرأته وهي حائض في عهد رسول الله ﷺ، فسأل عمر بن الخطاب ﵁ رسول الله ﷺ عن ذلك [وانظر إلى الصحابة رضوان الله عليهم يستشيرون رسول الله ﷺ حتى في علاقتهم مع زوجاتهم، لذلك أنا أنصح كلَّ أبٍ عنده بنات بَلَغْنَ سنَّ الزواج ألَّا يزوج ابنته إلا لشابٍ له معلم يرجع إليه، أي له آمرٌ وناهٍ، فإذا أخطأ صوَّب معلِّمه خطأه]، فقال له رسول الله ﷺ: **«مُرْهُ فليُراجعها، ثم ليُمسِكها حتى تَطهُر، ثم تحيض، ثم تَطهُر، ثم إن شاء أَمسَكَ بعد، وإن شاء طلَّق قَبْلَ أن يمسّ، فتلك العدة التي أمر الله عز وجل أن يطلَّق لها النساء»**[1].

---

(١) متفق عليه.

فلا يصح أن تطلَّق الزوجة وهي حائض، وكذلك لا يصح طلاقها في طهر جامعها فيه، بل على الزوج المريد الطلاق أن ينتظر خلو زوجته من الحيض، أو انتظار طهر لم يجامعها فيه.

ولو فهم الأزواج هذا الأمر لقلَّت نِسَب الطلاق؛ لأن هذا تشريع سماوي، وتسعون بالمئة من حالات الطلاق تكون نتيجة الغضب، فإذا كظم الرجل غضبه وصبر سبعة أيام -هي أيام الحيض- فلربما حُلَّ الأمرُ من غير اللجوء إلى الطلاق.

الشرط الثالث: أن يكون الطلاق واحدةً وليس اثنتين ولا ثلاثاً.

فالذي يريد أن يطلق زوجته يقول لها: (هي طالق) مرَّة واحدة فقط، ولا يصح أن يقول: (هي طالق بالثلاثة)، أو: (هي طالق ثلاثاً)، أو: (هي طالق، طالق، طالق)...، والذي يفعل ذلك يتلاعب بأوامر الشرع، وهو آثم. عن محمود بن لبيد ﷺ قال: (أُخبِر رسول الله ﷺ عن رجلٍ طلَّق امرأته ثلاث تطليقاتٍ جميعاً، فقام النبي ﷺ وهو غضبان، ثم قال: «**أيُلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم؟!**» ومن شدة غضب النبي ﷺ قام رجل، وقال: يا رسول الله، ألا أَقتُله؟)[1]. وعن أنس ﷺ قال: «كان عمر إذا أُتِيَ برجل قد طلَّق امرأته ثلاثاً في مجلس أَوْجَعَه ضرباً، وفرَّق بينهما»[2]. وعن داوود بن عبادة بن الصامت ﷺ قال: (طلَّق جدي امرأة له ألف تطليقة، فانطلق أبي إلى رسول الله ﷺ، فذكر ذلك

---

(١) أخرجه النسائي.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في: سننه، وابن أبي شيبة.

له، فقال النبي ﷺ: **«أَمَا اتقى الله جدُّك؟! أمَّا ثلاثٌ فَلَهُ، وأما تسع مئة وسبع وتسعون فعدوانٌ وظلم، إن شاء الله تعالى عذَّبه، وإن شاء غفر له»**[١]. وهذا كلام مخيف؛ لأن النبي ﷺ أنكر على فاعله وقال: **«أَمَا اتقى الله...»**.

فشروط الطلاق الشرعي ثلاثة:

١- أن يكون الطلاق لحاجة مقبولة شرعاً.

٢- أن يكون الطلاق في طُهر لم يجامعها فيه.

٣- أن يكون واحدة وليس مجموعاً.

سؤال: ماذا لو طلَّق رجل زوجته ولكنه خالف هذه الشروط الثلاثة؛ كأن طلقها مثلاً سفاهةً من غير حاجة، أو طلقها وهي حائض، أو طلقها في طهرٍ جامعها فيه، أو طلقها ثلاثاً؟

جواب: قال العلماء: هذا الرجل آثم، ويقع طلاقه.

ودليلهم أنه لما طلق سيدنا عبد الله بن عمر زوجته وهي حائض، قال النبي ﷺ: **«مره فليراجعها، ثم ليمسكها حتى إذا طهرت فإن شاء طلقها وإن شاء أمسكها»**.

فقال ابن عمر: «حُسِبَتْ عليَّ بتطليقة»[٢]، أي: حُسِبَت عليه طلقة؛ مع أنه طلَّقها وهي حائض.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق والطبراني.

(٢) متفق عليه.

هذا، والأئمة الأربعة على أن من طلق ثلاثاً في مجلس واحد وقع طلاقه ثلاثاً، وبانت منه امرأته، خلافاً لابن تيمية وبعض الظاهرية الذين جعلوا طلاق الثلاث في مجلس واحدٍ طلقة واحدة.

هذا هو الطلاق الشرعي بالشروط الثلاثة، ويسمى: (الطلاق السُّنِّي)، أي موافقاً للشريعة، موافقاً لسنة سيدنا محمد ﷺ. أما إذا فقد الطلاق واحداً من الشروط الثلاثة أو أكثر فيسمى (الطلاق البدعي)، أي مخالفاً للسنة مبتدعاً، صاحبه آثم.

٨- أنواع الطلاق

الطلاق الرجعي: وهو الطلاق الذي يحق للرجل فيه مراجعة زوجته بعد أن يطلِّقها طلقة واحدة أو طلقتين، بشروط.

الطلاق البائن: وهو الطلاق الذي لا يملك الزوج فيه مراجعة زوجه إلا بعقد جديد ومهر جديد ورضاها، أو لا يملك مراجعتها حتى تنكح زوجاً غيره، وهذا تفصيل للنوعين:

أولاً- الطلاق الرجعي

سؤال: متى يستطيع الرجل المطلق مراجعة زوجته؟

جواب: إذا طلقها طلقةً واحدةً، فقال: هي طالق، ثم أراد مراجعتها في أثناء عدتها فله عندها المراجعة من دون مهر جديد ولا عقد جديد ولا شهود، وإن استحب العلماء الإشهاد على الطلاق وعلى الرجعة، فيقول لها: رددتك إلى عصمتي، أو أرجعتك إلى عقد نكاحي، أو نحو ذلك من الألفاظ، وأجاز الجمهور -خلا الشافعية- الرجعة بالأقوال أو بالأفعال.

وعدة المطلقة إن كانت حاملاً حتى تضع حملها، وإن لم تكن حاملاً فعدتها ثلاث حيضات، أي قريب من ثلاثة أشهر، وإن كانت ممن لا تحيض -في سنِّ اليأس- فعدتها ثلاثة أشهر.

ويجب على المرأة أن تعتد في بيت الزوجية، وليس للزوج شرعاً إخراج زوجته من بيته إن طلقها. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١﴾ [الطلاق: ٦٥/ ١]، نَسَبَ الله تعالى البيت في هذه الآية إلى المرأة، فليس للرجل أن يخرجها منه؛ لأن هذا البيت أَسَّست فيه أولادها، وَرَعَت فيه زوجَها، وإن أخرجها أَثِم. وكذلك ليس للمرأة أن تخرج من بيت زوجها إلى بيت أهلها إذا طُلِّقَت طلاقاً رجعياً؛ لأن الله تعالى نهاها عن الخروج، فإن خَرَجَت فهي آثمة.

والحكمة من عدم إخراجها وعدم خروجها -والله أعلم- أن الغضب يهدأ بعد أيام، ويسكن الغيظ، ولعل الزوج يريد ردَّها، فإذا كانت الزوجة في البيت تيسَّرَت رجعتُها، يقول لها: راجعتُك، فترجع إلى ذمته، من دون شهود ولا عقد، بكلمة (راجعتُك) وحسب. أما إذا خرجَت الزوجة إلى بيت أهلها تعقَّدت المشكلة، فتدخَّل المحامي والشيخ والأهل... وما إلى ذلك.

لذلك أَمَرَ الشرعُ بعدم إخراجها من البيت، وطلبَ إليها أيضاً عدمَ الخروج.

إذن: للرجل مراجعة زوجته حال طلاقها في عدتها، أما إذا انتهت العدة ولم يراجعها الزوج؛ ذهبت الزوجة إلى بيت أهلها، وليس لهما الرجعة إلا بعقدٍ جديد، ومهرٍ جديد، وشهود، ورضا الزوجة.

فالطلاق الرجعي يكون بعد الطلقة الأولى، أو الثانية.

وهذا الحكم للزوجين بعد الدخول، أما بمجرد العقد دون الدخول، فتَبِيْنُ المرأة بالتطليقة الأولى، وليس للرجل إرجاعها إلا بعقد جديد، ومهر جديد، وشهود، وموافقة المرأة.

ثانياً- الطلاق البائن

وهو نوعان:

١- طلاق بائن بينونة صغرى. ٢- طلاق بائن بينونة كبرى.

أما الطلاق البائن بينونة صغرى: فيكون بعد انتهاء عدة المرأة من التطليقة الأولى أو الثانية، وليس للرجل فيه أن يراجعها إلا بعقدٍ جديد، ومهرٍ جديد، وموافقة منها.

أو يكون عند طلاق الرجل لمن عَقَد عليها دون دخول، أو يكون بعد مخالعة الزوجة زوجها، (أي: تنازل الزوجة عن شيء من حقِّها أو كلِّه، أو تدفع شيئاً للزوج مقابل سراحها). في كلِّ ذلك تَبِيْنُ المرأة بينونة صغرى، فلا يستطيع الرجل ردَّها إلا بعد عقدٍ جديد، ومهرٍ جديد، وموافقة المرأة.

وأما الطلاق البائن بينونة كبرى: فهو طلاق الرجل زوجته ثلاث

تطليقات، وفي هذه الحال لا ترجع له زوجته حتّى يتزوَّجها رجلٌ غيره، ويتمّ الدخول، ثم إن طلقها الزوج الثاني، وانتهت عدتها، استطاع الزوج الأول أن يردَّها بعقد جديد ومهر جديد إن شاءت.

٩- الطلاق المعلّق

أي المعلَّق بشرط، كأن يقول الرجل لزوجته: إذا ذهبتِ إلى بيت فلانة فأنت طالق، أو: إذا قدِمتُ اليوم ولم أرَ الطعام جاهزاً فأنت طالق، أو: إذا لم تنجحي في الامتحان فأنت طالق...

حُكم هذا الطلاق: إذا وقع الشَّرط وقع جوابه، كأن يقول: إذا خرجتِ من البيت فأنت طالق، فإن خرَجَت طَلُقَت، وحَكَم جمهور الفقهاء بأن الطلاق المعلَّق يقع إذا وقع شَرطُه، وفي المسألة تفصيل يراجع في كتب الفقه وعند العلماء الثقات.

هذا غيض من فيض مما يتعلق بالطلاق، وأختم المحاضرة بحديث رسول الله ﷺ:

«أبغض الحلال إلى الله الطلاق»(١)، فمَن شاء أن يفعل ما يبغضه الله فليطلِّق زوجته، ومن شاءت أن تفعل ما يبغضه الله فلتطلب من زوجها طلاقاً.



(١) تقدم ذكره.

المحاضرة التاسعة عشرة

ختام الدورة

تحدثنا في هذه الدورة عن أهم الأمور التي ينبغي على كلِّ شابٍّ وفتاة مقبلَين على الزواج تعلمها قبل الزواج. وإن كنتُ خلال السنوات الثلاث لتحضير هذه الدورة وجدت عناوين أخرى تتزاحم في فكري، وتَقَع بين يديّ، وكنتُ أراها مهمَّة للذِّكر وجديرة بالبحث في هذه الدورة، لكني سأكتفي بهذه المحاضرات التسع عشرة، ولعلّي -مستقبلاً- آتي على تتمّات واستكمالات لهذه المواضيع.

تحدثنا في هذه الدورة عن:

١- دعوة الإسلام إلى الزواج.

٢- حكم الزواج.

٣- دوافع الزواج.

٤- التأهيل النفسي للمقبلين على الزواج.

٥- خمس نقاط حول الزواج.

٦- الخطبة.

٧- اختيار الزوجة.

٨- اختيار الزوج.

٩- عقد الزواج.

١٠- بين العقد والعرس.

١١- ليلة العرس.

١٢- الرسول الزوج.

١٣- واجبات الزوجة تجاه زوجها.

١٤- كيف تؤثر في قلوب القريبين منك.

١٥- ماذا يريد الرجل من زوجته، وماذا تريد منه.

١٦- قواعد مهمة لاحتواء المشكلات الزوجية.

١٧- ميزانية الأسرة.

١٨- الطلاق.

١٩- ونَصِل هنا إلى: (ختام الدورة).

وإني أرى هذه الدورة ضرورية جداً للشباب والشابات في الحياة الزوجية، والكلمة التي أريد أن أختم بها، وهي خلاصة مكثَّفة لكل ما مرَّ، وهي خير ما ينفعُك في حياتك الزوجية: (**إذا كان شرع الله حاكماً بينك وبين زوجك تولى الله التوفيق بينكما، وإذا رُفِعَ شرعُ الله من البيت تولى الشيطان التفريق بينكما**). لأجل ذلك تقول لوالد

زوجتك عندما تتزوج: زوِّجني ابنتك على كتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ. يقول الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ١٦/ ٣٠].

أما إذا رُفع شرع الله من البيت فإن القانون الإلهي يقول: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ٢٠/ ١٢٤].

وسأورد في هذه المحاضرة وصيَّتين: الأولى أوصتها أمٌّ لابنتها في ليلة عرسها، والأخرى أوصاها أبٌ لابنته وصهره في ليلة عرسهما.

الوصية الأولى

وصية المرأة لابنتها

حبذا لو تُكتب هذه الكلمة والوصية على بطاقات الأفراح؛ لأنها تنفع كلّ فتاة مقبلة على الزواج مهما كانت رتبتها.

كان الحارث بن عمرو ملكاً لكندة، خطب إلى عوف بن مُحَلِّم الشيباني ابنتَه، فلما كان يوم بنائه بها وأرادوا أن يحمِلوها له قالت لها أمها:

«أيْ بنيَّة، إنَّ الوصية لو تُركَت لفضلِ أدبٍ لتُرِكَت لذلك منكِ، ولكنَّها تذكرةٌ للغافل، ومعونةٌ للعاقل، ولو أنَّ امرأةً استغنَت عن الزوج لغنى أبويها، وشدَّة حاجتهما إليها، كنتِ أغنى الناس عنه، ولكنَّ النساء للرجال خُلِقنَ، ولهنَّ خُلق الرجال.

أي بنيَّة، إنَّك فارقتِ البيت الذي منه خَرَجتِ، وخلَّفتِ العشَّ الذي فيه دَرَجتِ، إلى رجلٍ لم تعرفيه، وقرينٍ لم تألفيه، فأصبح عليك رقيباً ومليكاً، فكوني له أمةً يكن لك عبداً، واحفظي له خصالاً عشراً يكن لك ذخراً:

أما الأولى والثانية: فالعيش معه بالقناعة، وحسن السمع له والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة: فالتفقُّد لمواضع عينه وأنفه، فلا تقع عينُه منك على قبيح، ولا يشمَّ منك إلا أطيبَ ريح.

وأما الخامسة والسادسة: فالتفقُّد لوقت منامه وطعامه، فإنَّ تواتُرَ الجوع مَلْهَبَة، وتنغيص النوم مَغْضَبَة.

وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله والإرعاء -أي الرعاية- على حَشَمه وعياله، ومِلاكُ الأمر في المال: حسن التقدير، وفي العيال: حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعصي له أمراً، ولا تُفشي له سراً، فإنك إن خالفتِ أمرَه أوغَرتِ صدرَه، وإن أفشيتِ سرَّه لم تأمني غدرَه.

واعلمي أنك لا تَصِلين إلى ما تحبِّين حتى تؤثِري رضاه على رضاكِ، وهواه على هواكِ فيما أحببتِ أو كرهتِ، والله يَخِير لك».

هذه وصية الأم، وإليك النتائج:

ثم احتُمِلت -أي: زُفَّت- الفتاة إلى زوجها الملك، فعظُمَ موقِعها منه، ووَلَدَتْ له سبعة ملوك مَلَكوا بعدَه اليمن [1].



---

(١) عن كتاب: المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، تأليف عبد الله عفيفي، ١/ ٩١.

الوصية الثانية

وصية أبٍ لابنته وصهره في ليلة عرسهما

سمعتُ هذه الكلمات من فم أب ثري يوصي بها ابنته وصهره في حفل زفافهما، وما سُرِرتُ بعرسٍ سروري بهذا العرس لسماعي هذه الوصية من أب عاقل واعٍ يعرف معنى الزواج ومعنى التأهيل للزواج...!

استأذن والد العروس الحاضرين في حفل زفاف ابنته أن يقرأ هذه الكلمات:

(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أرحّب بكم جميعاً، وأعلن أن فرحتي اليوم فرحتان، الفرحة الأولى: فرحة الحدث السعيد الذي اجتمعنا لأجله، والفرحة الثانية: هي فرحة الاجتماع بهذه الوجوه النيرة التي نبادل أصحابها الكرام كلّ المحبة.

نشكر كلّ من لبّى الدعوة، ونلتمس عذراً للذين لم يحضروا.

نجتمع اليوم لنُشهِر ونُعلِن أننا نقوم بتأسيس أسرة جديدة، لَبِنة طيبة تساهم في بناء المجتمع، الذي نسعى جميعاً ليكون مبنياً على أسسٍ إسلاميةٍ صحيحة وملتزمة وسليمة وواضحة.

اليوم، وكما تنتقل كريمتنا من خانة والدها في السجلِّ المدني إلى خانة زوجها، فهي أيضاً تنتقل من مسؤولية والدها إلى مسؤولية زوجها، فاليوم أقدّمُ لعريسنا أغلى ما عندي، وقد بَذَلتُ ما بوسعي من جهدٍ في تربيتها وتعليمها، لقد سعيتُ ما استطعت أن أزرع فيها بذور العقيدة الصحيحة، والفطرة السليمة، وقد نَبَتَت البذور وَنمَت وأزهَرَت، وصارت جاهزة للإثمار والحمد لله.

لقد احتجتُ إلى الشَّد والحزم تارةً، وإلى التساهل والرفق تارةً أخرى، وما بين اللين والقسوة استطعتُ أن أفخر اليوم بأن ابنتي فتاةٌ عارفةٌ بحدود الله، متعلِّمة مثقَّفة، تعلَّمَت واجباتها، وعرفت حدودها.

أيها الإخوة، إن قبول الخاطب مسؤولية كبيرة تقع على عاتق الوالد بالدرجة الأولى، وكنت دائماً أخشى إبداء رأيي لمعرفتي بدقَّة الأمر، وأحمد الله أنه مع كثرة الخاطبين لم تصل ابنتي ووالدتها إلى مرحلة الموافقة المبدئية قبل أن يأخذا رأيي، وفي كل مرة كنتُ أبني في ذهني صورةً للزوج المناسب لابنتي، إلى أن أتى عريسنا، حفظه الله، فانشرَح صدري عندما علمتُ مَن هم أهله، فقد عرفتهم منذ زمنٍ بعيد بحكم القرابة بيننا، وأوَّل ما قلتُ في نفسي: هذه هي (الحَماية) التي أطمئن أن تكون ابنتي كنَّتها، وهذا هو الشاب الذي أرضى بدينه وخُلُقه، وهذه هي العائلة التي ستحتضن ابنتي، ودعوت: اللهم تمم بخير.

والآن أنصح ابنتي وأخاطبها فأقول:

مطلوبٌ منك يا بنتي المؤمنة أن تكوني مطيعةً، أدِّي ما عليكِ، واطلبي من الله ما لكِ، وتذكري أن القناعة والرضا مع الإيمان هي مفاتيح السعادة.

ومطلوبٌ منك يا بُني -للعريس- أن تكون رؤوفاً عطوفاً، تستمتع بما عند زوجتك من خصالٍ تحبها وتحمدُ الله، وتصوِّب ما لا تحب من خصالها باللين والمحبة، كن حازماً ولا تتساهل أبداً فيما لا يُرضي الله، وإياك والغضب، فإنه أحدُ مفاتيح التعاسة وخراب البيوت.

ومطلوبٌ منكما التسامح، فكلَّما رأى أحدكما عيباً أو ما لا يروق له في زوجه فليتذكر أن الكمال لا يكون إلا لله وحده، وأن الإصلاح يكون بالحسنى، وأن لكلٍّ منكما دوره، فلا يبغِ أحدٌ على شريكه، ولتتعاونا على صعاب الحياة لتهون عليكما.

في ختام كلمتي، لا يَسَعني إلا أن أدعو الله للعروسين بخير الدعاء من كتاب الله عزّ وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٢٥/٧٤]. ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾ [غافر: ٤٠/٨]. صدق الله العظيم).

وهكذا تنتهي الدورة التأهيلية للحياة الزوجية، ومنيَتي أن نصل إلى يوم لا يتزوَّج فيه شابٌّ ولا فتاة حتى يخضع كل منهما لمثل هذه الدورة، ولعله يخضع بعدها لامتحان نظري نسأله فيه عن المعلومات الواردة في الدورة، ثم لامتحان عمليّ يتدرَّب فيه الشاب على كظم الغيظ، والهدوء، وحُسن التعامل مع زوجته، وكذلك تتدرب الزوجة، فإن نجحا زوجناهما، وإلا فلا!!!

نسأل الله تعالى أن يوفِّقنا لكلِّ خير، وأن يباعدنا عن كل شرّ.

اللهم إنَّ مفاتح التوفيق في يدك، فنسألك أن توفق بين كلِّ زوجين مسلمَين، وأن تعين كلَّ متزوجٍ على طاعتك، وأن تحسِّن لنا أخلاقنا.

اللهم أصلح أقوالنا وأفعالنا وأخلاقنا وما في قلوبنا، اللهم أصلح لنا في ذرياتنا، وتوفنا مع الأبرار.

اللهم هيِّئ لكلِّ شابٍّ عزب داراً واسعة تؤويه، ورزقاً حلالاً يكفيه، وزوجة صالحة موافقة ترضيه، وهيئ لكلِّ فتاة عزبة زوجاً صالحاً، حسنَ الخَلْق رضيَّ الخُلُق.

اللهم أعن المتزوج، وأغنِ كلَّ زوجٍ بزوجه، ولا تجعل للشيطان علينا سبيلاً.

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٢٥/ ٧٤]. آمين.

والحمد لله رب العالمين

